

الحَيَاةُ الْبَرَزَخِيَّةُ

مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْبَعْثِ

« وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ »

صَاحِبُ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

مُحَمَّدُ عَبْدِ الظَّاهِرِ خَلِيفَةُ

دَارُ الْأَعْيُنِ



بسم الله الرحمن الرحيم

الدار

إلى والدتي الحنون ، وأمي الرؤوم ، وهي الآن في الدار البرزخية وفي عالم الموتى .

إلى من كانت سبباً في تعليمي وتثقيفي ، وتأديبي وتهديبي ، ومواسية لي بمألها ، ومشجعة لي بأقوالها وأفعالها .

إلى من أهتمت بإسمها ، وأفخر بذكرها ، وأترحم عليها ، ما دام في جسمي عرق ينبض ، وروح يسرى .

أهدي هذا الكتاب المتواضع ، والمؤلف الوداع وهو :

ثمرة طيبة من ثمرات جهودها ، وقطف صالح من قطوف أعمالها الخالدة المباركة ، جزاها الله أحسن الجزاء ، وأسكنها جنة النعيم ، ومتعتها بالنظر إلى وجهه الكريم ، وإلى اللقاء - إن شاء الله - يا أحب الناس إلي بعد حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في عالم البرزخ ، وفي الدار الآخرة : « وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون » .

ابنك البار

محمد عبد الظاهر خليفة عوض يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير للمؤلف

حمداً لك يا رب وشكراً ، ومغفرة منك ، ورحمة لعبادك المؤمنين
المذنبين ، الذين فارقوا الحياة ، وتركوا الدنيا وراءهم ظهرياً ، فأصبحوا من
سكان القبور . ومن أهل البرزخ إلى يوم البعث والنشور .

وصلاة وسلاماً على حبيبك محمد الذي اخترته لجوارك ، بعد أن بلغ
الرسالة ، وأدى الأمانة ، وهدى الناس إلى صراط مستقيم ، والذي خاطبته
بقولك الحكيم في كتابك الكريم : « إنك ميت وإنهم ميتون (١) » .

ورضواناً منك إلى آله وأصحابه ، ومن سلك هداهم إلى يوم الدين .
(وبعد) فإن لكل نفس في حياتها الدنيوية والأخروية دوراً أربعاً ،
كل دار منها أعظم من التي قبلها وأطول زمناً من سابقتها .

والله عز وجل ينقل النفس في هذه الدور من حال إلى حال حتى يبلغها
دار القرار التي لا يصلح لها غيرها ، ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها ،
وهيئت للعمل الموصل إليها .

وللنفس في كل دار شأن غير شأن الدار الأخرى ، فسبحان من أبدع
وصور . وخلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأمات وأحيا .

وهالك الدور مرتبة داراً بعد دار من أول نشأة الإنسان إلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها .

(١) سورة الزمر آية ٣٠ .

الدار الأولى : (بطن الأم) : فالجنين في بطن أمه تغشاه ظلمات ثلاث (ظلمة البطن ، وظلمة الرحم (١) ، وظلمة المشيمة (٢)) ، وهو في هذه الدار ينتقل في تكوينه من خلق إلى خلق ، فمن نطفة إلى علقة ، ومن علقة إلى مضغة ، ومن مضغة إلى عظام عارية من اللحم إلى مكسوة لحماً إلى مخلوق بديع قد دبّت فيه الحياة ، وسرت فيه الروح سريان الماء في العود الأخضر ، وانبعثت في كل أعضائه حتى أصبح بشراً سوياً ، ومخلوقاً عجيباً مصداق هذا قوله تعالى :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (٣) » .
هذه الدار أقصر الدور الأربع أمداً ، وأضيقها مجالا ، وأخفها أثراً ، وأضعفها احتمالاً .

الدار الثانية : دار الكفاح ، ودار العمل ، ودار عالمنا المشاهد الذي نعيش فيه ، والذي كلفنا فيه بتكاليف مستطاعة لنا إذا نحن قمنا بها على الوجه الأكمل سعدنا في دنيانا وأخرانا ، وإذا أهملنا ها ، وطرحناها خلف ظهورنا خسرنا خسراناً مبيناً ، وضللنا ضلالاً بعيداً .

هذه الدار مدتها أطول من الأولى ، ومجالها أوسع ، وآثارها أشهر وأظهر فمن آثارها :

أشجار باسقة ، وقصور عالية ، وقطر تسير ، وطائرات تحلق في الجو وتطير ، وأقمار صناعية ، وسفن فضائية ، وصل بها رواد الفضاء إلى القمر

(١) الرحم : مكان تكوين الجنين ونموه ، وهو تجويف كثرى الشكل موضوع بين المستقيم والمثانة رأسه متجه إلى أسفل ويسمى عنق الرحم وقاعدته متجهة إلى أعلى .
(٢) المشيمة (بفتح الميم وكسر الشين) : غشاء ولد الإنسان يخرج معه عند الولادة ، ويقال لها : الكيس والغلاف ، وهي داخل الرحم ، فالجنين يكون داخل المشيمة ، والمشيمة داخل الرحم ، والرحم داخل البطن .
(٣) سورة المؤمنون الآيات : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

الطبيعى لمعرفة أسرارهِ وعجائبه . إلى غير ذلك من المخترعات الحديثة التى أدهشت العالم . وحيرت الأفكار . وأستولت على المشاعر . وأخذت بمجامع القلوب .

الدار الثالثة : دار البرزخ : الذى يبتدئ بالموت ، وينتهى بالبعث قال الله تعالى : « ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون (١) » .

ونسبة هذه الدار إلى الثانية كنسبة الثانية إلى الأولى ، فيمكنك أن تعد مدة الأولى بآحاد الشهور ، ومدة الثانية بعشرات السنين . ولكنك فى هذه الدار لك أن تعدها بمئات السنين والقرون ، وفى هذه الدار تكون ضغطة القبر وضيمته ، ونوره وظلمته ، واتساعه وضيقه ، ودخانه وخضرته . وسؤاله وامتحانه ، وعذابه ونعيمه .

فالقبر إماروضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار .

وفى هذه الدار البرزخية تنطلق الروح (٢) إلى الرحاب الأوسع ، والملا الأعلى ، وتسبح فى ملك الله حيث أراد الله لها وقدر لأن البدن كالسجن أو القفص والروح محبوسة فيه ، وتتصل بالأرواح الأخرى وتناجىها . وتأنس بها ، وتشعر باللذة والألم ، والنعيم والعذاب .

وقد يأذن الله لها وهى فى عالم البرزخ أن تتصل بالبدن كله أو بعضه اتصالاً برزخياً يشبه اتصال أشعة الشمس ، وأضواء القمر بالعوالم الأرضية ، وهو اتصال إشراق وإمداد ، فيشعر البدن بالنعيم أو العذاب . ويسمع ويجيب هذه الدار بالذات (الدار البرزخية) قد وجهت عنايتى إلى التأليف فيها ،

(١) سورة المؤمنون آية : ١٠٠ ، والبرزخ كما فى مختار الصحاح لأبى بكر الرازى هو : الحاجز بين الشيتين وهو أيضاً ، ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث ، فن مات فقد دخل البرزخ .

(٢) الروح (بضم الراء) ما به حياة البدن يذكر ويؤنث فيقال : روح طيب وروح طيبة ، وروحه فاضت إلى ربها وفاض إلى ربه ، وقد ألفت رسالة فيما يجوز تذكيره وتأنيته أسميتها الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيته معاً فى العربية ، وقد طبعها فى سنة ١٣٧٢ هـ - الموافق ١٩٥٢ م حينما كنت مدرساً بمعهد سوهاج الدينى . فاجمع إليها إذا شئت فإنها تفيدك بإذن الله ، والله الموفق والمعين .

والذى دعانى إلى ذلك هو : أننى كنت ألقى دروساً فى علم التوحيد على طلاب العلم ببلدتى المسماة بالشيخ عيسى ، والتابعة لمحافظة ومركز قنا .

ولما حان وقت سفرى إلى القاهرة لأطلب العلم فى كليه الشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف ، وكان ذلك فى سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية . وقفت (١) نفسى عن إلقاء هذه الدروس ، وصادف أن كان هذا الوقف عند الكلام على القبر وأحواله .

ولما دخلت الكنانة (٢) بمشيئة الله وإرادته آمناً مطمئناً . واستقرت فى النوى (٣) وطاب لى المقام فيها أحببت أن أقرأ ، وأبحث فى كتب التوحيد والتفسير والحديث والمحلات الدينية وغيرها بدار الكتب المصرية وسواها عن كل ما يتعلق بالدار البرزخية فشاء الله لى ذلك . وخرجت من هذه القراءة ، وذلك البحث بمحصول كبير دونته فى كراسة بخط يدى .

وكم كنت تواقاً إلى طبع ما دونته فى حينه غير أنى كنت فى هذا الأوان (٤) خاوى (٥) الوفاض ، بادى (٦) الإنفاض ، لا أملك من النشب (٧) نقيراً (٨) .

• (١) قال صاحب المصباح المنير فى مادة (وقف) : ووقفت الرجل على الشئ ، وقفاً منعه عنه ، وأوقفت الدار والدابة لغة تميم ، وأنكرها الأصمى وقال : الكلام وقفت بغير ألف ، وأوقفت عن الكلام بالألف أقلعت عنه ، وكلمنى فلان فأوقفت أى أمسكت عن الحجة عياً ، وحكى بعضهم ما يمسك باليد يقال فيه : أوقفته بالألف وما لا يمسك باليد يقال : وقفته بغير ألف .

والفصيح : وقفت بغير ألف فى جميع الباب إلا فى قولك : ما أوقفك ههنا وأنت تريد أى شأن حملك على الوقوف فإن سألت عن شخص قلت : من وقفك بغير ألف ؟

(٢) الكنانة : (بكسر الكاف المراد بها هنا مصر) .

(٣) النوى : أى الجهة التى ينويها المسافر وهى مؤنثة لا غير .

(٤) الأوان : هو الحين والوقت جمعه آونة مثل زمان وأزمنة .

(٥) خاوى الوفاض : أى فارغ المكان الذى يمسك الماء ، والوافاض أيضاً الجلدة التى توضع تحت الرحى ليتجمع عليها الدقيق .

(٦) بادى : أى ظاهر ، والإنفاض : مصدر أنفض كناية عن فناء الزاد والمال .

(٧) النشب (بفتح النون والشين) : المال .

(٨) النقير هو : النقرة التى تكون فى ظهر النواة ، ومنها قنبت الشجرة .

ولا من المال قطميراً (١) ، وكما يقال فلان ماله سبد ولا لبداً (٢) .

ولما وجد المال شاء الله وما تشاءون إلا أن يشاء الله تأجيل طبعه إلى أجل غير مسمى لظروف طارئة ، وأسباب قاهرة ، ومنذ عامين اثنين أخذت أزيد فيه وأنقح ، وأغير وأبدل فزاد المحصول وصدقت العزيمة وتأكدت على طبعه بعد تيسير الله ، وتسهيل سبله إياي فقامت بطبعه والحمد لله ، وخرج اليوم للناس بثوبه القشيب المتواضع ولباسه الجديد الوديع وهو جهد المقل آخذاً مكانه في عالم المؤلفات ، ومجاله في ميادين المطبوعات . وقد أسميته (الدار البرزخية من الموت إلى البعث) .

فما أحوج الناس في هذا العصر الذي طغت فيه المادة وألهتهم مفاتن الحياة وزخارفها عن ذكر الموت هازم اللذات ومفرق الجماعات ، وميم البنين والبنات إلى مثل هذا اللون من التأليف الذي يرقق القلوب ، ويستهوئ الأفتدة ويؤثر في النفوس تأثيراً بليغاً ، ويحملهم على إعداد أنفسهم للحياة الباقية ، والدار الآخرة .

الدار الرابعة : دار الجزاء ، ودار الخلود . ودار البقاء . ودار الحياة الحقيقية المعبر عنها بقوله تعالى :

« وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون » (٣) .

أى هي الحياة الحقّة الكاملة ، والتامة الباقية .

هذه الدار لا تعد بأحاد الشهور ولا بعشرات الأعوام ولا بمئات القرون والأجيال فليست لها مدة معدودة ، ولا نهاية محدودة ، نعيمها يبتى ولا يفنى ، يدوم ولا يزول :

(١) والقطمير هو : القشرة الرقيقة التي تكون على النواة كاللفافة لها .

(٢) في القاموس ، وشرحه تاج المروس في مادة (سبد) ومن ذلك قولهم : فلان (ماله سبد ولا لبداً) : أى لا قليل ولا كثير (وهذا قول الأصمعي ، وهو مجاز : أى لا شيء له ، وفي اللسان : أى ماله ذو وبر ولا صوف متلبد يكى بها عن الإبل والغنم ، وقيل : السبد من الشعر ، واللبد من الصوف) .

أقول ما ذكرته من رقم ١٠ إلى ١٠ كناية عن أنى لا أملك شيئاً من المال ، وأنى فقير معدم في هذا الوقت .

(٣) سورة النكبات آية : ٦٤ .

«... أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار» (١) .

« فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

هذا لمن مات مسلماً . وبربه موحداً . ولنعمه شاكراً . وبكتبه ورساله ،
وملائكته واليوم الآخر مؤمناً مصداقاً . أما من مات كافراً بمولاه ونخالقه
والعباد بالله . فهو المطرود من رحمة الله . وله نكال أليم ، وعذاب مقيم ،
وجهم وبش المصير .

« إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به
من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم » (٢) .

هذه الدار دار السعادة الأبدية ، كما أنها دار الشقاوة السرمدية .

« فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت
السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد . وأما الذين
سعدوا فى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ » (٣) .

فاللهم اجعلنا من عبادك السعداء الموفقين ، ولا تجعلنا من عبادك الأشقياء
المحرومين ، واهدنا صراطك المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين آمين ، والله أسأل أن يكتب لمولفى هذا القبول
والتمكن ، والنظر إليه بعين الرضا والتقدير لا بعين السخط والتحقير .

وَعَيْنُ الرُّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ

كما أن عين السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا (٤)

(١) سورة الرعد آية : ٣٥ .

(٢) سورة المائدة آية : ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) سورة هود عليه الصلاة والسلام الآيات رقم : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ومعنى غير

مجذوذ : (أى غير مقطوع) أى أن هذا العطاء فى الجنة دائم لا ينقطع أبداً .

(٤) هذا البيت من بحر الطويل وهو للإمام الشافعى رحمه الله (محمد بن إدريس بن العباس

وأن يغرس فيه البركة . والنفع العام لقارئيه ، والمطلعين عليه . وأن يجعله من الكلم الطيب ، والعمل الصالح :
« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (١) .

وأرجو من قرائه الكرام أن يغمضوا النظر عن هفواته وزلاته ، وسقطاته وأخطائه ، فإن العصمة لله وحده ، والكمال لله رب العالمين . والرشاد والهدى منه ، والتوفيق به

« وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » (٢) .

• • •

ابن عثمان بن شافع الهاشمي المطلبى من بنى المطلب بن عبد مناف يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ .

(١) سورة فاطر آية : ١٠ (أى خالق) .

(٢) سورة هود آية : ٨٨ .

مَقَرَّة

اعلم وفقك الله تعالى أنى قسمت كتابى هذا إلى أربعة أقسام ، وخاتمة .
القسم الأول : فى الكلام عن أحوال الإنسان من احتضاره إلى أن
يوضع فى قبره .

القسم الثانى : فى الكلام عن أحوال الميت من وضعه فى لحده إلى أن
يبعث من قبره .

القسم الثالث : فى البحث عما ينفع الميت من الأعمال التى تسبب هو
فيها فى حياته ، أو تسبب فيها غيره بعد مماته ، ومالا ينفعه من الأعمال التى
يفعلها أهله فى جنازته ومأتمه ومقبرته مما يخالف الدين ، ويتنافى مع سماحة
الإسلام .

القسم الرابع : فى التحدث عن الساعة وعلاماتها ، وعن النفخ فى
الصور ، وعن البعث وأدلتة ، وشبه المنكرين له ، والرد عليهم وغير ذلك .
أما الخاتمة فقد جعلتها فى ذكر فوائد منشورة ، ومنافع مبعثرة هنا وهناك
ولكنها لا تخرج عن موضوعنا ، ولا عن مقصودنا من وضع هذا الكتاب .
وفى كل هذا المتقدم أذكر فى المناسبات المواتية تراجم من جاء
بكتابى هذا .

من ساداتنا الأجلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصفياء ،
وأتباعهم الأتقياء رضوان الله عنهم أجمعين وغيرهم من سلفنا الصالح ،
وعلمائنا الأماثل .

وأحدث عن بعض البقاع والأماكن ، وأشرح الألفاظ التى تحتاج إلى
الشرح ، وأضبط فى كثير من الأحيان الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ،

وغيرها مع تخريج بعض الأحاديث ولو أتاحت لي فرصة طبع هذا الكتاب
مرة ثانية لعملت إن شاء الله على تخريج بقية الأحاديث التي لم أخرجها في هذه
الطبعة ، والله الموفق والمعين .

غرة شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٣ هـ
٤ من إبريل سنة ١٩٧٣ م .

المؤلف
محمد عبد الظاهر خليفة
المفتش بالأزهر

• • •

القسم الأول

مراجعتنا للإنسان إلى أن يوضع في القبر

الإنسان في حالة الاحتضار (١) :

قدر الله لكل نفس في هذه الحياة الدنيوية أوقاتاً محدودة ، وأنفاساً معدودة ، وجعل لها أجلاً مكتوباً لا تتعداه ولا تتخطاه ، ولا تتقدم عليه ، ولا تتأخر عنه :

« فإذا جاء (٢) أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

حَيَاتُكَ أَنْفَاسٌ تُعَدُّ فَكُلَّمَا

مَضَى نَفْسٌ مِنْكَ انْتَقَصَتْ بِهِ جُزْءًا

(١) في المصباح المنير للفيومي : حضره الموت واحتضره = أشرف عليه فهو في النزاع . وفي غير المصباح : المحتضر (بضم الميم وفتح الصاد) اسم مفعول من احتضر : أى من حضرته مقدمات الموت : أو من حضره الموت وحل به وعلاماته :

١ - استرخاء قدمي المحتضر .

٢ - واعوجاج أنفه .

٣ - وانخساف صدغيه .

(٢) سورة الأعراف آية : ٣٤ ، سورة النحل آية : ٦١ ، والمراد من الساعة في هذه الآية الكريمة اللحظة القليلة من الزمن .

وبهذه المناسبة يطيب لي أن أذكر هنا خلاصة عما قيل في المقتول : هل هو ميت بانقضاء أجله الذي قدره الله له أو بغير أجله ؟ فأقول : وبالله التوفيق . -

الأجل : هو الوقت الذي تبطل فيه الحياة من غير تقدم ولا تأخر .

وأنه لا نزاع بين أهل السنة والمعتزلة (فرقتين مشهورتين من علماء التوحيد) في أن بطلان الحياة بالموت واقع في الأجل الذي قدره الله ، وإنما النزاع بينهم فيما إذا كان بطلان الحياة بالقتل . فأهل السنة والجماعة يقولون :

إن المقتول ميت بانقضاء أجله ، وانتهاء عمره في الوقت الذي علم الله حصول موته فيه ألا يخلقه تعالى من غير مدخلة فيه للقاتل .

فبينما يتمتع الإنسان بصحته ، وينعم بعافيته ؛ ويرتع ويلعب . ويصول ويجول ويتيه عجباً ، ويشمخ أنفاً ، ويقوم ويقعد ، ويأمر وينهى .

إذ بمرض الموت قد هجم عليه هجوم الأسد على فريسته ، فيضعف جسمه . وتخفت صوته ، وترتخي مفاصله ، وتضمحل قواه . حتى إذا ما قرب انقضاء أجله . وأزفت حياته على الانتهاء وأوشكت على الزوال ؛ ودقت ساعة الخطر معلنة بأنه سيرتحل عن دنياه ، وستطوى صحف أعماله . ضعفت دقات قلبه ، واصفر وجهه ، واسترخت قدماه ، واعوج أنفه ، وغارت عيناه . وانخسف صدغاه ، وشوش عقله ، وأبكى لسانه . وثقل سمعه . وضعف بصره .

وهنا في هذه اللحظة الرهيبة ، وفي هذا الوقت العصيب يأتي إبليس اللعين فيتمثل أمام هذا الإنسان المحتضر . ومعه شيطان آخر بصورة والديه . أحدهما يكون عن يمينه . والآخر عن شماله .

= وإنما وجب القصاص على القاتل نظراً للكسب الذي عنده (وهو : صرف العبد قدرته المخلوقة فيه نحو العزم المصمم على الفعل ، وبعد وجود هذا العزم منه يخلق الله الفعل بحسب جرى العادة) .

فالأجل عند أهل السنة واحد لا يقبل الزيادة والنقصان لقوله تعالى : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

فقد أخبر الله في هذه الآية وأمثالها بأن الكل ميت بأجله من غير زيادة ولا نقصان ، ولم يفرق بين الموت والقتل .

ولا يعارض هذه الآية القاطعة ما ورد في الحديث النبوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القاتل : (إن الصدقة والصلة تعمران الديار ، وتزيدان في العمر) لأن هذا الحديث خبر آحاد فلا يقوى على الآية التي خبرها قاطع وثابت بطريق التواتر أو نقول : إن الزيادة في الحديث بحسب الخير والبركة : أي أن الله يبارك في عمر المتصدق والذي يصل أرحامه في عمره بفعل الخير ، والعمل الصالح وقيل غير ذلك .

وجمهور المعتزلة يقولون : إن المقتول له أجل واحد وهو الوقت الذي علم الله موته فيه لولا القتل ، فلو لم يقتل لعاش إليه قطعاً فالقاتل عندهم قطع على المقتول أجله .

واستدلوا بقوله تعالى في سورة آل عمران : « ولئن مّم أو قتلتم لإلى الله تحشرون » .

وقالوا في استدلالهم بهذه الآية : إن العطف يقتضي المغايرة فالقتل غير الموت .

ورد عليهم أهل السنة ، بأن معنى هذه الآية : ولئن مّم من غير سبب أو قتلتم بأن مّم بسبب لتحشرون إلى الله في يوم القيامة في الموقف العظيم .

ورأي أهل السنة هو الصواب والله أعلم .

فالذى عن يمينه يكون على صفة أبيه يقول له : (يا بنى إني كنت عليك شفيقاً ، ولك محباً ، ولكن مت على دين النصارى وهو خير الأديان) .

والذى عن شماله يكون على صورة أمه يقول له : (يا بنى كان بطنى لك وعاءاً ، وثدى لك سقاء وفخذى لك وطاء ، ولكن مت على دين اليهود ، وهو خير الأديان) .

ذكر هذا أبو الحسن الفاسى المالكى ، وذكر الإمام الغزالى :
أن الشياطين يأتون المحتضر على صفة أبويه فى زى يهود ونصارى ، حتى يعرضوا عليه كل ملة .

ولإبليس فتن أخرى منها :

أنه يأتى للمؤمن المحتضر فى حالة الزرع بقربة خضراء فيها ماء بارد . وهو فى كرب شديد ، وكبده قد احترق من شدة العطش فيقول له اللعين .

« قل كذا وكذا حتى أسقيك ، ويتحول من جهة إلى أخرى ، ويريه الماء » فمن كان من أهل السعادة ثبته الله ، ومن كان من أهل الشقاوة اتبع الشيطان الرجيم .

وقد أجاب الحافظ السيوطى عن مثل هذا قائلاً : (فى إتيان الشيطان المحتضر إلى آخره لم يرد فى السنة بل ورد ما يقرب منه وهو حديث أبى نعيم) .

(احضروا موتاكم ، ولقنوهم لا إله إلا الله ، وبشروهم بالجنة ، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع ، وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع) .

وفى حديث مرسل (١) جيد الإسناد : (أقرب ما يكون عدو الله من الإنسان ساعة طلوع روحه) .

تلقين المحتضر وحكمته :

ولهذه الفتن وغيرها شرع تلقين المحتضر يقول من بجواره (لا إله إلا الله)

(١) الحديث المرسل : هو ما سقط من آخر إسناده الصحابى .

لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (لقنوا موتاكم (١) لا إله إلا الله فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت إلا أنجته من النار) أخرجه الجماعة إلا البخارى . ولقوله (عليه الصلاة والسلام) : « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة » .

أى مع الفائزين رواه الإمام أحمد . وأبو داود . والحاكم وصححه عن معاذ ابن جبل (٢) .

ولا يشدد عليه فى التلقين مخافة أن ينطق بكلام غير لائق . ويقرأ عتده صورة الرعد لأنها تسهل عليه خروج الروح ، وسورة يس لما روى فى سنن أبى داود أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : (اقرءوا على موتاكم يس) .

والحكمة فى قراءتها أن أحوال القيامة والبعث مذكورة فيها فإذا قرئت عند المحتضر تجدد له ذكر الأحوال المتقدمة ، وفيها البشرى بالجنة لأهل التوحيد فى قوله تعالى :

« يا ليت قوم يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » .
ويسن توجيه المحتضر إلى القبلة مضطجعا على شقه الأيمن متى أمكن ذلك ، وليقل من كان عنده خيراً فإن الملائكة يحضرون فى هذه الساعة . ويؤمنون على ذلك .

(١) المراد بالموتى هنا : (من قرب موتهم) بدليل قوله عليه الصلاة والسلام بعد هذا : (فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت إلا أنجته من النار) ، وحديث : (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) أخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ، والنسائى عن عبد الله بن جعفر وعائشة والطبرانى رضى الله عنهم ، عن ابن عباس وابن مسعود ، والبزار عن جابر بن عبد الله ، وابن أبى الدنيا فى المحتضرين عن حذيفة وعمر وعثمان وأنس بن مالك أهد من كتاب : (الأزهار المتناثرة للسيوطى) (٢) معاذ بن جبل : هو سيدنا معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى من خيار الصحابة وكرام الأنصار ، وسادة الخزرج .

شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام فى فضله : (أعلم أمتى بالحلل والحرام معاذ بن جبل) ، ولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن وجعل إليه القصاء ، وتعليم القرآن والشرائع ، وجمع الصدقات من العمال ، وحديثه فى العمل بالاجتهاد بعد الكتاب والسنة مشهور . وكان عمره لما أسلم ثمانى عشرة سنة ، ومات فى سنة ١٩ هـ فى طاعون عمواس بأرض الشام عن ٣٨ سنة .

فقد روى عن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون) .

قالت : فلما مات أبو سلمة (١) أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقلت : يا رسول الله : إن أبا سلمة قد مات قال : (قولى : اللهم اغفر له ، واعقبني منه عقي حسنه) فقلت : فأعقبني الله من هو خير لى منه محمداً (صلى الله عليه وسلم) . (رواه مسلم)

هذا وإن المحتضر ليشاهد الملائكة ويراهم ، وقد يسلمون عليه ، ويرد عليهم تارة باللفظ وتارة بالإشارة ، وتارة بالقلب ، وذلك عند عدم التمكن من النطق والإشارة ، ثم يجلسون عنده يتحدثون ، وأهل الميت وغيرهم لا يبصرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون مصداق هذا قوله تعالى فى سورة الواقعة : « فلولاً إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون » .

قبض الروح ، وصعودها إلى السماء ثم هبوطها ، ثم اتصالها بجسدها إلى غير ذلك :

تكفل بشرح هذا الموضوع شرحاً مستفيضاً الحديث العظيم المشهور حديث البراء (٢) بن عازب رضى الله عنه وغيره .

(١) أبو سلمة هو : عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة المخزومي الصحابي الفارس ، وابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمه برة بنت عبد المطلب) وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع ، أرضعتهما ثوية مولاة أبي لهب . كان من السابقين الأولين فى الإسلام ، هاجر مع زوجته هند بنت حذيفة الملقب بزاد الراكب إلى الحبشة وهناك فى الحبشة ولد لها ابنتها سلمة (بفتح السين واللام) فكنيا به ، فقبل لعبد الله أبو سلمة ، ولهند أم سلمة ، ثم قدما مكة ، ثم هاجرا إلى المدينة ، وشهد أبو سلمة بدرأ وأحداً ومات شهيداً بأحد بعد جهاد عظيم وبلاء حسن ، وبعد أن خلف من أم سلمة أربع أولادهم سلمة (ولد بالحبشة) وعمر ودرة وزينب (ولدن بالمدينة) .

(٢) البراء (بفتح الباء والراء مخففة) : هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدى أنصارى خزرجى ، وصحابى ابن صحابى ، نزل الكوفة ومات بها سنة ٧٢ هـ أيام مصعب بن الزبير عن ٨٢ سنة وله عقب .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية قال : حدثنا الأعمش (١) عن المنهال (٢) ابن عمرو عن زاذان (٣) عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في جنازة رجل من الأنصار فأنتهينا إلى القبر ، ولما يلحد فجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال : (استعينوا بالله من عذاب القبر) (مرتين أو ثلاثاً) ثم قال :

إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة نزلت إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة . اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان - قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتى يأخذوها .

— وأمه حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحباب ، أنصارية خزرجية ، كان البراء يوم غزوة الخندق ابن خمس عشرة سنة ، ولم يجز قبلها لصفر سنة .

قال البراء : استصغرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وعبد الله بن عمر فردنا يوم بدر ، وكان يقول : أنا وعبد الله لدة (أى مستويان في السن) .

(١) الأعمش هو : سليمان بن مهران الأسدي الكوفي التابعي لقب بالأعمش لعش في عينيه : (أى ضعف في عينيه مع سيلان الدموع في أكثر الأوقات) .

كانت ولادته هو وعمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عروة بن الزبير ، وابن شهاب الزهري في شهر المحرم سنة ٦١ هجرية ، وكان من أقرأ الناس للقرآن ، وأعرفهم بالفرائض ، وأحفظهم للحديث ، كما كان من العلماء العاملين بالعلم ، المقبلين على الله وعلى الآخرة ، وكان أيضاً نظيف الخلق مزاحاً .

(٢) المنهال بن عمرو : أحد الثقة المدول ، قال ابن معين : المنهال ثقة ، وقال المعلى : المنهال كوفي ثقة .

(٣) زاذان (بزاي ثم ألف ثم ذال بعدها ألف ونون) : الكندي الثقة ، روى عن أكابر الصحابة كسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره ، فهو تابعي ، روى له مسلم في صحيحه ، وثقه ابن معين وغيره .

فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الخنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على الأرض قال : فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملا من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى يذهبوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له . فيفتح له فيشيعه في كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله : اكتبوا كتاب عبي في عليين وأعيدوه إلى الأرض . فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ربى الله : فيقولان له ما دينك ؟ فيقول دينى الإسلام : فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادى مناد فى السماء أن صدق عبي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة قال : فيأتيه من روحها وطبها ويفسح له فى قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعده فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجرى بالخير فيقول : أنا عمك الصالح فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى .

وقال : وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح (١) فيجلسون منه مد البصر ثم يجرى ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الحبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب قال - فتفرق فى جسده - فينزعها كما ينزع السفود (٢) من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده

(١) المسوح (بضم الميم) جمع مسح (بكسر الميم وسكون السين) : ما يلبس من تشيع الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد .

(٢) السفود (بتشديد السين مع الفتح ، وتشديد الفاء مع الضم) : حديدة يشوى عليها اللحم جمه سفافيد .

طرفه عين حتى يجعلوها في تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « . . . لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط (١) » فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً - ثم قرأ : « . . . ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق (٢) » . فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاهاه (٣) لا أدري فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول هاهاه لا أدري . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاهاه لا أدري . فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا (٤) له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه . ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول : ومن أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر . فيقول : أنا عملك الخبيث فيقول : رب لا تقم الساعة ، يتمنى عدم قيام الساعة لأنه يعلم أن مصيره إلى النار .

قال ابن القيم في كتاب الروح :

هذا (أى حديث البراء بن عازب المتقدم) حديث ثابت مشهور مستفيض صحيحه جماعة من الحفاظ ، ولا نعلم أحداً من أئمة الحديث طعن فيه بل روه في كتبهم وتلقوه بالقبول ، وجعلوه أصلاً من أصول الدين .

(١) سورة الأعراف آية : ٤٠ .

(٢) سورة الحج آية ٣١ .

(٣) هذه الكلمة نقال للتوجع فتكون المساء الأولى مبدلة من همزة آه يقال : تأوه وتهوه لهة وهامة .

(٤) فرشت البساط وغيره فرشاً من باب قتل وفي لغة من باب ضرب بسطته وفرشته فافرشوا مصباح .

١ - في عذاب القبر ونعيمه . ٢ - ومساءلة منكر ونكير .

٣ - وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر .

وقول أبي محمد (ابن حزم) لم يروه غير زاذان فوهم منه ، بل رواه عن البراء غير زاذان فرواه عنه عدى بن ثابت ، ومجاهد بن جبر . ومحمد ابن عقبة وغيرهم .

وقد جمع الدارقطني طريقه في مصنف مفرد .

وزاذان من الثقة روى عن أكابر الصحابة كعمر وغيره ، وروى له مسلم في صحيحه ، قال : يحيى بن معين ثقة وقال حميد بن هلال : وقد سئل عنه هو ثقة لا تسأل عن مثل هؤلاء ، وقال ابن عدى : أحاديثه لا بأس بها إذا روى عن ثقة .

وقوله : إن المنهال بن عمرو تفرد بهذه الزيادة وهي قوله : (فتعاد روحه في جسده) وضعفه فالمنهال أحد الثقة العدول :

قال ابن معين : المنهال ثقة ، وقال العجلي : كوفي ثقة .

وأعظم ما قيل فيه : أنه سمع من بيته صوت غناء ، وهذا لا يوجب القبح في روايته ، واطراح حديثه .

وتضعيف ابن حزم له لا شيء ، فإنه لم يذكر موجباً لتضعيفه غير تفرده بقوله : (فتعاد روحه في جسده) وقد بينا أنه لم يتفرد بها بل قد رواها غيره ، وقد روى ما هو أبلغ منها أو نظيرها كقوله : (فترد إليه روحه) وقوله : (فتصير إلى قبره فيستوى جالساً) .

وقوله فيجلسانه ، وقوله فيجلس في قبره .

وكلها أحاديث صحاح لا مغمز فيها .

وقد أعل غيره بأن زاذان لم يسمعه من البراء ، وهذه العلة باطلة .

فإن أبا عوانة الأسفراييني رواه في صحيحه بإسناده ، وقال عن أبي عمرو زاذان الكندي قال : سمعت البراء بن عازب .

وقال الحافظ أبو عبد الله بن منده : هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء .

ولو نزلنا عن حديث البراء فسائر الأحاديث الصحيحة صريحة في ذلك
مثل حديث بن أبي ذؤيب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن
أبي هريرة الخ (انتهى) .

إخراج الروح بين الكفن والجسد ، وسماع الميت الكلام ، ومعرفة من
يحملة ، ومن يغسله ، ومن يدليه في قبره :

اعلم أن الميت إذا غسل وكفن أدرجت روحه بين الكفن والجسد ، فإذا
دفن ردت فيه الروح ، يشهد لذلك ما رواه الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه :
إن الملائكة ترفع الأرواح حتى توقفها بين يدي الله عز وجل ، فإن
كانت من أهل السعادة قال : سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون
بها في الجنة على قدر ما يغسل الميت .

فإذا غسل وكفن ردت ، وأدرجت بين كفنه وجسده ، فإذا غسل
على النعش فإنه يسمع كلام من تكلم بخير ، أو تكلم بشر ، فإذا وصل إلى
المصلى ، وصلى عليه ، ودفن ردت فيه الروح ، وتعد ذا روح وجسد ،
ودخل عليه الملكان الفتانك (أى منكر ونكير) فيسألانه إلى آخر ما ورد .

دل هذا الحديث على أن الروح تعاد بين الجسد والكفن ، ولكن هذا
العود غير التعلق الذي كان بالبدن في الدنيا ، وغير تعلقها به في حال النوم ،
وغير تعلقها به في القبر .

وروى الإمام أحمد في مسنده من رواية رجل اسمه معاوية أو ابن معاوية
نسبه عبد الملك بن حسن الحارثي يحدث عن أبي سعيد الخدري أن النبي (صلى
الله عليه وسلم) قال : إن الميت يعرف من يحملة ، ومن يغسله ، ومن يدليه
في قبره ، بأن يدرك ذلك بسبب اتصال شعاع الروح به) .

فقال ابن عمر : وهو في المجلس ممن سمعت هذا ؟ قال من أبي سعيد :
فانطلق ابن عمر إلى أبي سعيد فقال : يا أبا سعيد ممن سمعت هذا ؟ قال : من
النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وأخرجه أيضاً ابن جرير في تهذيبه عن أبي سعيد ، وفي إسناده من لم يعرف

عزرائيل

(عزرائيل) معناه بالعربية عبد الجبار - وهو أحد الملائكة الأربعة الرؤساء (جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل) .

وهو ملك الموت ورسوله : وقابض جميع الأرواح بإذن الله ومشيثه . بعد أن تستوفي كل نفس رزقها وينقضي أجلها . سواء أكانت أرواح إنس وجن وملائكة أم أرواح بهائم وطيور وحشرات خلافاً للمعتزلة فإنهم قالوا : إن ملك الموت لا يقبض إلا أرواح الإنس والجن فقط .

روى الطبراني وغيره أن ملك الموت قال : (والله لو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذى يأذن بقبضها) .

وله أعوان عديدون يساعدونه فى أداء مهمته .

فقد أخرج بن جرير الطبرى وأبو الشيخ فى العظمة عن الربيع بن أنس أنه سئل عن ملك الموت هل هو وحده الذى يلى قبض الأرواح ؟ قال : هو الذى يلى أمر الأرواح . وله أعوان على ذلك . غير أن ملك الموت هو الرئيس .

وهو ملك عظيم هائل المنظر مفزع جداً . يترفق بالمؤمن ولا سيما الصالح المخلص . ويأتيه فى صورة حسنة ، ويجذب روحه بسهولة ولطف . ويخاطبها بكلام حسن فيقول لها : (اخرجي أيتها النفس (أى الروح) الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجي حميدة ، وأبشري بروح وريحان . ورب راض غير غضبان . فلا يزال يقال لها حتى تخرج :

ويشتد بغير المؤمن . ويقول لروحه : (اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها حتى تخرج) .

وهو الذى يقبض أرواح خلق كثيرين فى لحظة واحدة قد ماتوا جميعاً فى وقت واحد فى أماكن متعددة بأن تكون الدنيا كلها أمامه كالقصعة بين يدي الآكل يأخذ منها ما شاء .

فمن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لقي جبريل ملك الموت بنهر فارس فقال : (يا ملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوبا ؟ فهنا عشرة آلاف ، وههنا كذا وكذا ؟) . فقال له ملك الموت : (تزوى لى الأرض (أى تقبض وتجمع) حتى كأنهم بين فخذى فالتقطهم بيدي) .

وأخرج بن أبي الدنيا وأبو نعيم عن أشعث بن سليم (بالتصغير) قال : سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان فى وجهه . وعينان فى قفاه فقال : (يا ملك الموت ما تصنع ؟ إذا كانت نفس بالمشرق ، ونفس بالمغرب ، ووقع الوباء بأرض ، والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال : (أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعي هاتين . قال : ودحيت له الأرض فركت مثل الطست يتناول منها كيف يشاء) .

هذا وقد كان عزرائيل يأتى للناس عياناً إلى موت موسى عليه الصلاة والسلام ثم أتاهم خفية رحمة بهم ، وشفقة عليهم .

فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن ملك الموت كان يوثق للناس عياناً (بكسر العين أى المشاهدة) فأتى موسى فى صورة آدمى فلطمه موسى فقفاً عينه ، فأتى عزرائيل ربه فقال : يا رب عبدك موسى فقفاً عيني ، ولولا كرامته عليك لشققته عينه قال : اذهب إلى عبدى فقل له : فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة . فأتاه .

فقال موسى لملك الموت : ما بعد هذا ؟ قال : الموت قال : فالآن ، فشمه شمة فقبض روحه ، ورد الله على عزرائيل عينه .

فكان بعد ذلك يأتى الناس خفية .

وهذا الحديث رواه أيضاً البخاري ومسلم موقوفاً على أبي هريرة من طريق طاووس ، ومرفوعاً إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من طريق همام بن منبه (وهو أخو وهب بن منبه التابعى المشهور) .

قال الحافظ بن حجر وهذا هو المشهور عن عبد الرزاق ، وقد رفع محمد ابن يحيى عن أبي هريرة رواية طاووس أيضاً (أخرجه الإسماعيلي) .

وهنا يسأل بعض الناس السؤال الآتي :

كيف أقدم موسى وهو نبي الله ورسوله على ضرب ملك الموت وفقه عينه حين أراد قبض روحه ؟

وأحسن جواب قيل :

إن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد أخبره ربه أنه لا يميته حتى يخبره ، فلما جاءه ملك الموت أولاً على غير هذا الوجه ظنه آدمياً قد تسور عليه منزله بدون إذن منه ليوقع به مكروهاً فبادر بلطمه تأديباً له ، ودفاعاً عن نفسه ، فأدت المدافعة إلى فقء عينه ، فلما رجع إليه وخبره طبق ما عنده عرف أنه ملك الموت فاستسلم واختار الموت .

وعزرائيل آخر من يموت من الخلائق ، وأما بقية الملائكة فإنهم يموتون عند النفخة الأولى إلا من شاء الله فمن جملة المستثنى الرؤساء الأربعة فهولاء يموتون بعد النفخة الأولى (نفخة الصعق) ويحيون قبل النفخة الثانية (نفخة البعث والإحياء) .

فإن قلت : قال الله تعالى في سورة الزمر :

« الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » .

وقال في سورة السجدة :

« قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم » .

وقال في سورة الأنعام :

« حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » .

فقد أسند التوفى إلى الله في سورة الزمر وإلى ملك الموت (عزرائيل) في سورة السجدة ، وإلى أعوان ملك الموت من الملائكة في سورة الأنعام فكيف الجمع بين هذه الآيات الثلاث ؟

قلنا وجه الجمع بين هذه الآيات : أن المتوفى (بكسر الفاء المشددة) في الحقيقة هو الله تعالى فإذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روح العبد . ولملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من

جسده . فينزعوها من العصب والعظم والعروق فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى ملك الموت قبضها بنفسه .

فحصل الجمع والتوفيق بين هذه الآيات والله أعلم .

رسل ملك الموت ونذره :

روى في الحديث أن بعض الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) : قال لملك الموت . أما لك رسول تقدمه بين يديك ؟ ليكون الناس على حذر منك فقال : (نعم) .

والله لي رسل كثيرة من العلل والأمراض والشيب ، ونقص السمع والبصر . فإذا لم يتفكر من نزل به ذلك في الموت ولم يتب : ولم يحصل الزاد ناديته عند قبض روحه .

ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول ؟ ونذيراً بعد نذير ؟

فأنا الرسول الذي ليس بعدى رسول ، وأنا النذير الذي ليس بعدى نذير .

وفي الحديث أيضاً (ما من يوم تطلع شمسه إلا وملك الموت ينادى : يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد ، أذهانكم حاضرة ، وأعضاؤكم قوية شديدة ، يا أبناء الخمسين قد دنا الأخذ والحصاد . يا أبناء الستين قد نسيت العقاب وسوء الحساب) .

« أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير » .

ذكره ابن الجوزي رحمه الله ، وكان الطبري رحمه الله يقول : (النذير في هذه الآية هو الشيب) .

وما أحسن قول القائل (من بحر الوافر) . :

رَأَيْتُ الشَّيْبَ فِي نُذْرٍ الْمَنَايَا	يُذَكِّرُنِي بِعُمُرٍ لِي قَصِيرٍ
تَقُولُ النَّفْسُ غَيْرُ لَوْ أَنَّ هَذَا	عَسَاكَ تَطِيبُ فِي عُمُرٍ يَسِيرٍ
فَقُلْتُ لَهَا الْمَشِيبُ نَذِيرُ عُمُرٍ	ي وَلَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

ويقول العلماء : موت الأهل والأقارب وغيرهم من الأحباب والأصحاب
أبلغ في النذير في كل وقت وزمان .

الموت وسكراته (١) :

قال الله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » . وقال تعالى :
« ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا
أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون » وقال : « فلولاً إذا بلغت الحلقوم ... »
وقال جل شأنه : « كلا إذا بلغت التراقي ... »

إعلم أن للموت المألاً لا يعلمه إلا من نزل به ، وسكرات لا يعرفها إلا من
أحاط به الموت ، وغمرات مزعجات ونزعات للروح فظيعات ، ويقال
في الأثر :

إن الموت أشد من ضرب بالسيوف ، ونشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض
وذلك أن ضرب البدن بالسيف إنما يؤلم مع بقاء قوة في البدن ، ولذلك يستغيث
المضروب ويصيح أما من نزل به الموت فإنه ينقطع صوته عن الصباح لضعف
قوته ! فإن الموت قبله هد كل جزء من أجزاء الجسم فلم يترك قوة للاستغاثة ،
فإن بقي فيه بعض قوة سمع له عند نزع الروح وجذبها غرغرة من حلقه وصدره
وقد اصفر لونه . وارتعدت (٢) فرائضه . وارتفعت الحدقتان والخصيتان إلى
أعلى ، ومات كل عضو منه على حدته . وبسطت يداه إشارة إلى أنه خرج
من الدنيا ولم يأخذ منها شيئاً .

ولكل عضو سكرة بعد سكرة . وكربة بعد كربة حتى تبلغ الروح
الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ، ويفلق دونه باب التوبة ،
وتحيط به الحسرة والندامة .

(١) سكرات الموت : جمع سكرة وهي الشدة ومنه قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت
بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » .

(٢) ارتعدت : أي اضطربت ، وفرائضه : جمع لفريضة وهي لحمة بين الجنب والكتف ،
أو بين الثدي والكتف ترعد وتضطرب عند الفزع والخوف .

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على محتضر فقال : « إني لأعلم ما يلقي ليس فيه عرق إلا وهو يتألم بالموت على حديثه » .

وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : (ما أغبط أحداً بهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم هون على محمد سكرات الموت) .

وروى أن الله تعالى قال لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : (يا خليلي كيف وجدت الموت ؟ قال : كسفود محمى جعل فى صوف رطيب مبالول ثم جذب قال : أما إنا قد هوناه عليك .

وروى أن موسى عاينه الصلاة والسلام لما صارت روحه إلى الله عز وجل قال له ربه : (يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسى كالعصفور الحى يلقي على المقلاة لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير) . وفى رواية قال : (وجدت نفسى كشاة تسليخ بيد القصاب أى الجزار) .

ولما حضرت الوفاة عمرو (١) بن العاص قال له ابنه عبد الله (يا أبتاه إنك كنت تقول لنا : يا ليتنى كنت ألقى رجلاً عاقلاً ليبيأ عند نزول الموت حتى يصف لنا ما يجد ، وأنت ذلك الرجل ، فصف لى الموت فقال : (والله يا بنى كأن جثتى فى جب نار ، وكأنى أتنفس من سم إبرة (أى ثقب إبرة) وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى ثم أنشد يقول :

ليتنى كنتُ قبل ما قد بدا لى فى قلال الجبال أرى الوعولا
فتمنى عمرو بن العاص أنه كان يكون راعياً للتيوس الجبلية فى أعالي الجبال وقممها ، ولم يتول إمارة من الإمارات ، ولم يملك مالا من الأموال .

(١) عمرو بن العاص بن وائل السهمى رضى الله عنه (من بنى سهم بطن من بطون قريش) كان أسن من سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان يقول : أذكر الليلة التى ولد فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم طال به العمر نحو عشرين سنة بعد عمر رضى الله عنه ، وكان مولده فى سنة ٥٧٥ م ووفاته فى سنة ٦٦٣ م عاش ٨٨ سنة شمسية ، وأكثر من ٩٠ سنة قمرية فكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ٤٣ هـ بمصر حين كان والياً عليها وهو القائد العرف العظيم فاتح مصر ومؤسس مدينة الفسطاط ، وبانى بها الجامع المعروف باسمه وبعد أقدم مسجد فى إفريقيا كلها وأحد دهاة العرب ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأجلاء .

والحكمة في شدة الموت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي : أن يتسلى المؤمنون بما وقع للأنبياء من ذلك ، وأن يتصبروا ، وأن يكون هذا مكلاً لمراتبهم العلية ، ومقاماتهم السامية .

قال القرطبي : (لتشديد الموت على الأنبياء فائدتان) :

إحداها : تكميل فضائلهم ، ورفع درجاتهم ، وليس ذلك نقصاً ولا عذاباً بل هو كما جاء : (إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) .
والثانية : أن تعرف الخلق مقدار ألم الموت ، وأنه باطن ، وقد يطعم الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً ، ويرى سهولة خروج الروح فيظن سهولة أمر الموت ، ولا يعرف ما الميت فيه . فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألم الموت مع كرامتهم على الله تعالى قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه ما خلا الشهيد قتيل الكفار فإنه لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم مس القرصة على ما ثبت في الحديث (١ . هـ) .

الموت كفارة للمسلم :

روى أبو نعيم بسند حسن صحيح عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الموت كفارة لكل مسلم) .

قال العلماء : وإنما كان الموت كفارة لكل مسلم لما يلقاه في مرضه وفي قبره من الألم بقرينة قوله : صلى الله عليه وسلم في حديث الإمام مسلم (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة اليابسة ورقها) .

وفي الحديث أيضاً يقول الله عز وجل : (وعزني وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا ، وأريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقماً في جسده أو مصيبة في أهله وولده ، أو ضيقاً في معيشته ، وإقتاراً في رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقي عليه شيء شددت عليه الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه) .

قال العلماء : وهذا بخلاف المسلم الذي لا يحبه الله عز وجل بقرينة حديث :

يقول الله عز وجل : (وعزني وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة في جسده ، وسعة في رزقه ، ورغداً في عيشه ، وأمناً في سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الدر ، فإن بقي شيء هونت عليه الموت حتى يقبض إلى ، وليس له حسنة واحدة يتنى بها النار) .

وفي مثل هذا المعنى ما أخرجه أبو داود بسند صحيح مرفوعاً (موت الفجأة أخذة أسف) (أى غضب) .

وفي رواية للترمذي : (موت الفجأة راحة للمؤمن ، وأخذة أسف للكافر) .

وكان عمر بن الخطاب يقول : إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدد الله عليه سكرات الموت وشدائده حتى يبلغ بذلك درجته من الجنة ، وأما الكافر إذا عمل معروفًا في الدنيا فيموت عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار (١ . هـ) من كتاب مختصر تذكرة القرطبي .

الحجاج وسكرات الموت (١) :

لما حضرت الوفاة الحجاج بن يوسف الثقفي وأيقن بالموت قال : أسندوني ، وأذن للناس بالدخول عليه فدخلوا ، فتذكر الموت وكربه ، واللحد ووحشته ، والدنيا وزوالها ، والآخرة وأهوالها ، وكثرة ذنوبه ، وكان ممن دخلوا عليه أبو المنذر (يعلى بن مخلد) فقال : كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته ؟ قال : « يا يعلى غما شديداً ، وجهداً (٢) جهيداً »

(١) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أحد جبابرة العرب وحكامها ، وأحد الخطباء المصاقم ، والفصحاء المشهورين ، ولد بالطائف (موطن ثقيف) سنة ٤١ هـ ، وكان والياً لعبد الملك بن مروان ثم لابنه الوليد ، وكانت ولايته ما بين الشام والصين وكان سفكاً للدماء بحق وبغير حق إلا أن من مآثره الحسنة الخالدة وضع النقط والشكل للمصحف العثماني ، ونسخه منه عدة مصاحف وإرسالها إلى بقية الأمصار .

مات سنة ٩٥ هـ في مدينة واسط التي بناها بالعراق ، وعاش ٥٤ سنة .

(٢) جهداً (بفتح الجيم) جهيداً : أي تعباً شديداً .

والمأ مضيضاً (١) ، ونزعاً جريضاً (٢) ، وسفراً طويلاً ، وزاداً قليلاً ، فويلي ، ويلي إن لم يرحمني الجبار فقال له : يا حجاج . إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء ، أولى الرحمة والرافة والعطف على عباده وخلقه أشهد أنك قرين فرعون (٣) وهامان لسوء سيرتك . وترك ملتك . وتنكبتك (٤) عن قصد الحق ، وسنن (٥) المهجة ، وآثار الصالحين . قتلت صالحى الناس فأفنيهم وأبرت (٦) عترة التابعين فبرتهم ، وأطعت المخلوق فى معصية الخالق ، وهرقت الدماء (٧) وهكت الأستار . ومسست سياسة متكبر جبار .

ما قيل فى مرض الموت :

لما حضرت سيدنا بلالا رضى الله عنه الوفاة قالت امرأته : واحزنانه . فقال لها بلال : واطرباه . غداً ألقى الأحبة . محمداً صلى الله عليه وسلم وحزبه ، ودخل المزنى (٨) على الإمام الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقال له : كيف

(١) مضيضاً : (أى شاقاً) .

(٢) جريضاً (بجيم مفتوحة وضاء معجمة) : أى نزعاً لا يستطيع معه ابتلاع الريق ، والجريض هو الريق يغص به ومنه المثل : حال الجريض دون القريض (أى حال الغصص بالريق دون الشعر) .

(٣) هامان هو وزير فرعون سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، وفى شأنهم نزل قوله تعالى فى سورة غافر حكاية عن فرعون : « وقال فرعون يا هامان ابنى صرحاً لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً . . . » .

(٤) التنكب : الميل والبعد (والقصد) : الاستقامة ، والمعنى : أن الحجاج يميل عن طريق الحق .

(٥) السنن (بفتحات) الطريق ، والمهجة (بفتح الميم والهاء وبالتشديد الجيم) وسط الطريق ، والمعنى : أن الحجاج لا يسير فى الطريق المستقيم .

(٦) أبرت (بفتح الهزة والباء) : أهلكك ، والعترة (بكسر العين) : النسل ، والذرية تبرتهم (بفتح التاء وكسر الباء) : دمرتهم وأفنيتهم ، والمعنى : أن الحجاج أهلك نسل التابعين حتى دمرهم وأفناهم .

(٧) هرقت : أى أسلت ، والهاء هنا عوض عن الهزة : أى أرقى .

(٨) المزنى : هو إسماعيل بن يحيى المزنى المصرى ، ولد سنة ١٧٥ هـ واتصل بالإمام الشافعى فى مصر سنة ١٩٩ هـ وتفق عليه ، ويعتبر المزنى أفصح وأذكى وأمهر أصحاب الشافعى وأكثرهم تدويناً لمذهبه ، ومن كتبه التى يعول عليها عند الشافعية : المختصر الصغير - وهو الذى نشر به مذهب الشافعى لأن الشافعية تناولوه بالتدريس والشرح وقد تولى سنة ٢٦٤ هـ .

أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال : أصبحت عن الدنيا راحلاً ، وللإخوان
مفارقاً : ولسوء عملي ملاقياً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى ربي وارداً ،
ولا أدري روحى صائرة إلى الجنة فأهنيها ، أو إلى النار فأعزبها ، ثم أنشد
يقول :

ولما قسا قلبي وضاقَتْ مذاهبي
جعلتُ الرِّجاءَ مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلماً
تعاظمني ذنبي فلماً قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلتُ ذا عَفْوٍ عن الذنب لم تزلْ
تجود وتعفو مِنِّي وتكرماً

وقال بعض العلماء : دخلنا على عطاء السلمي نعوده في مرضه الذي مات
فيه فقلنا له : كيف حالك ؟ فقال : الموت في عنقي ، والقبر بين يدي ،
والقيامة موقفي ، وجسر جهنم طريقي ، ولا أدري ما يفعل بي ، ثم بكى بكاءً
شديداً حتى غشى عليه فاما أفاق قال : (اللهم ارحمني ، وارحم وحشي
في القبر ، ومصرعي عند الموت ، وارحم مقامي بين يديك ، يا أرحم
الراحمين) ، وبكى أبو هريرة رضي الله عنه عند الموت فقل له : ما يبكيك ؟
فقال : (أخاف أن أكون قد أتيت بذنوب أحسبه هيناً وهو عند الله عظيم) .

وحكى عن هارون الرشيد أنه لما اشتد مرضه أحضروا له طبيباً فارسياً
فأمر الطبيب أن يعرض بوله عليه مع أبوال كثيرة لمرضى وأصحاء فجعل
يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال : قولوا لصاحب هذا
البول يوصي فإنه قد انحلت قواه ، وتداعت بنيته ، فيشس الرشيد في نفسه
وأنشد يقول :

إن الطبيب له علم يدلّ به^(١) مادام في أجل الانسان تأخير

(١) يدل به (بكسر الهمزة) : أي يتيه ويفتخر به .

حتى إذا ما انقضت أيام مهلته

حار الطبيب وخانتة العقاقير (١)

ثم دعا بكفان فتخير منها كفناً ، وأمر بأن يحفروا له قبراً أمام فراشه
وقال : « ما أغنى عنى ماله . هلك عنى سلطانيه » فمات رحمه الله من ليلته .
ولما اشتد مرض الموت بالسيدة نفيسة (٢) رضى الله عنها وهى صائمة أشار
عليها الأطباء بالإفطار للضعف الذى أصابها فقالت : واعجبا : لى ثلاثون
سنة أسأل الله أن ألقاه وأنا صائمة ، أو أفطر الآن ؟ معاذ الله هذا لا يكون ثم
أنشدت تقول :

اضرّفوا عنى طبيبي ودعوني وحبيبي

زاد بي شوقى إليه وغرامي في لهيبي

جسدى راض بسقمى وجفسونى بنحبي

ثم ابتدأت تقرأ فى سورة الأنعام فلما وصلت إلى قوله تعالى : « لهم دار السلام
عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » .

خرجت روحها إلى بارئها ، وإلى ما أعده الله لها من التكريم فى دار
الكرامة والتنعيم .

وما أحسن قول بعضهم فى خروج روحها الطاهرة :

روح دعاها للوصال حبيبها فأتت إليه مطيعة ومُجيبه

يا مدعى صدق المحبة هكذا صدق المحب إذا دعاه حبيبُه

(١) العقاقير : جمع عقار (بفتح السين وبعدها قاف مشددة) وهو الدواء .

(٢) السيدة نفيسة هى بنت حسن الأنور بن زيد بن الحسن بن الإمام على كرم الله وجهه .
ولدت بمكة سنة ١٤٥ هجرية ونشأت بالمدينة ، وكانت تقية عابدة حجت ثلاثين حجة ، وكانت
زاهدة كثيرة البكاء ، تحفظ القرآن ، وتجيد تفسيره وتتلوه حق تلاوته .

قدمت مصر فى شهر رمضان سنة ١٩٣ هـ ، وقد تلقاها الرجال والنساء بالهوادج من العريش
ثم وهبها أمير مصر إذ ذاك هو (السرى بن الحكم) المكان الذى دفنت فيه .
سمع عليها الإمام الشافعى الحديث ، ولما توفى رحمه الله أدخلت إليها جنازته فصلت عليه
فى دارها ، وقد انتقلت إلى جوار ربها فى شهر رمضان سنة ٢٠٨ هجرية ، وقبرها فى القاهرة
مشهور يقد إليه الزائرون من كل جهة فى القاهرة ولا سيما فى يوم الأحد .

الموت (١)

الموت في الحقيقة كما قال بعض العلماء : — ليس بعدم محض ، ولا فناء
صرف وإنما هو :

انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقة وحيلولة بينهما ، وتبدل حال .
وانتقال من دار إلى دار (أى من دار التكليف والعمل إلى دار البرزخ
والسؤال) .

فقد ورد عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : (إنما خلقتكم للأبد والبقاء ،
ولكنكم تنقلون من دار إلى دار) ، وكان بلال بن سعة يقول في وعظه :
(يا أهل الخلود ، وبأهل البقاء إنكم لم تخلقوا للفناء ، وإنما خلقتم للخلود
والأبد ، وإنكم تنقلون من دار إلى دار) .

وأخرج الإمام أحمد ، وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود
ابن لبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إثنان يكرههما ابن آدم بمكره
الموت والموت خير له من الفتنة ، ويكره قلة المال ، وقلة المال أقل للحساب) .
وأخرج الشيخان (البخاري ومسلم) عن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي
الله عنه قال (٢) :

مر على النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة فقال : مستريح ومستراح منه قالوا :
يا رسول الله ، ما المستريح ؟ وما المستراح منه ؟ فقال : (العبد المؤمن
يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله ، والفاجر يستريح منه العباد
والبلاد والشجر والدواب) .

(١) الإيمان بالموت واجب على الوجه المهود شرعاً من تقدير الآجال إليه فلا يموت
أحد حتى يستكمل أجله المقدر .

(٢) أبو قتادة كنية الراوى واسمه الحارث بن ربعي (بكسر الراء وسكون الباء الموحدة
وبالعين المهملة وتشديد الياء) الأنصاري السلمي (بفتح السين واللام) منسوب إلى أحد أجداده
(كعب بن سلمة) ، شهد أبو قتادة رضي الله عنه غزوة أحد وما بعدها من الغزوات مع المصطفى
صلى الله عليه وسلم ووقع في حضوره غزوة بدر خلاف ، وتوفي بالمدينة سنة ٤٤ هـ هجرية وعمره
سبعون سنة ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٧٠ حديثاً وهو غير قتادة الذي أصيبت
عينه فإن الذي أصيبت عينه هو قتادة بن النعمان .

أما استراحة العباد والدواب من الفاجر فعنها دفع أذاه عنهم ، وأما استراحة البلاد والشجر منه فعنها أنه يغصبها ، ويمنعها حقها من الشرب وغيره وكان أبو الدرداء يقول : (تلدون للموت ، وتعمرون للخراب ، وتحرسون على ما يفنى ، وتذرون ما يبقى ، ألا حبذا المكروهات الثلاث الموت والفقر والمرض) .

وأخرج الإمام أحمد أن ملك الموت جاء إلى إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ليقبض روحه فقال إبراهيم : يا ملك الموت هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله ؟ فعرج ملك الموت إلى ربه فقال له ربه : (قل له : هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله ؟ فرجع قال : فاقبض روحى الساعة) .

تذكر الموت والاتعاظ به :

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تذكرنا بالموت لتلين قلوبنا ، وتقشعر جلودنا ، وتتعظ نفوسنا فإن نسيان الموت ضلال مبين قال الشاعر :

صاح شمر ولا تنزل ذاكر الموت ت فنسيانه ضلال مبين
من ذلك قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » وقوله عز وجل :
« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » وقوله تبارك وتعالى :
« قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

كما وردت في السنة النبوية أحاديث جمّة كلها تحدث على ذكر الموت والاتعاظ به من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (أكثروا من ذكر الموت ، فإنه يمحص الذنوب ، ويزهد في الدنيا) . (رواه ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف جداً) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : (أكثروا من ذكرها ذم اللذات) (يعنى الموت) .

(رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه ، كما رواه غيرهما ومعناه نفصوا بذكر الموت اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها) .

وقوله صلوات الله وسلامه عليه : (كفى بالموت واعظاً) .

(رواه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (١)) .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس يا رسول الله ؟ فقال : (أكثرهم للموت ذكراً ، وأشدهم استعداداً أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا ، وكرامة الآخرة) روى معناه الإمام أحمد ، ورواه ابن ماجه مختصراً ورواه ابن أبي الدنيا بكماله بإسناد جيد) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال : (اذكروا الموت ، أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً) (رواه ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف) .

كذلك وردت أقوال مأثورة في ذكر الموت والاتعاظ به عن بعض الصحابة وسلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين من ذلك :

قالت السيدة صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ، وأم الزبير بن العوام : إن امرأة اشتكت إلى عائشة قساوة قلبها فقالت لها : (أكثرى ذكر الموت يرق قلبك) . ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها) .

وورد : (أن سيدنا عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم رضي الله عنه كان يجمع العلماء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة) .

وقال محمد اللفاف رحمه الله : (من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء

(١) وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التيمي ، ثم اليربوعي خراساني من ناحية مرو مدينة بفارس من قرية يقال لها : (فندين) من الطبقة الأولى من طبقات الصوفية ، ولد بسمرقند ببلاد فارس ، ونشأ بأبيورد من بلاد التركستان ، وأصله من الكوفة ، مات في شهر المحرم سنة سبع وثمانين ومائة بمكة .

- ١ - تعجيل التوبة . ٢ - وقناعة القلب . ٣ - والنشاط في العبادة .
ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء .
 - ١ - تسويف التوبة . ٢ - وعدم الرضا بالكفاف .
 - ٣ - والتكاسل في العبادة .
- وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبراً في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول :
- (لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد) .
- وقال حكيم من الحكماء : (كفى بذكر الموت للقلوب حياة للعمل) .

الاستعداد للموت

والاستعداد للموت يكون بالمبادرة إلى التوبة النصوح التي منها رد المظالم إلى أهلها ، ويكون بكتابة وصيته ولا سيما إذا كان في مرض الموت . . لقوله عليه الصلاة والسلام : (ما حق امرئ مسلم له شيء يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده .

ويكون أيضاً بالمبادرة إلى العمل الصالح لقوله (عليه الصلاة والسلام) (يأبى الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتؤجروا) .

(رواه ابن ماجه عن علي بن زيد بن جدعان)

وكان الحسن البصري يقول : (لا تكونوا من قوم أهلكتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة) .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : (الكيس (١) من دان (٢) نفسه . وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع (٣) نفسه هواها ، وتمنى (٤) على

(١) الكيس (بتشديد ياء مكسورة) : العاقل .

(٢) دان نفسه : أذلها وقيل : حاسبها .

(٣) أتبع نفسه هواها : أى جعل نفسه تابعة لهواها .

(٤) تمنى على الله بأنه كريم غفور رحيم ، غنى عنه وعن عمله فلا يعاقبه بل يدخله الجنة ويعطيه ما يشتهى .

الله الأمانى) . (رواه يعلى شداد بن أوس)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » قال : إذا دخل النور القلب انفسخ وانشرح قالوا : هل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال : (الإنابة إلى دار الخلود ، والتنعى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت) .

(رواه ابن جرير ، وله طرق مرسله ، ومتصلة يشد بعضها بعضاً)

وقال الشاعر الحكيم :

تَأْهَبُ^(١) لِلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ

فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيقَاتُ الْعِبَادِ

أَتَرْفَى أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ

لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادٍ

وقال آخر :

هو الموت فاحذرْ أَنْ يَجِيئَكَ بَغْتَةً

وَأَنْتَ عَلَى سَوْءٍ مِنَ الْفَعْلِ عَاكِفٌ^(٢)

وَإِيَّاكَ أَنْ تُحْصِيَ مِنَ الدَّهْرِ سَاعَةً

وَلَا لِحِظَةً إِلَّا وَقَلْبُكَ وَاجِفٌ^(٣)

وَبَادِرٌ بِأَعْمَالٍ يَسُرُّكَ أَنْ تُرَى

إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ

(١) استعد للموت .

(٢) عاكف : أى مقيم .

(٣) واجف : أى خائف .

وقال آخر :

ستبأشر الغبراء خدك
وسيفضحك الباكون بعدك
وليُنزلن بك البلى
ولَيُخْلِفَنَّ الموتُ عهدك
ومتى رحلت عن الديار
وأهلها وسكنت لحداك
لم تنتفع إلا بفعل
صالح قد كان عندك
وترى الدين قُسمت مآلك
بينهم حصصا وكدك
يتلذذون بما جمعت

لهم ولا يشكون بعدك

فاستعدوا حياة دائمة . ونعيم لا يفنى ، وتذكروا قوله تعالى :
« كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة . فمن زحزح عن
النار وأدخل الجنة فقد فاز . وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

الميت يدفن في الأرض التي خلق منها :

روى الترمذى وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا قضى
الله لعبده أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة) وأنشدوا :

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعتة إليها حاجة فيطير

وروى الحكيم الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بطوف
في نواحي المدينة فإذا بقبر يحفر فأقبل حتى وقف عليه فقال : (لمن هذا

القبر ؟) فقالوا : لرجل من الحبشة فقال : (لا إله إلا الله سيق من أرضه حتى دفن في الأرض التي خلق منها) .

وأخرج ابن ماجه مرفوعاً (إذا كان أجل العبد بأرض أو ثقتة الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره فتوفاه الله بها فبعثه الله فتقول الأرض يوم القيامة : يا رب هذا ما استودعني) .

ومن هنا قال العلماء :

يستحب للعبد إذا سافر أن يخرج عن المظالم ، ويقضى جميع ديونه ، ويوصى بماله وبما عليه فإنه لا يدري هل يرجع من تلك السفرة أو لا .
وأنشد سيدي عبد العزيز الدريني رحمه الله .

إذا ماضاك صدرُك من بلاد	تَرَحَّلْ طالباً بلداً سواها
فإنك واجدٌ أرضاً بأرض	وَنَفْسَكَ لم تجدْ نفساً سواها
مشيناها خُطًى كتبت علينا	ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت مَنِيَّتُهُ بأرض	فليس يموت في أرض سواها

وروى أن رجلاً دخل على سيدنا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال : يا نبي الله لي حاجة بأرض الهند ، وأسألك أن تأمر الريح فتحملني إليها هذه الساعة ، فرأى سيدنا سليمان ملك الموت عنده وهو مبتسم فقال له : مم تبتسم يا ملك الموت ؟ فقال تعجباً :

إني أمرت بقبض روح هذا الرجل في بقية هذه الساعة بالهند وأنا أراه عندك .
روى أن الريح حملت هذا الرجل إلى الهند في تلك الساعة ، وهناك قبض عزرائيل روحه بها والله أعلم (انتهى) بتصرف من مختصر التذكرة القروطية للإمام عبد الوهاب الشعراني رحمه الله .

مناجاة الموت :

مالك يا موت ؟ تفرق بين الأحباب والأصحاب ، وتباعد بين الأقرباء ، وتحول بين القرناء ، تهدم اللذات ، وتقطع الصلات وتقيم البنين والبنات ، وتشتت الجماعات .

مالك يا موت ؟ لا تخاف الأباطرة والأكاسرة ، ولا تخشى الملوك
والقباصرة ، ولا ترهب الأمراء والقادة ، ولا الزعماء والسادة ، تبطش
بالعظيم كما تبطش بالحقير ، وتفنى الشيخ الكبير كما تفنى الولد الصغير ،
وتهلك الكهل القوى ، كما تهلك الشاب الفتى ، لا ترحم مسكيناً ولا فقيراً ،
ولا تترك عزيزاً ولا ذليلاً ، ولا تدع باراً تقياً ، ولا جباراً عصياً .
تنزع الولد من أمه وهو وحيدها ، وقرة عينها ، وفلذة كبدها . وثمره
فؤادها ، فتصبح ثكلى (١) .

وتقضى على الأب وولده لا يزال في المهد صبياً فيصير يتيماً (٢) ، وتخطف
الأم من رضيعها فيسمى عجياً (٣) .
وتفترس الوالدين وولدهما في ريعان الطفولة ، وشرح الصبا ، فيحور
لطماً (٤) .

أنت الذى لك هيبة تخضع لها الرءوس ، وتنحنى لها الظهور ، ولك رهبة
تخضع لها النفوس ، وترجف من أجلها القلوب :
آه (٥) لا مفر منك ، ولا محيص عنك ، ولا مناص من سلطانك ،
ولا إفلات من شباكك .

فأنت سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، وأنت سبيل كل حى ،
وغاية كل كائن . « كل شيء هالك إلا وجهه » ، « كل نفس ذائقة الموت » .
« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة (٦) » ، « قل إن
الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم » .
وأنت الذى قال فيك الشاعر الحكيم :

(١) الثكلى : المرأة التى فقدت ولدها .

(٢) اليتيم من الآدميين من مات أبوه وهو صغير .

(٣) العجى (بفتح العين وكسر الجيم وتشديد الياء) : من ماتت أمه قبل بلوغه .

(٤) اللطم (بكسر الطاء) : من مات أبوه وأمّه قبل البلوغ .

(٥) فائدة (: اليتيم فى الناس من قبل الأب ، وفى البهائم من قبل الأم ، وكل شيء مفرد يعز

نظيره فهو (يتيم) يقال : درة يتيمة .

(٥) آه : اسم فعل مضارع معناه أتوجع وأتضجر وهو يسكون الهاء ، وفاعله مستتر

وجوباً تقديره أنا : أى أتوجع أنا وأتضجر من الموت الذى لا مفر منه .

(٦) بروج مشيدة : أى قصور عالية .

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ

فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ

فَاللَّهُمَّ إِنَّا لَمَوْتٌ مُسْتَعْدُونَ ، وَلِقْضَائِكَ وَقْدَرِكُ مُسْتَسْلِمُونَ ، وَإِنَّا إِلَيْكَ
رَاغِبُونَ ، وَنَحْنُ مِنْ عَذَابِكَ مَشْفِقُونَ (١) ، وَفِي دُخُولِ الْجَنَّةِ طَامِعُونَ ،
وَهَرَوِيَّةُ ذَاتِكَ الْعَلِيَّةُ مَوْلَعُونَ مُشْتَاقُونَ .

مُرَادِفَاتُ الْمَوْتِ :

يُقَالُ لِلْمَوْتِ مَنِيَّةٌ (بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ الْمَفْتُوحَةِ) وَحَمَامٌ
(بِكَسْرِ الْحَاءِ) وَسَامٌ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لِلْيَهُودِ .
وَعَلَيْكُمْ السَّامُ (أَيْ الْمَوْتُ) حِينَمَا قَالَ الْيَهُودِيُّ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
السَّامُ عَلَيْكُمْ ، وَمَنُونٌ (بِفَتْحِ الْمِيمِ ، وَضَمِّ النُّونِ مُخَفَّفَةً) وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى
فِي سُورَةِ الطُّورِ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

« فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ . أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ
بِهِ رِيبَ الْمَنُونِ »

وَيُقَالُ لِلْمَوْتِ أَيْضًا : مَنَى (بِفَتْحِ الْمِيمِ مَعَ الْقَصْرِ) : وَشُعُوبٌ (بِفَتْحِ الشَّيْنِ مَمْنُوعٌ
مِنْ الصَّرْفِ لِأَنَّهُ صَارَ عِلْمًا عَلَى الْمَنِيَّةِ) وَسَمِيَ الْمَوْتُ أَوِ الْمَنِيَّةُ شُعُوبًا لِأَنَّهُ أَوْ أَنَّهَا
تَشْعُبُ الْخَلَائِقَ أَيْ تَفَرِّقُهَا قَالَ نَافِعُ بْنُ لَقِيْطٍ الْأَسَدِيُّ مِنْ بَحْرِ الْكَامِلِ) .

ذَهَبَتْ شُعُوبٌ بِأَهْلِهِ

إِنَّ الْمَنِيَّاتِ لِلرَّجَالِ شُعُوبٌ

وَحِينَ (بِفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الْيَاءِ) فَيُقَالُ نَزَلَ بِفُلَانٍ الْحِينَ أَيْ الْمَوْتُ
وَالْهَلَاكُ . وَمَنْ مَعَانَى أُمِّ قُشَيْمٍ (بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْعَيْنِ مَعَ شَيْنٍ مُعْجَمَةً سَاكِنَةً
بَيْنَهُمَا) الْمَوْتُ وَالْمَنِيَّةُ .

(١) مَشْفِقُونَ : أَيْ خَائِفُونَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ فِي بَيَانِ صِفَاتِ الْمُصْلِينَ
الْحَقِيقِينَ : « وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ » .

ذكر الموت في القرآن :

قد أفاض القرآن الكريم في ذكر الموت لما له من عظيم الأثر في ترفيق القلوب ، وتهذيب النفوس وتمحيص الذنوب . والتزهيد في الدنيا والعمل للدار الآخرة . فوردت كلمة الموت وما تصرف منها في آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل . ولكثرتها اقتضت هنا على الآيات التي ورد فيها لفظ الموت مصدراً فقط . وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن اثنين وخمسين مرة .

هناك بيان الآيات التي ذكر فيها هذا اللفظ مع ذكر اسم السورة ورقم الآية .

١ - قال الله تعالى : « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر

الموت والله محيط بالكافرين » . (سورة البقرة - آية ١٩)

٢ - « ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » .

(البقرة - آية ٥٦)

٣ - « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس

فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » . (البقرة - آية ٩٤)

٤ - « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت (١) » .

(البقرة - آية ١٣٣)

٥ - « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك

التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . (البقرة - آية ١٦٤)

٦ - كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين

والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين » . (البقرة - آية ١٨٠)

٧ - « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » .

(البقرة - آية ٢٤٣)

٨ - « أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي

هذه الله بعد موتها » . (البقرة - آية ٢٥٩)

(١) يعقوب : هو سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام في الله ورسوله

صلى الله عليه وسلم واسمه إسرائيل ويقال لأبنائه الاثني عشر : بنو إسرائيل .

٩ - « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .
(آل عمران - آية ١٤٣)

١٠ - « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » .
(آل عمران - آية ١٦٨)

١١ - « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .
(آل عمران - آية ١٨٥)

١٢ - « واللاقي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً » .
(النساء - آية ١٥)

١٣ - « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً » .
(النساء - آية ١٨)

١٤ - « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » .
(النساء - آية ٧٨)

١٥ - « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً » .
(النساء - آية ١٠٠)

١٦ - « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » .
(النساء - آية ١٥٩)

١٧ ، ١٨ - « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » .
(المائدة - آية ١٠٦)

١٩ - « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » .
(الأنعام - آية ٦١)

٢٠ - « ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون (١) بما كنتم تقولون على الله غير

(١) الهون واخوان : الذل .

- الحق وكنتم عن آياته تستكبرون . (الأنعام - آية ٩٣)
- ٢١ - « يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . » (الأنفال - آية ٦)
- ٢٢ - « ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين . » (هود - آية ٧)
- ٢٣ - « يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت (١) من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ . » (إبراهيم - آية ١٧)
- ٢٤ - « والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون . » (النحل - آية ٦٥)
- ٢٥ - « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون . » (الأنبياء - آية ٣٥)
- ٢٦ - « حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . » (المؤمنون - آية ٩٩)
- ٢٧ - « واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً . » (الفرقان - آية ٣)
- ٢٨ - « كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون . » (العنكبوت - آية ٥٧)
- ٢٩ - « ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله . » (العنكبوت - آية ٦٣)
- ٣٠ - « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون . » (الروم - آية ١٩)
- ٣١ - « ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاًوينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . » (الروم - آية ٢٤)

(١) قوله تعالى : « ويأتيه الموت » : أى ألم الموت وشدة نزع الروح من كل مكان في جسمه وما هو بميت ولكنه الألم والتعب والهم والحزن وعدم الراحة ، والصمير البارز قوله : « يتجرعه » يعود على « ماء صديد » في الآية قبله ، ومعنى : « يتجرعه » يكلت تجرعه وابتلاعه مرة بعد مرة .

- ٣٢ - « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير » . (الروم - آية ٥٠)
- ٣٣ - « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » . (السجدة - آية ١١)
- ٣٤ - « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تتمعون إلا قليلا » . (الأحزاب - آية ١٦)
- ٣٥ - « فإذا جاء الخوف رأيته ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد » . (الأحزاب - آية ١٩)
- ٣٦ ، ٣٧ - « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » . (سبأ - آية ١٤)
- ٣٨ - « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » . (فاطر - آية ٩)
- ٣٩ ، ٤٠ - « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . (الزمر - آية ٤٢)
- ٤١ - « إن هؤلاء ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين » . (الدخان - آية ٣٤ ، ٣٥)
- ٤٢ ، ٤٣ - « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم » . (الدخان - آية ٥٦)
- ٤٤ - « واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون » . (الجاثية - آية ٥)
- ٤٥ - « ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت » . (محمد عليه السلام - آية ٢٠)

٤٧ - « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين » .

(الواقعة - آية ٦٠)

٤٨ - « اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات

لعلكم تعقلون » . (الحديد - آية ١٧)

٤٩ - « قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس

فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » . (سورة الجمعة - آية ٦)

٥٠ - « قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم

الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » . (سورة الجمعة - آية ٨)

٥١ - « وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب

لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » .

(المنافقون - آية ١٠)

٥٢ - « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز

الغفور » . (الملك - آية ٢)

طائفة من الأحاديث والخطب النبوية جاء فيها ذكر الموت :

من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (يوتئى بالموت كهيئة كبش أملح (١)

فينادى مناد . يا أهل الجنة فيشرئبون (٢) ، وينظرون فيقول : هل تعرفون

هذا ؟ فيقولون : نعم . هذا الموت وكلهم قد رآه (٣) ، ثم ينادى : يا أهل النار

فيشرئبون ، وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم : هذا

الموت وكلهم قد رآه . فيذبح (٤) ، ثم يقول :

يا أهل الجنة خلود فلا موت ، يا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ صلى

الله عليه وسلم (قوله تعالى :

(١) (أملح) : أى فيه بياض وسواد .

(٢) يشرئبون : أى يمدون أعناقهم ، ويرفعون رؤوسهم .

(٣) يعرفون أنه الموت بما يلقى الله في قلوبهم أنه الموت .

(٤) قال الشيخ محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ

فى كتابه التذكرة فى أحوال الموتى ، وأمور الآخرة : محال أن ينقلب الموت كبشاً لأن الموت

مرض .

« وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون » .

(سورة مريم - آية ٣٩)

(رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)

وقوله صلى الله عليه وسلم من خطبه ووصاياه :

(أيها الناس : إن لكم معالم (١) ، فانتهوا إلى معالمكم . وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، وإن العبد بين مخافتين بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به ، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه .

فليأخذ (٢) العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب (٣) ، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة والنار) .

(رواه البيهقي في شعب الإيمان)

وقوله عليه الصلاة والسلام (في خطبة أخرى يذكر فيها الموت :

(أيها الناس ، كأن الموت فيها (٤) على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذي نشيع من الأموات سفر (٥) عما قليل إلينا راجعون . نبوتهم (٦) أجداثهم . ونأكل من تراثهم (٧) كأننا مخلدون بعدهم . نسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة (٨) .

= وإنما المعنى : أن الله سبحانه يخلق شخصاً يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار ، وهكذا كلما ورد عليك في هذا الباب فالتأويل فيه ما ذكرت لك .

(١) المعالم : أي الآثار ، والمراد بها هنا أوامر الدين ونواهيها .

(٢) أي فليبذل العبد من جهده اليوم ما يكفل لنفسه الخير في الغد .

(٣) المستعقب (اسم مفعول) : أي طلب الإعتاب . والمعنى : أنه لا مجال بعد الموت

لطلب المغفرة للذين لم يعملوا في الدنيا عملاً صالحاً .

(٤) فيها : أي في الدنيا .

(٥) سفر (بفتح السين وسكون الفاء) : جمع لسافر مثل صاحب وصاحب ، وراكب

وركب : أي مسافرون ، وبابه ضرب .

(٦) نبوتهم أجداثهم : أي نزلهم في قبورهم .

(٧) تراثهم : أي ميراثهم ومنه قوله تعالى : « وتأكلون التراث أكلاً لما » .

(٨) الجائحة : أي الآفة ، يقال : جاحت الآفة المال تجوحه جوحاً من باب قاله :

إذا أهلكته .

(واتقوا الله حق تقاته (١) . واسعوا في مرضاته . وأيقنوا من الدنيا بالفناء . ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت . فكأنكم بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل . ألا وإن من في الدنيا ضيف وما في يده عارية . وإن الضيف مرتحل . والعارية مردودة . ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صدق يحكم فيها ملك قادر .
 فرحم الله امرأً نظر لنفسه . ومهد لرمسه (٢) . مادام رسنه (٣) مرخى ، وحبله على غاربه (٤) ملق قبل أن ينفذ أجله . وينقطع عمله .

كراهة تمنى الموت :

يكره للإنسان أن يتمنى الموت لفقر أو مرض أو ضر نزل به لما رواه الجماعة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل : (اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي) .
 فإن خاف أن يفتن في دينه فإنه يجوز له تمنى الموت بلا كراهة .
 فما حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله في دعائه :
 (اللهم إني أسألك فعل الخيرات . وترك المنكرات . وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني . وإذا أردت فتنة في قومى فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقرب إلى حبك) .
 (رواه الترمذى (٥) . وقال : حسن صحيح)

-
- (١) بأن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى .
 (٢) الرمس (بفتح الراء وسكون الميم) : القبر جمعه رموس مثل فلس وفلوس .
 (٣) الرسن (بفتح الراء والسين) : الحبل الذى يوضع في رأس الدابة لتشد به جمعه أرسان وأرسن ، ويقال : رسن الفرس : شده بالرسن ، وبابه نصر ، وأرسنه أيضاً .
 (٤) الغارب (بكسر الراء) : ما بين السنام إلى العنق .
 (٥) الترمذى : هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ، ولد بترمذ (مثلثة التاء والميم والمشهور فيهما الكسر) وهى مدينة على نهر جيحون سنة ٢٠٠ هـ مائتين هجرية سمع الحديث من البخارى وغيره ، وكان إماماً ثقة ألف كتاب السنن ، وكتاب العلل ، وكان ضريراً ، توفى بترمذ أو آخر شهر رجب سنة ٢٧٩ هـ ، وهو غير الحكيم الترمذى صاحب نوادر الأصول .
 واعلم أن ما قال عنه الترمذى حديث غريب : يريد أنه ضعيف ، وما قال عنه حسن غريب أو صحيح غريب يريد أنه تفرد به راوٍ في بعض طبقاته أو جميعها وهو المصطلح عليه .

نعي (١) الميت وراثته :

يستحب إعلام الناس وإخبارهم بموت الشخص ولا سيما أهله وأقاربه .
وأصدقائه ليكون لهم أجر المشاركة في تجهيزه من تغسيله وتكفينه وتشيعه
ودفنه ، ولتكثير المصلين عليه ، والمستغفرين له ، وتنفيذ وصاياه وقضاه
ديونه .

فقد روى الشيخان وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى لأصحابه
النجاشي (ملك الحبشة) في اليوم الذي مات فيه وخرج إلى المصلى فصف
أصحابه ، وكبر عليه أربعاً .

وأنه نعى أيضاً لأصحابه زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله
ابن رواحة الذين قتلوا شهداء في غزوة مؤتة قبل أن يأتيه خبرهم معجزة له
صلى الله عليه وسلم .

على أن يكون الإعلام خالياً من الضجيج والبكاء والنياحة كما كان يفعله
أهل الجاهلية ، وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن مثل نعي الجاهلية .
ونعى الميت في الصحف اليومية وغيرها جائز بشرط الاقتصار على ذكر
اسم (٢) الميت واسم أبيه وجده ، وبيان زمان ومكان التشيع ونحو ذلك مما هو
ضروري في النعي . وعدم حشد أسماء فيه لا داعي لذكرها شرعاً كما يفعل
كثير من المصريين في زماننا هذا .

(١) يقال في اللغة : نعى ينمى (بفتح العين في الماضي والمضارع) لنا وإلينا فلاناً نعيًا :
أخبر بموته . فالنعي : هو الإخبار بالوفاة .

(٢) خذ مثالين للنعي الجائز نشرًا بجريدة الأهرام :

الأول - نشر بها في يوم ١٠/٩/١٩٧٢ م صفحة ٩

وفاة عالم جليل

شيعت أمس جنازة فضيلة المرحوم الشيخ على عواد المفتش بالأزهر .

للفقيه الرحمة ، ولأهله الصبر والسلوان ، والعزاء بمنزله ٣ شارع الشيخ طاهر الجزائري بشبرا.

الثاني : نشر بها أيضاً في يوم ١٩/٩/١٩٧٢ م :

مصاب آل الشعاعي بالقاهرة

شيعت أمس جنازة المرحوم الحاج حسن الشعاعي عميد أسرة الشعاعي بالقاهرة - تلغرافياً :

٤ شارع الركبية قسم الخليفة .

وغير ضهم من ذلك المباهاة والافتخار وإشعار الغير بأن الميت من قبيلة عريقة في المجد يشار إليها بالبنان ، وأنه قريب فلان العظيم وابن نخالة الوزير الخطير ، وابن عمه المرحوم الباشا فلان بن المرحوم فلان باشا ، وصهر فلان الموظف الكبير ، وابن نخالة المرحوم فلان مدير . . .

وربما يكون هؤلاء لا يعرفون الميت بل يسمعون عنه . وليست لهم به صلة من قريب أو من بعيد ، قاتل الله حب التباهي والظهور ، قاصم الظهور ، وجالب الديون .

فإن كان الغرض ما ذكرنا كره على الأقل نعيه في الصحف وغيرها لأن فيه إضاعة للمال بدون جدوى . وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا : (القيل والقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال) .

ولأن المباهاة والافتخار منهي عنهما شرعاً .

هذا إذا لم يكن في ورثة الميت صغار هم في حاجة ملحة إلى المال الذي ينفق في النعي وما شابهه فإذا كان فيهم من ذكر حرم النعي .

وذكرى الأربعين والذكرى السنوية والإعلام عنهما في الصحف فمن باب إضاعة المال المنهي عنها شرعاً . فضلاً عن أن كلا منهما بدعة سيئة .

وأما رثاء (١) الميت : وهو تعديد محاسن الميت ، والثناء عليه بشعر أو غيره فإنه جائز ما لم يكن في الرثاء كذب صراح ، أو إفراط في مدح الميت ، أو فيه ألفاظ تتنافى مع سماحة الدين الإسلامي وأصوله كإسناد الخطأ إلى الموت ، وكالعيب على القضاء والقدر والعياذ بالله فإنه حينئذ ينهى عنه شرعاً .

= وهالك مثالا للنعي غير الجائز شرعاً ، نشر بجريدة الأهرام في يوم ١٠/٩/١٩٧٢ م :

مصائب آل فلان الفادح ب . . .

توفيت إلى رحمة الله تعالى الحاجة فلانة بنت فلان بن فلان كريمة المرحوم فلان بن كلان ابن فلان وحفيدة المرحوم فلان بن فلان عمدة . . . السابق ، وزوجة المرحوم فلان بن فلان ، وشقيقه السيد فلان بن فلان من أعيان . . . وحرمة الأستاذ فلان . . . مراقب التفتيش العام بشركة . . . لتصدير الحاصلات . . . إلى آخر السطر الخامس والستين .

وقد يصل النعي في الأهرام إلى مائة سطر بل يزيد ، وغالبه حشو وحشد أسماء لا غرض لأهل الميت من ذكرها إلا الفخر والمباهاة وحب الظهور .

(١) الرثاء (بكسر الراء) : من رثى يرثى (بفتح الثاء في الماضي وكسرها في المضارع) رثياً (بفتح الراء وسكون الثاء) ، ورثاء ورثاية (بكسر الراء فيهما) من باب رمى ، ويقال فيه أيضاً : رثا يرثو رثوا من باب عدا يعدو عدوا . . .

ومن أمثلة ذلك ما حدثنا به التاريخ فقد حدثنا أنه لما توفي الخليفة العباسي ببغداد (المستنصر بالله سنة ٦٤٠ هـ) أيام الملك الصالح الأيوبي (نجم الدين أيوب) عمل هذا الملك له حفلة عزاء في مصر جمع فيها العظماء والقراء والشعراء وغيرهم . فأنشد بعض الشعراء في مرثيته (من بحر الخفيف) :

مات من كان بعض أجناده الموت ومن كان يختشيه القضاء
فأنكر عليه سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله وأمر بتأديبه
وحبسه لما تضمنته قصيدته من التعرض للقضاء بقوله : من كان بعض أجناده
الموت تعظيماً لشأن هذا الخليفة الميت وأن مثله ما كان ينبغى أن يخلو منه
منصب الخلافة .

وقوله يختشيه القضاء يشير بهذا إلى أن الله عز وجل كان يخاف منه وهذا
كفر والعياذ بالله . فأقام بعد التأديب في الحبس زمناً طويلاً ولم يخرج من
السجن إلا بعد شفاعاة الأمراء والرؤساء لدى الشيخ عز الدين لهذا الشاعر
الآثم . ثم استثابه الشيخ وأمره بأن ينظم قصيدة يثنى فيها على الله عز وجل
كفارة لما تضمنه شعره من التعرض للقضاء والقدر (١) .

ومن أمثلة المبالغة في الرثاء والإغراق في المدح ، والخروج عن الحد
المعقول ما قاله بشارة الحورى الشاعر اللبناي في رثاء وتأبين الزعيم المصرى
سعد زغلول (٢) بمناسبة إقامة حفل الأربعين من وفاته فما قاله : (من بحر
البسيط) :

جاء النبيون من قبلُ فما لأُمّوا
وجاء سعدٌ فشمّلُ الشرقِ مُلتَمُّ

(١) من كتاب الإبداع للشيخ على محفوظ .

(٢) ولد سعد زغلول في قرية أبيانة بالوجه البحرى سنة ١٨٥٧ م ودرس بالأزهر الشريف ، واتصل بزعماء الحركة الفكرية ، وكان رحمه الله زعيماً سياسياً ، وخطيباً مفوهاً ، ومحامياً ممتازاً ، وقاضياً محكماً ، مات في اليوم الخامس والعشرين من أغسطس سنة ١٩٢٧ م . وفي يوم الجمعة الموافق ٧ من أكتوبر من هذه السنة أقيمت له حفلة التأبين الكبرى ، وتوافد إليها المتوافدون ، ورثاء فيها الخطباء والشعراء الذين جاءوا من كل حدب ينسلون .

إِنْ أَنْ أَنْتَ لَهُ بَغْدَادُ وَانْخَلَعْتُ

لَهُ دِمَشْقُ وَرَاحَ الْبَيْتُ يَلْتَطِمُ

لَطْفُ الْمَسِيحِ مَذَابٌ فِي مُحَاجِرِهِ

وَعِزُّهُ أَحْمَدُ فِي جَنْبِيهِ يَحْتَدِمُ

أقول : قد خرج الشاعر الحورى بشعره هذا عن الحد المعقول . والحد الشرعى أيضاً ، ولكن ليس بعد الكفر ذنب .
وصدق الله إذ يقول :

« وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (١) .
ومن الرثاء المبالغ فيه ما قاله أبو الحسن الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ .
يرثى به أبا طاهر محمد بن بقرية (وزير عز الدولة بن بويه) ، وكانت قد وقعت حرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة انتصر في هذه الحرب عضد الدولة فقبض على الوزير ، وقتله بين أرجل الفيلة ثم صلبه .
وهى من أعظم الرثاء ، ولم يسمع بمثله فى مصلوب كما قيل : حتى إن عضد الدولة الذى صلبه تمنى لو كان هو المصلوب ، وقيلت فيه : (وهى من بحر الوافر) .

عَلَوُ^(٢) فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ

لَحَقُّ أَنْتَ إِحْدَى الْمَعْجَزَاتِ

كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا

وُفُودُ نَدَاكَ^(٣) أَيَّامَ الصَّلَاتِ^(٤)

(١) سورة الشعراء الآيات : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) أى أن ارتفاع أبى طاهر على الجذع الذى صلب عليه فيه علو ورفعة له .

(٣) الندى : الكرم . (٤) الصلوات (بكسر الصاد) : جمع صلاة العظيمة .

كأنك قائم فيهم خطيباً
 وكلُّهم قيام للصلاة
 مددت يديك نحوهم احتفاءً^(١)
 كمدّهما إليهم بالهبات^(٢)
 ولما ضاق بطن الأرض عن أن
 يضمّ علاك من بعد الوفاة
 أصاروا الجو قبرك واستعاضوا
 عن الأكفان ثوب السافيات^(٣)
 لعظمك في النفوس بقيت تُرعى
 عن الأكفان ثوب السافيات
 لعظمك في النفوس بقيت تُرعى
 بحُرّاس وحفاظ ثقات
 وتوقّد حولك النيران ليلاً
 كذلك كنت أيام الحياة
 ركبت مطيّة^(٤) من قبل زيد^(٥)
 علاها في السنين الماضيات

(١) الاحتفاء : المبالغة في الإكرام . (٢) الهبات : جمع هبة وهي العطية .
 (٣) السافيات : الرياح التي تذر التراب ، وثوبها هو : ما يلصق بالمصلوب من التراب .
 (٤) المطية : الدابة ، والمراد بها هنا الخشبة التي صلب عليها أبو طاهر .
 (٥) زيد هو : زيد بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين طالب بالخلافة في زمن هشام
 ابن عبد الملك فقتل وصلب .

ولم أر قبل جذعك قط جذعاً
 تمكن من عناق المكرّمات
 أسأت إلى النوائب فاستشارت^(١)
 فأنت قتيل ثأر النائبات
 وكنت تجيرنا من صرف^(٢) دهر
 فعاد مُطالباً لك بالترّات^(٣)
 وصير^(٤) دهرُك الإحسان فيه
 إلينا من عظيم السيئات
 وكنت لمعشر^(٥) سعداً فلما
 مضيت تفرقوا بالمنحسات
 غليل^(٦) باطنُك في فؤادي
 يخفّف بالدموع الجاريات
 ولو أني قدرتُ على قيام
 بفرضك والحقوق الواجبات
 ملأت الأرض من نظم القوافي
 ونُحتُ بها خلاف^(٧) النائحات

(١) استشارت من الثأر بمعنى طالبت بثأرها ، فأنت قتيل ثأر المصيبات .

(٢) تجيرنا : أي تحفظنا وتنقذنا من صرف دهر : أي حوادثه .

(٣) الترات : جمع ترة وهي الثأر .

(٤) يعني أن الدهر قلب الحال علينا فصير الإحسان إساءة عظيمة .

(٥) أي كنت لجماعة سعداً ، فلما مضيت : أي مت تبدل سعدهم نحساً وشقاء .

(٦) غليل (بالغين المعجمة) : أي حقد مستتر في قلبي من أجلك .

(٧) أي وبكيت بالأشعار على خلاف نوح النساء .

ولكني أصبر عنك نفسي
مخافة أن أعدَّ من الجناة

ومالك تربة فأقول تسقى (١)
لأنك نصب هطل الماطلات

عليك تحية الرحمن تترى (٢)
برحمات غواد رائحات

رثاء (٣) الإمام علي لرسول الله :

قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهيزه : (بأبي
أنت وأمي ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء ،
وأخبار السماء ، خصصت (٤) حتى صرت مسلماً ، وعممت حتى صار الناس
فيك سواء .

ولولا أنك أمرت بالصبر . ونهيت عن الجزع ، لأنفدنا عليك ماء
الشئون (٥) .

بأبي أنت وأمي ، أذكرنا عند ربك ، واجعلنا من باللك .

رثاء السيدة عائشة رضي الله عنها لوالدها :

لما توفي سيدنا أبو بكر الصديق ذهبت ابنته السيدة عائشة رضي الله عنها

(١) أي ليست لك تربة وقبر فأقول : تسقى بالمطر لأنك جعلت علماً منصوباً للسحاب
التي يتتابع مطرها .

(٢) تترى : متتابعة مع رحمت تتعاقب تذهب الواحدة فتأتي الأخرى .

(٣) هذا الرثاء مكتوب في الجزء الأول صفحة ٤٩١ من نهج البلاغة وعليه شرح المرحوم
الشيخ محمد عبده والجميع طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر .

(٤) أي خص النبي صلى الله عليه وسلم أقاربه وأهل بيته حتى كان فيه الغنى والسلوة لهم
عن من سواه ، وهو برسالة عام للخلق فالناس بالنسبة إلى دينه سواء .

(٥) لأنفدنا : أي لأفنيها على فراقك ماء عيوننا الجاري من شئونه وهي منابع الدمع
من الرأس .

إلى قبره . ثم وقفت بجانب القبر فرثت أباه رثاء رائعاً وأبنته تأبيناً بليغاً ،
يأخذ بمجامع القلوب ، ويعطيك صورة صادقة صالحة لا تكذيب فيه
ولا تأثيم ، فيما قالته :

نضر (١) الله يا أبت وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ؛ فلقد كنت
للدنيا مذلاً بإدبارك عنها . وللآخرة معزاً بإقبالك عليها .
ولئن كان أجل (٢) الحوادث بعد رسول الله رزؤك (٣) ، وأعظم المصائب
بعده فقذك (٤) .

إن كتاب الله تعالى ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض عنك ، وأنا
أستنجز (٥) موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضيه (٦) بالاستغفار لك .
فعليك سلام الله توديع غير قالية (٧) لحياتك ، ولا زارية على القضاء
فيك .

وقالت ليلي الأخيلية (٨) المتوفاة سنة ٨٠ هـ من قصيدة لها (من بحر
الطويل) في الرثاء :

لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌّ عَلَى الْفَتَى
إِذَا لَمْ تُصَبِّهُ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ (٩)
وَمَا أَحَدٌ حَيٌّ وَإِنْ عَاشَ سَالِمًا
بِأَخْلَدَ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ

-
- (١) نضر : أى حسن وزين .
(٢) أعظم المصائب .
(٣) الرزء (بضم الراء وسكون الزاى) : المصيبة .
(٤) فقذك : أى موتك .
(٥) استنجز : أى أسأل الله إنجاز الموعود بالصبر .
(٦) أستقضيه : أى أطلب من الله قضاءه بالاستغفار لك .
(٧) غير قالية لحياتك : أى غير كارهة لها ولا مبغضة ومنه قوله تعالى : « ما ودعك
ربك وما قلى » : أى ما تركك ربك ولا أبغضك .
(٨) هى بنت عبد الله الأخيلية من عامر كانت شاعرة عظيمة ، وكان توبة يهواها ، وهو
من بنى عقيل من عامر أيضاً وقال فيها الشعر .
(٩) المعايير : (المعايير) .

وكل شباب أو جديد إلى بلى

وكل امرئ يومًا إلى الله صائرٌ

يا أبت إن في الله عوضاً عن فقدك ، وفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة من مصيبتك ، ثم قالت :

اللهم نزل بك عبدك خالياً مقفراً من الزاد ، محشوشاً (١) المهاد ، غنياً عما في أيدي العباد ، فقيراً إلى ما في يديك يا جواد ، وأنت أي رب خير من نزل به المؤمنون ، واستغنى بفضلته المقلون ، وولج في وسع رحمته المذنبون .
اللهم فليكن قرى عبدك منك رحمتك ، ومهاده جنتك ، ثم بكت وانصرفت .

رثاء أعرابية لولدها :

أصيبت أعرابية بابنها وهي حاجة ، فلما دفنته قامت على قبره وقالت :
(والله يا بني : لقد غدتك رضيعاً ، وفقدتك سريعاً ، وكأنك لم يكن بين الحالين مدة ألتذ بعيشك فيها ، فأصبحت بعد النضارة ، ورونق الحياة ، والتنسم في طيب روائحها تحت أطباق الثرى جسداً هامداً . رفاتاً صحيحاً ، وصعيداً (٢) جرزاً .

أي بني : لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفناء ، وأسكنتك دار البلى ، ورمتني بعدك نكبة الردى .

أي بني : لقد أسفر لي عن وجه الدنيا صباح داج ظلامه ، ثم قالت :
أي رب : ومنك العدل ، ومن خلقت الجور ، وهبته لي قرّة عين فلم تمتعني به كثيراً .

بل سلبتني وشيكاً (٣) ، ثم أمرتني بالصبر ، ووعدتني عليه الأجر ، فصدقت وعدك ، ورضيت قضاك فرحم الله من تراحم على من استودعته الردم (٤) ، ووسدته الثرى .

(١) محشوش المهاد : أي مقطوع الفراش ، يقال : حش الحشيش قطعاً .

(٢) صعيداً : (أي تراباً) ، وجرزاً : (أي لا ينبت) .

(٣) وشيكاً : (أي سريعاً) . (٤) الردم هو : السد ، والمراد به القبر .

اللهم ارحم غربته ، وآنس وحشته ، واستر عورته يوم تكشف الهنات (١) والسوءات .

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها قالت :

أى بنى : إني قد تزودت لسفري فليت شعري (٢) ما زادك ؟ لبعد طريقك ، ويوم معادك .

اللهم إني أسألك الرضا برضائي عنه ثم قالت :

استودعتك من استودعتك في أحشائي (٣) جنينا ، وأثكل الوالدات ما أمض (٤) حرارة قلوبهن وأقلق مضاجعهن ، وأطول ليلهن ، وأقصر نهارهن ، وأقل أنسهن ، وأشد وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان .

الإحداذ (هـ) على الميت وحكمه :

الإحداذ الشرعى : هو ترك لبس ما فيه زينة من الثياب ، وترك الكحل والطيب والحلى ، وما أشبه ذلك .

والإحداذ على الميت المحرم (بفتح الميم والراء) مباح مدة ثلاثة أيام بلياليها من الوفاة ومحرم بعد ذلك ، ما لم يكن الميت زوجاً فإن امرأته تحدد عليه أربعة أشهر وعشرة أيام وجوباً وهى مدة عدة المتوفى عنها زوجها المذكورة في قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » . (سورة البقرة - آية ٢٣٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد (أى تترك الزينة) على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً) .

(١) الهنات (بفتح الهاء) : جمع هنة ، يقال فى فلان : هنات : أى خصلات شر ، ولا يقال ذلك فى الخير ، والمراد هنا المساوى والسوءات العورات .
(٢) شعري (بكسر الشين) : أى علمى ، والمعنى : ليتنى علمت بما تزودت به لبعد طريقك ويوم معادك .

(٣) الأحشاء : جمع لحشا ، وهو ما انضمت عليه الضلوع ما فى البطن .
(٤) أمض (بفتح الهمزة والميم وبضاد مشددة) : أى أوجع وآلم .
(٥) فى المختار : (أحدث المرأة) امتنعت عن الزينة والحضاب بعد وفاة زوجها فهى محد ، وكذا (حدث) تحد بضم الحاء وكسر ها (حداداً) بالكسر فهى (حاد) ولم يعرف الأصمى إلا الرباعى : أى أحدث .

والحكمة في ذلك هي : إظهار نعمة الزواج ، والتأسف على العشرة التي كانت بين الزوجين .

وكانت نساء النبي عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح لا يتجاوزن مدة الإحداد الشرعي ، ويحرصن كل الحرص على الخروج منها مخافة الوقوع في الإثم .

فها هي ذى أم حبيبة (رملة أم المؤمنين ، وبنت أبي سفيان) كانت قد أحدثت على أبيها فلما انقضت مدة الإحداد الشرعية (ثلاثة أيام بلياليها) دعت بصفرة (بضم الصاد وسكون الفاء نوع من الطيب) في اليوم الثالث فتطيبت بها وقالت : إني كنت عن هذا لغنية ، لولا أنني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت) الحديث . وهذه زينب بنت جحش أم المؤمنين لما توفى أخوها عبد الله بن جحش ، وانقضت مدة الإحداد الشرعية عليه دعت بطيب ومننت منه وقالت : مالي بالطيب من حاجة غير أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث) الحديث . (وبعد) فما لنا نحن المصريين والمصريات نبالغ في الإحداد ، ونتجاوز فيه الحد الشرعي ، فقد يصل بنا الأمر إلى أن نترك الزينة سنة أو أكثر ، ونلبس الملابس السوداء القائمة التي تجلب الكآبة والحزن . ولا سيما في الأعياد الإسلامية التي شرعت للغبطة والسرور ، والبهجة والحبور .

ولا نباشر زوجاتنا شهوراً ، ولا نحلق الشعر ولا نقصه أربعين يوماً بل أكثر مبالغة منا في الأسى ، وتعمقاً في الحزن وإمعاناً في الهم والغم . وازدياداً في التحسر والتفجع .

الصبر على المصيبة :

ينبغي لمن نزلت به مصيبة أن يصبر عليها ، وليحتسب (١) أجره عند الله تعالى ويطلب منه الخلف ، ويحمده على السراء والضراء ، ويقابل ما نزل به بالرضا والتسليم ، وليتغز بمصيبته برسول الله فإن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم المصائب ، روى الطبراني وغيره قول رسول الله صلى الله

(١) أي ليدخر أجره عند الله في الآخرة ، ولا يزوج ثواب الدنيا .

عليه وسلم : (إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته في ، فإنها من أعظم المصائب) .

وفي لفظ بن ماجه ، فليتعز بمصيبته في ، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعد أشد عليه من مصيبتى ، والله در أبى العتاهية (من بحر الكامل) :

اصبر لكل مصيبة وتجلد

واعلم بأن المرء غير مُخلد

وإذا ذكرت مصيبة تسألوها

فاذكر مصائبك بالنبي محمد

وما أحسن قول القائل في الصبر والتصبر (أى تكلف الصبر ، وحمل النفس عليه) وهو (من بحر الطويل) :

تصبر فى اللاواء^(١) قد يحمد الصبر

وأولاً صروف الدهر لم يعرف الحر

وإن الذى أبلى هو العون فانتدب^(٢)

جميل الرضا يبق لك الذكر والأجر

وثق بالذى أعطى ، ولاتك جازعاً

فليس بحزم أن يرؤعك الضر

فلا نعم تبقى ، ولا نقم ،

ولا يدوم كلاً الحالين عسر ولا يسر

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : (من يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر) .

(١) اللاواء : أى الشدة والهمنة .

(٢) انتدب : أى ادع واطلب .

ومن أروع ما قيل في الصبر ، ما عزاه بعض الأدباء لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه . وهو (من بحر الطويل) :

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا مِنْ مُلْمَةٍ

تَدُومُ عَلَى حَيٍّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ

فَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَلَا تَخْضَعَنَّ لَهَا

وَلَا تَكْثُرِ الشُّكُوى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ

فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ بُلِيَ بِنَوَائِبِ

فَصَابِرَهَا حَتَّى مَضَتْ ، وَاضْمَحَلَّتْ

وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً

فَلَمَّارَاتٍ صَبْرِي عَلَى الذَّلِّ ذَلَّتْ

فَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسُ مَوْتِي كَرِيمَةٌ

فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا ثَمًّا وَلَتْ

واعلم أيها الأخ المسلم أن كل إنسان في هذه الحياة الفانية لا بد أن يبتلى بالمصائب ، ويختبر بالنكبات ، ويمتحن بالنوائب — وما أكثرها — ليعلم هل هو صابر على قضاء الله وقدره فيؤجر ويثاب ، أو غير صابر فيحرم من الثواب ويعرض للعقاب .

وأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه . فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه . فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة . هذا وإن المصائب متنوعة ، فهذا يصاب بضر في جسمه ، وذاك في ماله ، وآخر في أولاده وهكذا .

وهناك مصيبة لا مفر منها ولا مهرب ، تلحق كل إنسان ، وتطرأ على كل مخلوق قد دبت فيه الحياة ، وسرت فيه الروح ألا وهي مصيبة الموت :

ولاني أحدثك الآن عن جزاء الصابرين على المصيبة أياً كان نوعها مع
هزب أمثلة برجال ونساء كانوا وكن أروع مثل في الصبر . واحتمال المصيبة
واليك البيان :

جزاء الصابرين :

قال الله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من
الأموال والأنفس والثمار وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا
إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك
هم المهتدون » . (سورة البقرة آيات ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧)

فقد بشر الله الصابرين على بلائه ، الراضين بقضائه . الراجعين إليه عند
صدمة المصيبة . وحين نزولها ببشارتين عظيمتين :

١ - صلواته وهي غفرانه .

٢ - ورحمته وهي إحسانه . ثم زادهم الهداية علاوة على البشارتين ،
فنعمت البشارتان ، ونعمت العلاوة .

وقال عز وجل : « جزأهم بما صبروا جنة وحريراً . متكئين فيها على
الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً . . . » (سورة الدهر)
وقال تعالى : « إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب » .

(سورة الزمر - آية ١٠)

وقال تبارك وتعالى : « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا
يعملون » . (سورة النحل - آية ٩٦)

وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله
مع الصابرين » . (سورة البقرة - آية ١٥٣)

وروى الإمام مالك في الموطأ عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : (من أصابته مصيبة فقال : كما أمره الله تعالى :
« إنا لله وإنا إليه راجعون » . اللهم أجرني في مصيبي . واعقبني خيراً منها
إلا فعل الله تعالى ذلك به) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تبارك وتعالى : (إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلقته

من إيسارى . ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ثم يستأنف العمل) .

(رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما (أى على شرط البخارى ومسلم) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أصيب فى ماله أو فى نفسه فكتمها ، ولم يشكها إلى الناس كان حقاً على الله أن يغفر له) . (رواه الطبرانى ولا بأس بإسناده)

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها) .

وروى أبو موسى الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا مات ولد العبد ، قال الله لملائكته ، قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون نعم فيقول : هل قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول : ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة . وسموه بيت الحمد) . (قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث (سن التكليف) إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » (رواه البخارى)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله تعالى : ما لعبدى المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه) أى روح صفيه كالولد والأخ وكل من أحبه الإنسان من أهل الدنيا (ثم احتسبه إلا الجنة) (رواه البخارى)

الصابرون والصابرات :

محدثنا التاريخ أن الحسناء الشاعرة التى أدركت الجاهلية والإسلام قد أرسلت أبناءها الأربعة وهم أشطار كبدها . ونياط قلبها إلى حرب القادسية فى السنة الخامسة عشرة من الهجرة لينضموا تحت لواء الجيش الإسلامى بقيادة سيدنا سعد بن أبى وقاص فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فأوصيتهم وصيتها المشهورة ، وحضتهم على الصبر عند الزحف فقالت :
 (يا بني إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله إلا هو
 إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ، ولا فضحت
 أخوالكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية : اصبروا وصابروا
 ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها
 فيمموا وطيسها وخوضوا غمارها ، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة) .
 فلما كثرت الحرب عن نأبها تدافعوا إليها وتواقفوا عليها وكانوا عند
 حسن ظن أمهم بهم حتى قتلوا واحداً في إثر واحد .

ولما أخبرت بموتهم جميعاً لم تزد على أن قالت : (الحمد لله الذي شرفني
 بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته ودار رضوانه) .
 هكذا يكون الصبر ، وهكذا تكون التضحية في سبيل الله .

أم سليم وأبو طلحة :

حدثنا البخاري ومسلم في صحيحيهما ما معناه أنه مرض صبي (اسمه أبو عمر)
 لأبي طلحة (١) من أم سليم (٢) ، ثم مات وأبو طلحة خارج البيت ولما رأت
 أم سليم أن ولدها قد مات لم تجزع ولم تظهر الحزن علماً منها أن لله ما أخذ وله
 ما أعطى لذلك تفرغت بالصبر ، وغسلت الصبي وكفنته ، ونحته في جانب

(١) أبو طلحة : هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة النجاري
 الأنصاري الخزرجي وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لصوت أبي طلحة في الجيش
 خير من مائة رجل ، وكان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا ونحلاً ، وكان أحب أمواله
 إليه بئر حاء فجعلها لله يرجو برها وذخرها عنده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : له بخ
 ذلك مال رابع ، ذلك مال رابع ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين ، (وبئر حاء حديقة كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويستظل فيها ؛ ويشرب من مائها) .

(٢) أم سليم اسمها سهلة وقيل : الرميضاء بنت ملحان وهي أم أنس بن مالك الصحابي
 الجليل وخادم الرسول عليه الصلاة والسلام وأولادها من أبي طلحة إخوة أنس بن مالك لأمه .
 قال الكرماني : وأم سليم هي زوجة أبي طلحة وأم أنس وخالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من الرضاعة ، ولدت بالمدينة المنورة سنة ٥٩٥ ميلادية من أبوين كريمين ، فأبوها ملحان
 ابن خالد بن زيد بن جندب الأنصاري وأما أنيقة بنت مالك بن عدي بن زيد اشتهرت أم سليم
 بالشجاعة ، وضبط النفس ، وبالعلم والفضل ، توفيت سنة ٨٣٠ هـ .

البيت . وأبعدته عن نظر أبيه ولم يشغلها حزنها عن واجبها فقامت إلى طعام زوجها فهيأته وأعدته . وقامت إلى نفسها ولبست أحسن الثياب .

ولما جاء أبو طلحة قابله بأحسن ما اعتادت أن تقابله به من البشر والسرور ، فسألها عن حال ابنها فطمأنته وكتمت الأمر حتى لا تزعجه ولا تمنعه من مآربه ، وتحرت الصدق في جوابها لزوجها حين سألها عن حال ابنه فقالت له : هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ، ثم قربت إليه فتعشى ، وتاقت نفسه إليها فمكنته من نفسها ثم اغتسل من جنابته .

ولما أراد أن يخرج للصلاة كعادته أعلمته أن الغلام قد مات . فلما سمع بموت ابنه خرج من فوره للصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشغله عن صلاته موت ولده ، وبعد أن أدى صلاة الصبح لمولاه أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بما وقع منهما فوقع ذلك موقع الاستحسان من الرسول ، ورضى به ، ودعا لها بالبركة في ليلتهما جزاء صبرهما ، وحسن إيمانهما ، وأجاب الله دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لهما وعوضها خيراً فحملت أم سليم تلك الليلة المباركة ثم ولدت غلاماً فجىء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تمرات فضعها الرسول صلى الله عليه وسلم ثم وضعها في فم هذا الصبي وسماه عبد الله (وهو أخو أنس بن مالك لأمه) .

(قال رجل من الأنصار هو عباية بن رفاعه بن رافع بن خديج) فرأيت تسعة أولاد كلهم قرءوا القرآن يعنى من أولاد عبد الله بن أبي طلحة المولود من تلك الإصابة المدعو لها بالبركة .

وروى عن ذى النون المصرى رحمه الله قال : كنت في الطواف وإذا بجاريتين قد أقبلتا ، وأنشدت إحداهما تقول : (من بحر الطويل) :

صَبِرْتُ عَلَى مَا لَوْ تَحْمِلُ بَعْضُهُ

جِبَالُ حُنَيْنٍ أَوْشَكَتْ تَتَصَدُّ

مَلَكَتْ دُمُوعَ الْعَيْنِ ثُمَّ رَدَدْتُهَا

إِلَى نَاطِرِي فَالْعَيْنُ فِي الْقَلْبِ تَدْمَعُ

فقلت : ماذا يا جارية ؟ فقالت من مصيبة نالتني لم تصب أحداً قط

قلت : وما هي ؟ قالت : كان لي شبلان (أى ابنان صغيران) يلعبان أمامي وكان أبوهما ضحى بكبشين فقال أحدهما للآخر : يا أخى . أريك كيف ضحى أبونا بكبشيه فقام وأخذ شفرته (سكينه) ونحره ، فهرب القاتل فدخل أبوهما فقلت له : إن ابنك قتل أخاه وهرب . فخرج في طلبه فوجده قد افترسه الأسد ، فرجع الأب ولم يتفوه ببنت شفة ، ومات في الطريق ظمأً وحزناً .

وأخذت الآكلة (١) عروة بن الزبير في رجله فأشاروا عليه بترها . وقالوا نسقيك المرقد (٢) فإن الألم ربما عزب (بعد) معه الصبر . ثم دخل عليه جماعة فأنكرهم فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : إنهم جماعة عسكونك إن تنفلت من أيدينا ، قال : أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسى ، ثم مد رجله ، وأعمل الطبيب فيها السكين ، حتى إذا بلغ العظم أغلى الزيت في مغارف الحديد . وحسم به الدم وعروة لم ينقبض له وجه . ولم تتغير له سحنة (٣) . ولم تسمع له أنة . ولم يكذب يتم الطبيب عمله حتى دخل على عروة رجل يعزيه فقال : إن كنت تعزيني عن رجلى فقد احتسبتها . قال : بل عن ولدك فقد سقطت الساعة في اصطبل وما زالت ترفسه الدواب حتى قتلتها . فما زاد على أن قال : (اللهم إنك أخذت ابناً ، وأبقيت أبناء . وأخذت عضواً ، وتركت أعضاء . اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت وإن كنت أخذت فقد أبقيت) .

ويحكى أن عبد الله بن مطرف لما مات خرج أبوه مطرف (بكسر الراء مع التشديد) على قومه في ثياب حسنة ، وقد ادهن فغضبوا فقالوا : يموت عبد الله ، وتخرج في مثل هذه (أى المصيبة) مدهنأ . قال : أفأستكين لها ؟

(١) الآكلة : داء في العضو يأكل منه .

(٢) المرقد (بضم الميم وكسر القاف) : دواء يرقد شارب به كالأفيون يسمى الآن البنج .

(٣) السحنة (بفتح السين والحاء ساكنة أو مفتوحة) : الهيئة واللون .

وعروة : هو ابن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى من التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة وهم : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ابن أبي بكر ، وخارجه بن زيد ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث أمه أسماء بنت أبي بكر ، وشقيقه عبد الله بن الزبير . وأخوه لأبيه مصعب بن الزبير ولد سنة ٢٣ هـ في خلافة سيدنا عمر ، ومات سنة ٥١ هـ .

وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها خصالاً كل خصلة (بفتح الحاء أى صفة) منها أحب إلى من الدنيا كلها ، قال تعالى :

« وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

وأختم هذا الموضوع بنصيحتي إلى كل من تنزل به مصيبة أن يصبر عليها عند أول نزولها ، وساعة وقوعها لأنها ترد على القلب بغتة فيكون للمصيبة شدة ، فإذا صبر الشخص حينئذ كان صبره محموداً ، فيرتب عليه جزيل الثواب ، وعظيم الأجر .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه (كما فى البخارى وغيره) قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تبكى عند قبر على ابن لها فقال لها : (يا أمة الله اتقى الله واصبرى) فقالت : إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تكن تعرف الرسول عليه الصلاة والسلام .

فمر بها الفضل بن العباس فقال لها : إن الذى أمرك بالصبر هو النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : يا رسول الله لم أعرفك فاعذرني فقال لها عليه الصلاة والسلام : (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) .

وقد اغتفر لها الرسول عليه الصلاة والسلام ما حصل منها .

(وبعد) فقد نص العلماء كالحافظ بن حجر العسقلاني فى فتح البارى على شرح البخارى . وابن عابدين المسمى بمحمد أمين بن عمر عابدين فى حاشيته المشهورة المسماة برد المختار على الدار المختار على أن تكفير المصائب للذنوب لا يتوقف على الصبر وأن المتوقف على الصبر إنما هو الثواب لأن المصائب عقوبات على الخطايا ؛ والعقوبة لا يشترط الصبر عليها والله أعلم .

امرأة تجزع لموت ابنها (١) ثم تتوب إلى ربها :

كانت فى بلدتى (الشيخ عيسى (٢)) منذ خمسين سنة امرأة تسمى فاطمة بنت رشوان ليس لها فى دنياها إلا ابن وحيد يدعى محمداً وكان يقرأ معي

(١) جزع يجزع جزعاً (من باب طرب) حزن ولم يصبر .

(٢) الشيخ عيسى : بلدة من بلاد صعيد مصر ومن أعمال محافظة قنا تقع شمال مدينة قنا .

في كتاب القرية هو قررة عينها ، وثمرة فؤادها . وفلذة كبدها . وأملها
المرجى .

ولكن الموت اختطفه من بين أحضانها بعد ما استوفى أجله . وانقضى
عمره . وهو في أوائل العقد الثاني من حياته فصارت تلك الأم تصرخ بأعلى
صوتها باكية جزعة ، تندب وتنوح . وتلطم خديها ، وتشق ثيابها ، وتدعو
بدعوى الجاهلية ، وأخذت تسب خالقها بأقذع الشتائم ، وترمى السماء
بالحجارة اعتقاداً منها أنها بعملها هذا تأخذ بثأرها من ربها وخالقها ، والمنعم
عليها ، والذي له ما أخذ وله ما أعطى . وكل شيء عنده بقدر . ولكنها ثابتة
بعد ذلك إلى ربها توبة نصوحاً . وأنابت إلى مولاهما حسن الإنابة . وعرفته
حق المعرفة فصلت وصامت . وقننت وخشعت ، وصدقت في قولها .
وأخلصت لله في عملها ، وصارت تغسل الموتى من المسلمات بدون أجر ابتغاء
وجه الله . وطلباً لرضاه وثوابه . وتحسيناً لعلاقتها بربها .

فشاهدت بعيني رأسي وجهها مشرقاً وضاء بعد توبتها . والرجوع إلى
منشئها ، عليه علامة التوبة الصادقة وسمة الصلاح والتقوى ، وعاشت على
ذلك بضع سنين حتى وافاها الأجل المحتوم . وفاضت روحها إلى ربها فتحدث

على بعد يقدر بتسعة من الكيلو مترات ، وعدد سكانها ثلاث آلاف نسمة تقريباً كلهم مسلمون
إلا قليلاً من المسيحيين .

وبها قبائل عديدة : كقبيلة كزار ، ومصطفى حسن ، وعثمان ، وعلى حسن ، والديقشي
(الحلايلة) ، وغانم ، ومغم ، وآل خليفة عوض وشخصي المتواضع منها .

ومن قبائلها أيضاً : الجرابيع ، والحسنية ، وسكوت ، وبدرية ، وجاد الله ، والخضورة .
وسميت بلدتنا بالشيخ عيسى لوجود ضريح فيها لولي من أولياء الله يسمى بالشيخ عيسى ،
ولا أعرف مدى صحة صاحب هذا الضريح وتاريخه والعلم الله وحده وبها الآن أكثر من ثلاثين
شخصاً من المتعلمين الذين يحملون شهادات عليا منهم شخصي صاحب هذا المؤلف وهذا العدد آخذ
في الزيادة بإذن الله .

وبها أيضاً عدد لا بأس به من الذين يحملون شهادات متوسطة ، وهي الآن بحق آخذة بخطى
واسعة في التعليم ، وسيكون فيها إن شاء الله نهضة تعليمية مباركة ، وبها مسجد عظيم ، ومدرسة
لتحفيظ القرآن الكريم تتبع الأزهر الشريف ومدرسة ابتدائية تتبع وزارة التربية والتعليم ،
ووحدة صحية ، ويشتهر أهلها بالاستقامة والهدوء وحب العمل ، بارك الله فيها ، ورفع مكانها
في العالمين .

الناس عنها حديثاً طيباً ، وأثنوا عليها ثناء جميلاً . وترحموا عليها ، ودعوا لها بخير .

طيب الله ثراها ، ورحمها رحمة واسعة ، وأسكنها فسيح جناته .
ودار رضوانه .

البكاء على الميت وحكمه :

البكاء على الميت جائز متى كان بدمع العين ، ولم يصحبه ندب أو نياحة أو صراخ وعويل .

ففي صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم . وأشار إلى لسانه .)

وقد بكى عليه الصلاة والسلام على ابنه إبراهيم (١) حين مات بإرسال الدمع من عينيه الشريفتين فقط فقال عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله فقال : (يا ابن عوف ، إنها رحمة — إن العين تدمع ، والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) .

(أخرجه البخارى ومسلم)

وروى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : أتى رسول الله بأمية

(١) إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد بعد بلوغ عمر الرسول عليه الصلاة والسلام ستين سنة قمرية ، ولم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم ولد باق على قيد الحياة إلا السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، وتخير له الرسول صلى الله عليه وسلم مرضعة تدعى أم سيف ، وجعل في حوزتها سبعة من الماعز ، لترضعه من لبنها ، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام شبيهاً بأبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، ومات وهو ابن ثمانية عشر شهراً ودفن بالقيع .

وكانت أمه تسمى مارية القبطية بنت شمعون التي ولدت في قرية من صعيد مصر تسمى حفن (بالحاء والفاء) تقع على الضفة الشرقية لنيل مصر ، أهداها المقوقس عظيم القبط هي وأختها سيرين للرسول عليه الصلاة والسلام وأشياء أخرى ، فاختار الرسول عليه الصلاة والسلام مارية لنفسه ووهب شقيقتها (سيرين) لشاعره حسان بن ثابت فأنجب منها ولده عبد الرحمن بن حسان الشاعر ابن الشاعر ، وأهديت مارية فوصلت إلى المدينة سنة ثمان من الهجرة ، وتوفيت - سنة ست عشرة في خلافة عمر رضى الله عنه ، وكان عمر رضى الله عنه يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها وصلى عليها عمر رضى الله عنه ودفنت بالقيع .

لمبنة زينب (بنت رسول الله . صلى الله عليه وسلم وزوج أبي العاص بن الربيع ابن خالتها) ونفس أميمة تمقعع (أى تتحرك وتضطرب) كأنها فى شن بفتح الشين المعجمة (أى قرينة قديمة يابسة) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الله ما أخذ . والله ما أعطى . وكل إلى أجل مسمى) . فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له سعد بن عباد : (سيد الخزرج) يا رسول الله أتبكي ؟ أو لم تنه عن البكاء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما هى رحمة جعلها الله فى قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) .

وورد أنه لما دفن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقبل عبد الله بن مسعود ، وقد فاتته الصلاة عليه فوقف على قبره يبكى وطرح رداءه ثم قال : (والله لئن فاتتني الصلاة عليك لا فاتني الثناء عليك ، أما والله لقد كنت سخياً بالحق بخيلاً بالباطل ترضى حين الرضا ، وتسخط حين السخط ما كنت عياباً ولا مداحاً فجزاك الله عن الإسلام خيراً) .

أما النذب : وهو تعديد محاسن الميت كواجملاه ، واكبداه ، واجسراه وغير ذلك من ألفاظ الجاهلية .

والنوح : هو رفع الصوت بالنذب .

وكذا الإفراط فى رفع الصوت بالبكاء على الميت وإن لم يكن معه نذب ولا نوح فهذا كله حرام ومثل ذلك فى الحرمة :

ضرب الوجه . وشق الجيب ونحوهما ، ونشر الشعر ، وتسويد الوجه بالطين وغيره . وإلقاء الرماد على الرأس ، وعدم إتيان النساء الحليات ، وتحريم بعض الأطعمة مدة معلومة إلى غير ذلك من كل فعل يتضمن إظهار الجزع الذى ينافى التسليم ، والقضاء لله رب العالمين .

يشهد لذلك ما ورد فى الصحيحين (البخارى ومسلم) عن عبد الله بن مسعود (١) رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس منا من لطم الحدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية) .

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، الصحابى الجليل ، كان من السابقين إلى الإسلام ، تحمل كثيراً من العذاب فى مكة ، وكان قصير القامة قدر ذراع ، كما كان دقيق الساقين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليرجل عبد الله أثقل فى الميزان من أحد شهيد بدر =

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى (١) الأشعري أنه قال : (أنا برىء
 ممن برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : برىء من الصالقة (٢) . والحالقة (٣) ، والشاقة (٤)) .
 وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال : أخذ النبي صلى الله عليه
 وسلم عهداً على النساء حين بايعهن ألا ينحن ، فقلن يا رسول الله ، إن نساء
 أسعد تنافى الجاهلية أفنسعدهن في الإسلام . فقال : (لا إسعاد) في الإسلام .
 وروى البزار بسند رواه ثقات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 (صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة ، مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة) .
 وورد في الحديث الصحيح أن النائحة تكسى يوم القيامة قميصين قميص
 من جرب (٦) ، وقميص من قطران .

فعن أبي مالك (٧) الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عوبقية المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن مسعود من فقهاء الصحابة وعلمائهم
 بشره الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة ، وتوفي سنة ٣٢ هجرية عن أربع وستين سنة .

(١) أبو موسى الأشعري : هو عبد الله بن قيس بن سليم ينتهي نسب هذا الصحابي الجليل
 إلى الأشعر وهو : (مرة بن أدد بن زيد بن يشجب) وقيل له : الأشعر ، لأن أمه ولدته والشعر
 على بدنه ، وهو صاحب الهجرات الثلاث :

١ - هاجر من اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة .

٢ - ثم هاجر من مكة إلى الحبشة .

٣ - ومن الحبشة إلى المدينة بعد فتح خيبر .

وكان رضي الله عنه حسن الصوت بالقرآن ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب
 أن يستمع إليه وكان يقول له : (ذكرنا ربك يا أبا موسى ويقول له : لقد أوتيت زميراً
 من مزامير داود) .

وهو جد أبي الحسن الأشعري إمام الأشاعرة من أهل السنة ، استعمله الرسول عليه الصلاة
 والسلام على زبيد وعدن واستعمله عمر رضي الله عنه على الكوفة والبصرة ، وهو أحد الحكمين
 في صفين . مات بالكوفة سنة اثنتين وأربعين هجرية وهو ابن ثلاث وستين سنة .

(٢) الصالقة (بالصاد والقاف) : هي المرأة التي ترفع صوتها بالندب والنياحة .

(٣) والحالقة (بالحاء والقاف) : هي المرأة التي تحلق شعر رأسها عند المصيبة .

(٤) والشاقة (بالشين والقاف) : هي المرأة التي تشق ثيابها عند نزول المصيبة .

(٥) الإسعاد : هو المساعدة في النياحة .

(٦) الجرب (بفتح الجيم والراء) : داء يحدث في الجلد بشوراً صفاراً لها حكة شديدة .

(٧) أبو مالك الأشعري : هو الحارث بن عاصم الأشعري (نسبة إلى الأشعر قبيلة مشهورة =

عليه وسلم : (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن - الفخر في الأحساب (١) . والطعن في الأنساب : والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة) وقال : النائحة إذا لم تنب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران . (رواه الإمام مسلم وابن ماجه)
والحكمة في ذلك أن الأجر ب سريع الألم لتقرح جلده ، والقطران (وهو النحاس المذاب) يقوى شعلة النار ليكون عذاب النائحة بالنار بسبب هذين التمييزين أشد العذاب وأسوأه .

وقد سمع سيدنا عمر بن الخطاب مرة ندباً و نياحة فدخل مكان الصوت ، وأخذ يضرب الحاضرات بدرته (أى سوطه) حتى وصل إلى النائحة فضربها حتى سقط خمارها (٢) وقال لمن معه : (إضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها ، إنها لا تبكى لشجوكم (٣) ، وإنما ترشق دموعها لأخذ دراحكم ، إنها تؤذى موتاكم في قبورهم ، وأحياءكم في دورهم . إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به . وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه) .

وروى أبو داود وغيره عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : النائحة والمستمعة) .

وعن أسيد بن أبي أسيد التابعي عن امرأة من المبايعات لرسول الله قالت : كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا ألا نخمش (٤) وجهاً ، ولا ندعو ويلاً ولا نشق جيباً ، ولا ننشر شعراً (رواه أبو داود)

يأين منها الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري ، ورئيس طائفة الأشاعرة من أهل السنة أبو الحسن الأشعري .
قدم أبو مالك على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأشعريين في السنة السابعة من الهجرة عند فتح خيبر ، ومات في خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه بالطاعون (طاعون عمواس المشهور)
وطعن هو ومعاذ بن جبل ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن عتبة في يوم واحد ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة وعشرون حديثاً .

(١) الفخر في الأحساب : هو التعظيم بمناقب الآباء ، والطعن في الأنساب : هو أن ينسب الشخص غيره لغير أبيه ، والاستسقاء بالنجوم : هو اعتقاد أن النجوم تؤثر في نزول المطر .
(٢) الخمار (بكسر الخاء المعجمة) : ما تغطى به المرأة رأسها .
(٣) الشجوة (بالشين المفتوحة والجيم الساكنة) : هو الحزن .
(٤) يقال : خمشت المرأة وجهها من بابي ضرب ونصر جرحت ظاهر البشرة ثم أطلق الخمش على الأثر .

(وبعد) فهل يعذب الميت ببكاء (١) أهله عليه بصوت ونياحة أو لا يعذب؟
والجواب أنه لا يعذب ولا يؤخذ لقوله تعالى في سورة الأنعام . وفي
سورة النجم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » إلا إذا أوصى بالبكاء والنوح
عليه كما قال القائل (٢) :

إذا مت فانهني بما أنا أهله وشق على الجيب يا ابنة معبد
لأنه في هذه الحالة يكون هو الذي قد تسبب في البكاء والنوح عليه .
وأما ما ورد في الصحيحين عن سيدنا عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي
الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الميت ليعذب ببكاء
أهله عليه) .

وما ورد فيهما أيضاً عن المغيرة بن شعبه (٣) رضي الله عنه قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من نوح عليه فإنه يعذب بما نوح عليه) .
فمحمولان على ما إذا أوصى الميت أهله قبل وفاته بالبكاء والنوح عليه ،
أو نقول :

إن المراد بالعذاب في هذين الحديثين تألم الميت وتأذيه بسماعه بكاء أهله
عليه . يشهد لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم زجر امرأة وهي صفية بنت
مخرمة عن البكاء على أبيها وقال : (إن أحدكم إذا بكى استعبر له صويحبه) .
فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم ، وفي رواية لا تعذبوا موتاكم .

(١) قيدنا البكاء على الميت في هذا السؤال بالصوت والنياحة لأن العلماء قد أجمعوا كلهم
على اختلاف مذاهبهم على أن المراد بالبكاء هنا البكاء بصوت ونياحة لا مجرد دمع العين فإنه
جائز ، كما يفهم ذلك من شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم .
(٢) القائل هو طرفة بن العبد (بفتح الطاء والراء) شاعر جاهلي ، وأم معبد هي زوجته ،
وكان من عادة العرب في الجاهلية أن يوصى الشخص قبل أن يموت بالبكاء والمويل عليه مع
الندب والنياحة .

(٣) هو المغيرة بن شعبه (بضم الشين وسكون العين) بن أبي عامر بن مسعود الثقفي من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلم عام الخندق ، وشهد الحديبية ، وكان موصوفاً
بإلدهاء ، شهد حرب اليمامة ، وفتوح الشام ، وذهبت عينه باليرموك ، وشهد القادسية وغيرها
استعمله معاوية على الكوفة فلم يزل عليها إلى أن مات سنة خمسين من الهجرة ودفن بها .

روى عنه من الصحابة : أبو أمامة الباهلي ، والمسور بن مخرمة ، وقرّة المزني ومن التابعين
أولاده : عروة ، وحمة ، وعقار (بالقاف المشددة) ، وروى عنه مسروق ، وقيس
ابن أبي حازم وأبو وائل وغيرهم .

ومعنى استعبر له صاحبه أنه يبكى لأجل بكائه ، ويتألم له .
قال الحسن البصرى من كبار التابعين وأجلاتهم : (شر الناس للميت
أهله يبكون عليه . ولا يهون عليهم قضاء دينه) .
والخلاصة أن الميت إذا كان له تسبب فى البكاء عليه بالصوت فالعذاب
على حقيقته . ويعذب بفعل نفسه حيث تسبب فى ذلك ، وإلا فمحمول على
تأله وتأذيه .

علامات حسن الخاتمة وسوءها

حسن الخاتمة : هو الموت على الإيمان ، الموجب للخلود فى الجنان .
ومن أسباب حسن الخاتمة مراقبة الله تعالى على الدوام وهى مقام الإحسان
الذى هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك ، ومن الأسباب
أيضاً تقوى الله التى هى رأس الأمر كله ، ولحسن الخاتمة وجميل العاقبة
علامات كثيرة :

١ - منها دوام التوبة النصوح ، وقرع بابها ، والأسف على ما فات مما
اقترب الإنسان من الآثام ، فالتوبة تمحو الخطايا ، وتزيل ران القلوب ،
وتفصلها من رجس الذنوب ، فقد صح مرفوعاً (إن المؤمن إذا أذنب نكتت
نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب واستغفر صقل قلبه ، وإن لم يتب زادت حتى
تعلو قلبه) .

٢ - ومنها امتلاء جوف الإنسان بالخوف والوجل ، والرغبة والخشية
من الخالق الأعظم ذى البطش الشديد أيام صحته وعافيته ، وقبل مرض موته ،
ودنو أجله مغلباً الخوف على الرجاء ، قال الله تعالى : وخافون إن كنتم
مؤمنين (١) ، « ولمن خاف مقام ربه جنتان (٢) » .

٣ - ومنها توفيق الله الإنسان إلى العمل الصالح قبل مجىء الأجل ، وإتيان
الموت . فلا تراه إلا منتقلاً من الأقل إلى الأجل ، ومن الطالح إلى الصالح ،

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٥ .

(٢) سورة الرحمن آية : ٤٦ .

ومن فعل الشر إلى فعل الخير ، ومن ترك الصلاة إلى فعلها والمواظبة عليها إلى غير ذلك من العبادات وفعل الخير .

ففي الخبر (إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قيل : كيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت) . (رواه الترمذى والحاكم)

وفي خبر آخر (إذا أحب الله عبداً غسله) بفتح العين والسين المهملتين بالتخفيف والتشديد أى جعله حلواً كالغسل) وهو مجاز عن توفيق الله .

قيل : وما غسله يا رسول الله ؟ قال : (يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ، ثم يقبضه عليه) . (رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد حسن)

٤ - ومنها أن يموت الإنسان وهو يحسن ظنه بربه ، ويغلب الرجاء على الخوف في مرض موته ، ويطمع في رحمة ربه ، وعفو مولاه لأنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، يعفو عن السيئات ، ويقبل العثرات ، ويمحو الخطيئات روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته : (أى بثلاث ليال) (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) (أى يظن أنه يغفر له ويرحمه ، ويعفو عنه) .

(رواه الإمام مسلم)

وإذا امتزج خوف العبد برجائه عند سياق الموت كان ذلك محموداً وجميلاً . فقد روى أنس بن مالك خادم الرسول رضى الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال : كيف نبذك ؟ قال : أرجو الله وأخاف ذنوبى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف) .

(رواه الترمذى وحسنه)

ودخل واثلة^(١) بن الأسقع رضى الله عنه على مريض فقال : أخبرنى كيف ظنك بالله ؟ قال : أغرقتنى ذنوب لى وأشرفت على الهلكة (أى الهلاك) ولكنى أرجو رحمة ربى .

(١) واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب الكنانى الليثى . أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك وكان من أصحاب الصفة ، وأقام بالمدينة ثم سكن البصرة وله بها دار ، ثم سكن الشام بقرية البلاط على ثلاثة فراسخ من دمشق ، وشهد فتح دمشق وشهد المغازى بدمشق وحمص ، ثم تحول إلى فلسطين ونزل بيت المقدس . وتوفى بها سنة ثلاث وثمانين هجرية وهو ابن مائة وخمسين سنين .

فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره . وقال : الله أكبر . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر) ، وفي رواية : (أنا عند ظن عبدي فلا يظن بي إلا خيراً) .

٥ - ومنها أن يبتسم عند خروج روحه لما يراه من بشائر الرحمة ، كالملائكة التي تدفع عنه الفتن ، وكالنعيم الذي يراه معداً له في جنة الخلد والرضوان ، كما حصل لعبد الله (١) بن المبارك فإنه لما شرف الموت فتح عينيه وضحك ، وقال : (لمثل هذا فليعمل العاملون) .

٦ - ومنها - أن يعرق جبينه فقد صح مرفوعاً .

(المؤمن يموت بعرق الجبين) رواه الترمذي والحاكم وغيرهما ، وإنما يعرق جبين المؤمن لما يعتريه حينئذ من شدة الحياء لنحو تذكره ما سلف من تقصيره .

٧ - ومنها - أن يظهر عليه نور ساطع ولو على بعض أعضائه كما حدث الشيخ أبو صالح المؤذن قال : مرض الشيخ أبو محمد الجويني (٢) سبعة عشر يوماً ، وأوصاني أن أتولى غسله وتجهيزه ، فلما توفي غسلته ، فلما لففته في كفنه رأيت يده اليمنى إلى الإبط زهراء منيرة من غير سوء ، وهي تتلألأ تتلألأ القمر ، فتحيرت وقلت في نفسي : هذه بركات فتلويه .

٨ - ومنها - تحدث الناس بالثناء على الميت بالخير فقد روى البخاري

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحظلي التميمي المروزي من أتباع التابعين ، أحد الأئمة الأعلام . كان فقيهاً عالماً زاهداً عابداً سخيّاً شجاعاً شاعراً . وكان أبوه مملوكاً لرجل من همدان ولكنه أعتقه وزوجه بنته التي ولدت عبد الله هذا .

قال ابن مهدي : الأئمة أربعة سفيان ومالك وحماد بن زيد ، وابن المبارك ، وقال الإمام حمد : لم يكن في زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه ، وكان صاحب حديث حافظاً . وقال ابن معين : ما رأيت من يحدث لله إلا ستة منهم ابن المبارك وكان ثقة عالماً مثبته صحيح الحديث . ولد سنة ثمان عشرة ومائة هجرية ومات منصرفاً من الجهاد في رمضان بهيت سنة إحدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة .

(٢) أبو محمد : هو عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين (أبي المعالي عبد الملك) المتوفى سنة أربع أو ثمان وثلاثين وأربعمائة بنيسابور ، كان عالماً فاضلاً ، صالحاً مباركاً .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (مروا (أى الصحابة) بجنائز فائثوا عليها خيراً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وجبت ، ثم مروا بأخرى فائثوا عليها شراً فقال : وجبت) . فقال عمر بن الخطاب . ما وجبت ؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام : (هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض) والمعتبر شهادة أهل الفضل والصدق لا أهل الفسوق والفجور ، ولا من بينه وبين الميت عداوة . لأن شهادة العدو لا تقبل .

أما الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ بالله كما قال العلماء . فهى :
التهاون بالصلاة ، وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين ، وأذى المسلمين ،
وأذى من لهم مالنا وعليهم ما علينا من أهل الذمة والعهد .
وأما علامات سوء الخاتمة فمنها :

اسوداد الوجه ، وزرقة العينين ، وتنت الرائحة ، وتغير صورته عند الموت وتحدث الناس عنه بالشر .

جعلنا الله من أهل الخاتمة الحسنة ، والعاقبة الحميدة ، ومن أهل السعادة فى الدنيا والآخرة (١) .

أحكام تغلق بالميت

إذا مات ابن آدم ، وفاضت روحه إلى بارئها شد لحياه بعصاة عريضة تعمهما ، ثم تربط فوق رأسه تحسناً وحفظاً لفمه ، وأغمضت عيناه حتى لا يقبح منظره ، فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أغمض عيني أبى سلمة ثم قال : (اللهم اغفر لأبى سلمة ، وارفع درجته فى المهديين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين . وفسح له فى قبره ، ونور له فيه) .

ويقول من يقوم بعملية الإغماض : (باسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم يسر عليه أمره ، وسهل عليه ما بعده ، وأسعده بقلائك ، واجعل ما خرج إليه خيراً مما خرج عنه) .

(١) أقول : إن علامات حسن الخاتمة وسوئها إنما هى علامات ظنية وليست بقطعية ، ونحن نسترشدها ولا نجزم .

وعن شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر ، فإن البصر يتبع الروح . وقولوا خيراً فإنه يؤمن على ما قال أهل الميت) .

(رواه الإمام أحمد وابن ماجه (بالهاء الساكنة لا بالتاء المتحركة) .
وقول الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث : (فإن البصر يتبع الروح) معناه أن الروح إذا خرجت من الجسد يتبعها البصر ناظراً إليها إلى أين تذهب .

وبعد إغماض عين الميت يغطى جسده كله ببرد ونحوه صيانة له من الانكشاف ، وسترألعورته .

لما روى أن سيدنا أبا بكر (١) رضى الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وهو مسجى (أى مغطى) ببرد حبرة (بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة بعدها راء) ثوب فيه أعلام ، فكشف عن وجهه وأكب عليه فقبله ثم بكى وقال : (رحمة الله عليك يا رسول الله . ما أطيبك حياً وميتاً) ثم غطاه .

ولما توفى سيدنا عثمان (٢) بن مظعون كشف النبي صلى الله عليه وسلم

(١) هو سيدنا عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي من تيم بن مرة بن كعب الصحابي الجليل ، والصديق المشهور ، كان صديقاً مخلصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها وهو أول من آمن من الرجال بدون تردد ، وقد أسلم على يديه عدد كبير من سادات العرب منهم : (عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف) .

تولى الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد سنتين وثلاثة أشهر من خلافته فاضت روحه إلى بارئها في ٢١ من جمادى الآخرة سنة ١٣ هجرية (أغسطس سنة ٦٣٤ م) بعد أن أدى للإسلام خدمات جليلة سجلها له التاريخ بمداد من النور .

ولم يمت خليفة وأبوه حتى إلا سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، فإن أباه أبا قحافة (عثمان ابن عامر) عاش بعد وفاة ابنه الصديق ، كما ذكره الحافظ السيوطي .

(٢) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن السابقين إلى الإسلام .

أسلم في الثلاثين من عمره بعد ثلاثة عشر رجلاً وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وحرم الخمر على نفسه في الجاهلية وكان يقول : (إني لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ، ويفسحك بى من هو أدنى =

الثوب عن وجهه ، وبكى بكاء طويلاً وقبله بين عينيه فلما رفع على السرير قال : (طوبى لك يا عثمان (أى الجنة) لم تلبسك الدنيا ، ولم تلبسها) .

ويوضع على بطن الميت حديدة لثلاً ينتفخ (والحديد يدفع الانتفاخ لسر فيه كما قيل والله أعلم) .

وتوضع يداه بجنبه إشارة لتسليمه الأمر لربه .
ومن الأمور المطلوبة بعد ذلك شرعاً أيضاً :

١ - تغسيل الميت :

والأصل في مشروعيته تغسيل الملائكة آدم عليه الصلاة والسلام فقد روى الحاكم (١) في المستدرک عن أبي بن كعب أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : (كان آدم رجلاً أشعر (أى كثير الشعر) طوالاً (بضم الطاء أى طويلاً) كأنه نخلة سحق (أى طويلة) فلما حضره الموت نزلت الملائكة بحنوطه وكفنه من الجنة ، فلما مات عليه الصلاة والسلام غسلوه بالماء والسدر ثلاثاً ، وجعلوا في الثالثة كافوراً ، وكفنوه في وتر من الثياب وحفروا له لحداً ، وصلوا عليه ثم دخلوا قبره فوضعوه في قبره . ووضعوا عليه اللبن ثم خرجوا من القبر ثم حثوا عليه التراب ثم قالوا : (يا بنى آدم هذه سنتكم من بعده فكذلكم فافعلوا) .

(= منى) ، وكان من أشد الناس اجتهاداً في العبادة ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في التبتل والاختصاص فيها عن ذلك .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حتى إنه قبله بين عينيه لما مات ، وبكى عليه ودعا له .

شهد غزوة بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات رحمه الله في شهر شعبان بعد الهجرة بثلاثين شهراً ، وهو أول من دفن بالبقيع وعمره خمس وأربعون سنة تقريباً .

(١) ذكر في كتاب (نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية مع حاشيته بغية الأمل في تخريج الزيلعي) أن هذا الحديث (أى حديث تغسيل الملائكة آدم عليه السلام) ذكره الحاكم في المستدرک ، والبيهقي في السنن ، وابن سعد في الطبقات .

كلهم عن يونس بن عبيد عن الحسن بن عتي (بالعين على وزن حتى) بن ضمرة السعدي عن أبي بن كعب .

ورواه أحمد في مسنده عن حماد عن سلمة عن الحسن (أى البصري) .

وقال (أى الحاكم) : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه (أى البخارى ومسلم) لأن عتي بن ضمرة ليس له راو غير الحسن البصرى .
ورواه أيضاً عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل فى المسند للإمام أحمد رحمه الله .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : بتغسيل ابنته زينب (زوج أبى العاص وهى أكبر بناته) لما توفيت فى السنة الثامنة من الهجرة وقال لأم عطية ومن معها من النساء : اغسلنها وترأ الحديث .

وقد غسل نبينا صلى الله عليه وسلم بعد موته ، وكذا خليفته أبو بكر من بعده وتوارث الناس تغسيل الميت خلفاً عن سلف إلى يومنا هذا مع عدم الإنكار على ذلك .

ولم يعرف ترك تغسيل الميت إلا فى الشهيد .
والسنة فى المغسل أن يكون أميناً ومتديناً ، وعارفاً كيفية التغسيل .
وإذا رأى من الميت ما يعجبه كاستنارة وجه الميت . وطيب رائحته ، وسرعة انقلابه فى المغسل جاز أن يتحدث به .

أما إذا رأى ما يكره كسواد وجه الميت وبدنه . وثن رائحته ، وتغير صورته ونحو ذلك فإنه يحرم عليه أن يتحدث به إلا إذا كان الميت مجاهراً بالفسق والظلم حين حياته فيذكر ذلك وعظاً وذجراً لأمثاله لقوله عليه الصلاة والسلام :

(أذكروا محاسن موتاكم ، وكفوا عن مساوئهم) (أخرجه أبو داود والترمذى . وصححه بن حبان) .

٢ - تكفين الميت :

يجب تكفين الميت من ماله الخالص ، فإن لم يكن له مال فكفنه على من تلزمه نفقته فى حال حياته ، فإن لم يكن لمن تلزمه نفقته مال كفن من بيت المال إن كان للمسلمين بيت مال وأمكن الأخذ منه ، وإلا فعلى جماعة المسلمين القادرين إذا قام به البعض سقط عن الباقي .

ومثل الكفن فى هذا التفصيل مؤن التجهيز كالحمل إلى المقبرة والدفن ونحوه .

كفن الرجل :

يكفن الرجل للسنة في ثلاثة أثواب :

١ - درع من أصل العنق إلى القدمين ليس له كمان ولا جيب وهو الشق النازل على الصدر .

٢ - وإزار من الرأس إلى القدمين .

٣ - ولفافة تزيد على ما فوق الرأس والقدم ليلف فيها الميت ، وتربط من أعلاه وأسفله .

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية (بفتح السين وضمها) منسوبة إلى قرية باليمن تسمى سحول من كرسف (بضم الكاف والسين) أى قطن ليس فيها قميص ولا عمامة .

قال أبو عبد الله الحاكم (تواترت الأخبار عن علي وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن مغفل رضى الله عنهم فى تكفين النبي صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة) .

وروى عنها أيضاً أنها قالت : نظر أبو بكر إلى ثوب كان يمرض فيه فقال : اغسلوا هذا ، وزيدوا عليه ثوبين وكفنوني فيها قلت : إن هذا خلق (بفتح الحاء واللام) أى قديم قال : (الحى أحق بالجديد من الميت إنما هو للمهلة (بفتح الميم والهاء واللام) - وهى دم الميت وصديده ونحوه) .

(رواه البخارى)

كفن المرأة :

وتكفن المرأة للسنة فى خمسة أثواب ، الثلاثة السابقة فى كفن الرجل ، وتزاد عليه خماراً لوجهها ورأسها ، وخرقة عرضها من الشدى إلى الفخذ لربط ثديها وبطنها ، ويجعل شعرها صغيرتين ، وتوضعان على صدرها فوق الدرع ، ثم يوضع الخمار على رأسها ووجهها فوق الدرع وتحت الأزار ثم تربط الخرقة فوقه ثم تعطف اللفافة .

ومن أراد توضيحاً وتفصيلاً فى كفن الميت أكثر من ذلك فعليه بالكتب

المفقهية ففيها ما يشق الغلة (بفتح الياء الأولى من يشق وبضم الغين وتشديد اللام من كلمة الغلة) وهي العطش الشديد ، وفيها ما يريح القواد ، ويوجد الضالة المنشودة .

هذا ويكون الكفن مما كان يلبسه الميت في حياته يوم الجمعة والعيد يكون حسناً فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه) يعني فليختر له من الثياب أنظفها وأبيضها وأسترها لقوله عليه الصلاة والسلام : (البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم) (رواه الحمسة إلا النسائي عن ابن عباس وصححه الترمذى ، والحديث أخرجه أيضاً الإمام الشافعى وابن حبان (بكسر الحاء) والحاكم والبيهقى والإمام أحمد بن حنبل وصححه ابن القطان (بفتح القاف وتشديد الطاء) .

ولم يرد في السنة النبوية ما يفعله أولئك المبذرون رياء وسمعة من تكفين موتاهم بالثياب النفيسة التي غلا ثمنها . وارتفعت قيمتها ، ودق صنعها وزاد عددها عما رسمته شريعة الإسلام الغراء . ولا شك أن التغالى في الكفن منهي عنه . وأنه لا فضل لميت حمل إلى قبره في كفن ثمين على غيره ، وإنما الفضل بالتقوى . والعمل الصالح : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير » (١) .

٣ - الصلاة على الميت :

ومن الأمور المطلوبة شرعاً الصلاة على الميت المسلم . وهي فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي . والمطلوب فيها النية وأربع تكبيرات بتكبيرة الإحرام ، والقيام فيها من أولها إلى آخرها ، مع استقبال القبلة والطهارة وستر العورة ، والدعاء للميت بخير ، وختمها بالسلام .

وقد فعلها الرسول عليه الصلاة والسلام ، روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم (صلى على أصمحة النجاشي فكبر عليه أربعاً) ، وفي لفظ قال : (توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهاجموا فصلوا عليه فصففنا خلفه ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ونحن صفوف) (متفق عليهما) .

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

وعن عمران بن حصين (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن أخاكم النجاشي قد مات فقوموا فصلوا عليه ، قال : فقمنا فصففنا عليه كما يصف على الميت ، وصلينا عليه كما يصلى على الميت) .
(رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه)

وأمر الله نبيه بالصلاة على الجنازة فقال تعالى في سورة التوبة :
« وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » : أى راحة وطمأنينة لهم .
وحدث عليها صلوات الله وسلامه عليه ، وحافظ عليها المسلمون من بعده إلى يومنا هذا .

ولشدة حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة على الميت المسلم أنه كان يصلى على قبر من لم يكن قد صلى هو عليه ، ولم يكن لديه مانع من الصلاة عليه . فقد روى أنه كان بالمدينة امرأة تسمى الخرقاء ، وتكنى بأم محجن (بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الجيم) وكانت تكنس المسجد النبوى وتنظفه ، ولما مات صلى عليها بعض الصحابة ولم يكن رسول الله أعلم بموتها . ولما فقدوها سأل عنها فقالوا له : ماتت قال : أفلا آذنتموني (أى أعلمتموني بموتها) دلوني على قبرها فدلوه فقام على قبرها وصلى عليها ثم قال : (إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وأن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم) .

٤ - حمل الجنازة وتشيعها :

ومن الأمور المطلوبة شرعاً أيضاً حمل الجنازة وتشيعها (أى اتباعها) . والحكمة فى ذلك هى : الاتعاظ بالموت ، واستحضار جلاله ، والاستعداد له حتى تخشع القلوب ، وترجع النفوس عن غيرها ، وتعلم أن الدنيا عرض زائل ، وحطام فان ، وأن الآخرة خير وأبقى ، وأن العاقبة للمتقين .
وقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام على تشييع الجنازة واتباعها ، وجعل جزاء ذلك أجراً كريماً ، وثواباً جزيلاً ، روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من صلى على جنازة فله

(١) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعى الكعبى . أسلم فى عام خيبر ، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات ، وكان من فضلاء الصحابة ، كما كان مجاب الدعوة ، ولم يشهد الفتنة ، وكان فى مرضه تزوره الملائكة ، وقد طال مرضه بالاستسقاء وهو صابر عليه ، توفى بالبصرة سنة ٥٢ هـ وبقى له عقب فيها .

قيراط . ومن تبعها حتى يقضى دفنها فله قيراطان أحدهما أو أصغرهما مثل
أحد (جبل بالمدينة معروف) فذكر ذلك لابن عمر فأرسل إلى عائشة رضى
الله عنها فسألها عن ذلك فقالت : صدق أبو هريرة فقال ابن عمر : (لقد
فرطنا في قراريط كثيرة) .

قال أبو عيسى الترمذى : حديث أبي هريرة صحيح قد روى من غير وجه .
ومما حث عليه الشرع وندب إليه الإسراع في السير بالجنائز إسراعاً
وسطاً فوق المشى المعتاد وأقل من الهرولة لما روى في البخارى عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أسرعوا بالجنائز فإن تلك صالحة
فخير تقدمونه إليها ، وإن تلك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم)
(أخرجه الستة)

وروى ابن عمر رضى الله عنهما قال : لما حضرت الوفاة عمر وغشى عليه
فأخذت رأسه فوضعت في حجرى فقال عمر : (ضع رأسى بالأرض لعل
الله يرحمنى ، فمسح خديه بالتراب وقال : ويل لعمر إن لم يغفر له ! فقلت
له : وهل فخذى والأرض إلا سواء يا أبتاه ؟ فقال : ضع رأسى بالأرض
لا أم لك كما أمرك . فإذا قضيت (أى مت) فأسرعوا بى فى حفرتى فإنما
هو خير تقدمونى إليه ، أو شر تضعونه عن رقابكم ، ثم بكى . فقيل له :
ما يبكيك ؟ قال خبر السماء : لا أدرى إلى جنة ينطلق بى ، أو إلى نار) .
ويستحب لمن رأى جنازة أن يقول عند رؤيتها :

(الله أكبر) ثلاث مرات . (هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله
ورسوله . وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً) أو يقول : سبحان الحى الذى لا يموت
أبداً .

ويباح لمن مشى مع جنازة أن يمشى أمامها وخلفها وعن يمينها وعن شمالها
فقد قال أنس بن مالك رضى الله عنه إنه يمشى بين يديها (أى أمامها) وخلفها
وعن يمينها وعن شمالها ، رواه البخارى عنه تعليقاً ووصله عبد الوهاب بن
عطاء فى كتاب الجنائز ، ووصله أيضاً ابن أبى شيبه وعبد الرزاق كما فى كتاب
نيل الأوطار للشوكانى .

وقد اختلف أهل العلم هل الأفضل لمتبع الجنازة أن يمشى خلفها أو أمامها؟
فذهب الجمهور وجماعة من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعثمان إلى أن المشى

أمام الجنازة أفضل (فقد روى عن ابن عمر أنه رأى النبي عليه الصلاة والسلام وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة) . (رواه الحمسة)

ما يفعله المشيعون :

ويجب ألا يرفع المشيعون أصواتهم ولو بالذكر وقراءة القرآن ، وقراءة البردة ودلائل الخيرات ونحوها . ومن أراد أن يذكر الله تعالى فليذكره في نفسه ، وليدع للميت بالخير ، ويكره تزوين النعش بأفخر الثياب ووضع علامات التحرير وحلى المرأة ، وطربوش الرجل أو عمامته ، ومشى جماعات أمام النعش بزى خاص معروف وفي أيديهم المحامر والشموع والأباريق . لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تتبعوا الجنازة بصوت ولا نار) .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أيضاً (إن الله يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة) .

وقد روى أن أحد المشيعين لجنازة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع صوته بالاستغفار للميت فأنكر عليه عبد الله بن مسعود قائلاً له : لا غفر الله لك ، وكان يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقره ولم ينكر عليه . ومثله ما روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

قال فضيل بن عمرو وبينما ابن عمر في جنازة إذ سمع قائلاً يقول : استغفروا له (أى للميت) غفر الله لكم فقال له ابن عمر : لا غفر الله لك .

كذلك لا تتبع الجنازة بموسيقى ونحوها كما يفعله أهل مصر في زماننا . وكل ذلك لم يكن من هديه عليه الصلاة والسلام ولا من هدى أصحابه ولا السلف الصالح فهو أمر محدث يلزم منعه واجتنابه . فقد كانوا في تشييع جنازتهم يلتزمون الأدب والسكون والخشوع حتى إن صاحب المصيبة كان لا يعرف من بينهم لانشغال الجميع بالتفكير فيما هم إليه صائرون وعليه قادمون وهذه البدع فضلاً عن أنها تحول دون الاعتاظ ، وتذكر الموت المقصود . من تشييع الجنازة تثير الأحزان في النفوس ولا سيما الموسيقى التي تعزف بنغمات شجيات تعبت بالقلوب ، وتصرفها عن جميل الصبر ، وحسن العزاء .

وإننا لننصح للنساء في زماننا بعدم اتباع الجنازة وتشيعها حيث يخرجن

معها رافعات أصواتهن بالنياحة والبكاء ، كاشفات صدورهن وسيقامهن وأذرعهن صابغات وجوههن بالسواد وغيره .

فعن الإمام علي كرم الله وجهه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا نسوة جلوس فقال هن : ما يجلسكن ؟ قلن : ننتظر الجنازة قال : هل تغسلن ؟ قلن : لا قال : هل تحملن ؟ قلن : لا : قال : هل تدلين فيمن يدلي ؟ قلن : لا قال : فارجعن مأزورات (آثامات مذنبات) غير مأجورات (لا ثواب ولا أجر لكن) رواه ابن ماجه بسند ضعيف من رواية (إسماعيل ابن سليمان الأزرق) ، ونقل بن أبي حاتم تضعيفه عن أعلام هذا الفن .
نعم وإن كان هذا الحديث ضعيفاً لكنه وردت آثار تقويه فأصبح حسناً لغيره .

وهنا مسألة جديرة بالبحث والإجابة عنها وهي :
أن بعض الناس عشاق كل غريب ، وهواة كل عجيب . يذيعون ويتمحدثون من آن لآخر عن خفة النعش وثقله ، وسرعته وبطئه . ووقوفه وطوافه وطيرانه ، وتعذر دفنه في مقبرة معينة ، وسهولة دفنه في مقبرة أخرى فهل هذا يا ترى صحيح أو غير صحيح ؟

وإليك الإجابة كما وصل إليها علمي وإطلاعي فأقول وبالله التوفيق :
تحدثنا السنة النبوية الصحيحة أن سعد بن معاذ زعيم الأوس وسيدهم ، والذي مات شهيداً من جرح أصابه في غزوة الخندق في السنة الرابعة من الهجرة بعد حكمه في يهود بني قريظة ، قد أكرمه الله بكثرة الحاملين والمشييعين له من الملائكة الكرام واستبشارهم بروحه ، وقدموها إلى الملأ الأعلى وباهتزاز عرش الرحمن له فرحاً وسروراً ، وبخفة جثمانه .

فقد روى أنه كان بادناً (أي عظيم البدن بكثرة لحمه) فلما حملة الناس وجدوا له خفة فقال رجال من المسلمين : والله إن كان لبادناً ، وما حملنا جنازة أخف منه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إن له حملة غيركم ، والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش) ، وأخرج النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (هذا) (أي سعد بن معاذ) الذي تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة (أي ضمه القبر بحافتيه) ثم فرج عنه .

وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال :
ممنعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (اهتز العرش لموت سعد بن معاذ) .
وأخرجه أحمد والبخاري عن عبد الله بن عمر ، والحاكم عن أسيد بن حضير
والطبراني عن معيقب . وأحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري .

يؤخذ مما تقدم أن بعض من يكرمه الله من عباده المتقين ، وأوليائه
الصالحين يكون من إكرامه له تخفيف جنازته على حاملها مهما عظم جثائه ،
وكثر لحم بدنه .

وقد يكون من إكرامه أيضاً الإسراع به إلى ما أعده الله له من النعيم
المقيم ، والفضل العظيم : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .
على أنه ليس ببعيد أن نقول : إن روح الميت الصالح عند الله وهي
مدرجة بين جسده وكفنه قد عاونت وساعدت الحاملين للجنازة .
ومعلوم أن للروح المطلقة من أسر البدن وعوائقه من التصرف والقوة ،
والنفاذ والهمة والسرعة ما ليس للروح المحبوسة في البدن .

فحصلت بمعاونة الروح ومساعدتها للحاملين للجنازة هذه الخفة وتلك
السرعة للميت وهو على النعش لترى ما أعده الله لها من النعيم في قبرها
وفي برزخها وهي مع هذا تقول للملائكة المصاحبين للنعش وهو محمول
قدموني . قدموني أي اسرعوا بي لأرى ثواب عملي الصالح الذي عملته .

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال
على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت : قدموني قدموني ، وإن كانت
غير صالحة قالت : يا ويلها (أي يا حزني ويا هلاكى) أين تذهبون بها يسمع
صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعه لصعق (أي مات) .

أقول : إن ما عدا خفة الجنازة وإسراعها من وقوفها وبطئها ، وطوافها ،
وتعذر دفن الميت في مقبرة معينة وسهولة دفنه في أخرى فلا أعلم أن له أصلاً
في الدين الإسلامي ، وإنما مرجع بعض ذلك إلى فعل الحاملين للجنازة .

فتارة يكونون مجاهدين متعبين ، ونفوسهم غير نشيطة ، وصدورهم غير
منشريحة ، أو ضعاف الأجسام فيجدون للجنازة ثقلاً فيقفون ، أو يسرون بها
ببرأ بطيئاً .

وتارة يكون النشاط والقوة متوفرين عندهم ولهم غرض من وراء ذلك إذا كان الميت من أرباب ... المشهورين ، أو من قبيلة عرفت بالولاية والصلاح مهما كان حال هذا الميت ، فيأتون بالعجب العجيب فيجرون بالجنائز بحال مزرية ، وبفعلة شنعاء ، وأغاريد النساء تنطلق هنا وهناك ، وتهاليل الرجال تنتشر في الفضاء ، والأعناق تشرئب (أى تمتد) من المنازل لرؤية النعش الطائر في نظرهم ، ثم يطوفون بالجنائز حول الأضرحة ثم يوقف بها عند باب كل ضريح ذهبوا إليه ، أو يطوفون بها حول القرية من منزل إلى آخر وهكذا دواليك حتى يتعبوا ويتعب غيرهم ، وتمر على ذلك ساعات وساعات .

وغرضهم وغرض من يعاونهم إثبات كرامة للميت ، وهذا الطواف وما مثله لا يقره الشرع ، لأنه قد يجر إلى إفساد عقائد العامة . مع ما فيه من فوات سنة الإسراع بالدفن ، ومن السنة إكرام الميت بالتعجيل بدفنه بعد التثبت من موته .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أسرعوا بالجنائز فإن تلك صالحة فخير تقدمونها إليه ، وإن تلك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) .

بني طيران النعش من فوق أكتاف الحاملين له كما يزعمون ، فهل هذا يا ترى إذا وضع النعش في سيارة برية ، أو سفينة بحرية يطير أو لا يطير ؟ الجواب : أننا لم نر أو نسمع ممن يوثق به أن نعشاً قد طار بنفسه وهو موضوع في سيارة أو سفينة .

ألا فليترك الله الحاملون للجنائز ، ويتجردوا من أهوائهم وأغراضهم المخالفة للشريعة الإسلامية الطاهرة النقية من شوائب الأوهام والضلال ، وليثوبوا إلى رشدهم وعقولهم ، وليتركوا الأفاعيل الشيطانية : « إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء » .

نعم إذا ما رأينا نعشاً قد طار فعلاً في الجو ، وشاهدناه عياناً ، وكان الميت عبداً صالحاً تقياً فهذا الطيران من غير شك يكون كرامة لهذا الميت وهي أمر يخارق للعادة أظهره الله على يد هذا العبد الصالح .

فقد أخرج البخاري من طريق هشام بن عروة قال : أخبرني أبي قال :

لما قتل الذين ذهبوا إلى بئر معونة ، وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل (١) من هذا ؟ وأشار إلى قتيل فقال له : هذا عامر بن فهيرة . فقال : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى لأنى أنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع .

وقال عامر بن الطفيل أيضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه : من الرجل الذى لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ؟ قال : (هو عامر بن فهيرة ، وفى رواية إن الملائكة وارت بجثته ، وأنزل عليين) .

وعلى كل حال فإن الروایتين قد اتفقتا على أن عامر بن فهيرة رفع إلى السماء بعد قتله ، وهذا الرفع تكريم من الله له ، ويعد كرامة لعامر وأمرأ خارقاً للعادة أظهره الله على يد هذا القتيل الصالح الذى صحب الرسول عليه الصلاة والسلام وأبا بكر الصديق وتشرف بخدمتهما أثناء الهجرة معهما من غار ثور إلى المدينة المنورة . والله أعلم ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » .

هـ - دفن الميت :

ومن الأمور المطلوبة شرعاً دفن الميت فى قبر يستره ، وقد أجمع المسلمون على أن دفن الميت ومواراة بدنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين .

قال جل شأنه فى سورة عبس : « ثم أماته فأقبره » : أى أمات الله الإنسان وجعل له قبراً يواريه ويستره تكريماً له .
ويحسن أن يدفن الميت بقرب قوم صالحين فقد أخرج ابن عساكر عن

(١) عامر بن الطفيل (بالتصغير) بن مالك العامري . كان سيد بني عامر فى الجاهلية ، وعامر هذا لم يختلف أهل النقل من المتقدمين أنه مات كافراً ، وأنه هو الذى قتل القراء السبعين بعد ما بلغوا بئر معونة ، وانضم إليهم قبائل رعل وذكوان والقارة فهجم بهم على القراء الوادعين ولم ينج منهم إلا عمرو بن أمية الضمري وأخذ أسيراً ثم أعتقه عامر بن الطفيل كبير الغادرين ولما عاد عامر بن الطفيل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كافراً دعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فأصابته غدة مات بها .

ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا مات أحدكم فأحسنوا كفنه ، وعجلوا إنجازه وصيته ، واعمقوا له في قبره ، وجنبوه جار السوء قيل يا رسول الله : وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة قال : هل ينفع في الدنيا ؟ قالوا : نعم . قال كذلك ينفع في الآخرة) .

وذكره الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار ، وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس بن مالك عن عمه نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين ، فإن الميت يتأذى بالجار السوء) .

قال القرطبي في التذكرة : قال علماؤنا : ويستحب لك رحمتك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين ، ومدافن أهل الخير فتدفنه معهم ، وتنزله بإزائهم وتسكنه في جوارهم تبركاً بهم ، وتوسلاً إلى الله عز وجل بقربهم . وأن تجتنب بميتك قبور من سواهم ممن يخاف التأذى بمجارتهم . والتألم بمشاهدة حاله حسب ما جاء في الحديث .

يروى أن امرأة دفنت بقرطة فأتت أهلها في النوم فجعلت تعذبهم وتشكوهم ، تقول : (ما وجدتم أن تدفنوني إلا إلى فرن الجير ، فلما أصبحوا نظروا فلم يروا في ذلك الموضع كله ولا بقربه فرن جير فبحثوا وسألوا عمن كان مدفوناً بإزائها فوجده رجلاً سيافاً كان لابن عامر وقبره إلى قبرها فأخرجوه من جوارحه (ذكر هذا أبو محمد عبد الحق في كتابه العاقبة) .

وقال ابن أبي الدنيا (١) : حدثني محمد بن موسى الصائغ أخبرنا عبد الله ابن نافع قال :

(١) ابن أبي الدنيا : هو أبو بكر عبد الله بن عبيدة (بفتح العين وكسر الباء) ابن سفيان ابن قيس القرشي مولى بنى أمية المعروف بابن أبي الدنيا البغدادي الحافظ المتقن ، صاحب التصانيف الكثيرة في الزهد والرقائق .
قال عنه أبو حاتم : إنه بغدادي صدوق ، ولد سنة ٢٠٨ هجرية ، وتوفي سنة ٢٨١ هجرية في شهر جمادى الأولى .

سمع من أكابر شيوخ وقته كسعيد الواسطي ، وخلف بن هشام البزار ، وأحمد بن حنبل المروزي ، وروى عنه كثير من المتقنين كالحارث بن أبي أسامة ، ومحمد بن خلف ، وعمرو ابن سفيد القراطيسي وغيرهم وكان ابن أبي الدنيا مؤدب المعتضد وغيره من أولاد الخلفاء العباسيين .
ولقد كان رحمه الله معروفاً بالفضل والعلم والنبوغ .

(مات رجل من أهل المدينة فرأى رجل كأنه من أهل النار فاغتم لذلك ، ثم إنه بعد سابعة أو ثامنة من موته رآه كأنه من أهل الجنة فقال : ألم تكن ؟ قلت : إنك من أهل النار . قال : قد كان ذلك ، إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في أربعين من جيرانه فمكنت منهم) .

والسنة في الدفن اللحد ، وإن كانت الأرض رخوة فلا بأس بالشق ، والأصل فيه قوله عليه الصلاة والسلام : (اللحد لنا ، والشق لغيرنا) .

(رواه أبو داود والترمذي)

وأخرج الإمام مسلم عن سعد (١) بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال في مرضه الذي مات فيه : ألدوا لي لحداً ، وانصبوا علي اللبن (أى الطوب الذي لم يحرق) كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن حبان في صحيحه عن جابر بن عبد الله أنه عليه الصلاة والسلام ألد ونصب عليه اللبن نصباً ورفع قبره من الأرض نحو شبر .

وروى أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفي اختلف الناس في أن يشق له عليه السلام في قبره بأن يحفر وسط القبر حفيرة ثم يوضع فيها ويسوى عليه باللبن أو يلحد بأن يحفر القبر بتمامه ثم يحفر في جانب القبلة حفيرة ثم يوضع فيها عليه السلام ويسوى عليه باللبن . وكان أبو طلحة الأنصاري لحداً وأبو عبيدة (٢) بن الجراح شاقاً فبعثوا رجلاً إلى أبي عبيدة ورجلاً إلى أبي طلحة فقال العباس بن عبد المطلب اللهم خر لنبيك أحب الأمرين (أى اجعل الخير في أحب الأمرين للحد أو الشق) فوجد الرجل أبا طلحة ولم يجد أبا عبيدة وكان العباس رضي الله عنه مستجاب الدعوة .

(١) هو سعد بن مالك (أبي وقاص) الزهري أسلم وهو ابن ١٧ سنة فغضبت أمه وحزنت لإسلامه ، شهد جميع الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مشهوراً بالشجاعة والبطولة ، فتح العراق والفرس وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٢) أبو عبيدة بن الجراح : هو الصحابي الجليل عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال يتصل نفسه بفهر بن مالك ، لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بأمين هذه الأمة وبشرد بالجنة ، شهد بدرًا وبقية الغزوات ، وقال فيه سيدنا عمر رضي الله عنه قرب وفاته : لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته . مات رحمه الله في سنة ١٨ هـ بالشام بالطاعون الذي ظهر بالشام وهو يتولى مركز القيادة .

ويستحب الجلوس عند القبر بعد دفن الميت بقدر ما ينحر جمل ويقسم
لحمه مع تلاوة شيء من القرآن والدعاء للميت لأنه يستأنس بالحاضرين وينتفع
بالدعاء وقراءة القرآن .

فقد ورد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : (استغفروا لأخيكم
وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) رواه أبو داود والحاكم وصححه ، واستحب
ابن عمر رضي الله عنهما قراءة أول سورة البقرة وخاتمتها عند القبر بعد الدفن
(رواه البيهقي بسند حسن)

وروى الإمام مسلم وغيره أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما حضرته
الوفاة قال لابنه فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار ، فإذا دفنتموني فشنوا
على التراب شنأ ثم أقيموا حول قبري ما ينحر الجزور ويقسم لحمها حتى
أستأنس بكم وتنظروا ماذا أراجع به رسل ربي عز وجل . قوله : (فشنوا
على التراب شنأ) بالشين المعجمة ومعناه : التفريق ويروى بالشين المهملة
ومعناه : صب التراب قليلا قليلا ، أو الصب في سهولة .

ومن السنة أن يرفع القبر عن الأرض قدر شبر ليعرف أنه قبر . ويحرم
رفعه زيادة على ذلك روى عن أبي الهياج الأسدي (حبان بن حصين) قال :
قال لي علي بن أبي طالب : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) .

قال الترمذي : والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يكرهون أن يرفع
القبر فوق الأرض إلا بقدر ما يعرف أنه قبر لكيلا يوطأ ولا يجلس عليه .
وقد كان الولاة يهدمون ما بنى في المقابر مما زاد على المشروع عملاً
بالسنة الصحيحة .

قال الشوكاني : والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه

محرم .

التعزية :

ومن الأمور المطلوبة التعزية وهي التصبر والحمل على الصبر بذكر
ما يسلي المصاب ، ويخفف حزنه ، ويهون عليه مصيبتة لقوله صلى الله عليه

وسلم : (ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة) .

(رواه ابن ماجه والبيهقي بإسناد حسن عن عمرو بن حزم)
وقوله عليه الصلاة والسلام : (من عزى مصاباً فله مثل أجره) .
(رواه ابن ماجه والترمذي قال : الإمام النووي إسناده ضعيف)
وقوله صلى الله عليه وسلم : (من عزى ثكلى كسى بردين فى الجنة) :
أى كسى من ثياب الجنة الفاضلة .
(رواه أبو برزة مرفوعاً قال الترمذي : ليس إسناده بالقوى)

وقت التعزية :

ووقت التعزية من حين الموت إلى ثلاثة أيام إلا أنها بعد الدفن أفضل لأن أهل الميت قبل الدفن يكونون مشغولين بالتجهيز والتكفين ثم إن وحشتهم بعد الدفن أكثر وتكره بعد تلك المدة إلا إذا كان المعزى أو المعزى غائباً فإنها لا تكون حينئذ مكروهة ، وقد كان الناس فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وفى زمن أصحابه والسلف الصالح ينصرفون بعد دفن الميت إلى مصالحتهم ويعزى أهل الميت حين المقابلة فى الثلاثة الأيام الأولى ، ولم يثبت أنهم جلسوا فى مكان معين بقصد أن يذهب الناس إلى تعزيتهم كما فى زماننا هذا .
وليس للتعزية صيغة خاصة إلا أن أحسن صيغة تقال فيها . . . هى التى كان يقولها الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى) .

وقد تعورف فى البلاد المصرية صيغ كثيرة منها أن يقول المعزى لصاحب المصيبة : ضاعف الله أجرك وغفر لميتك ، ومنها بارك الله فى حياتك ومنها أعظم الله أجرك وما أشبه ذلك ويقول صاحب المصيبة (استجاب الله دعائك ورحمنا وإياك) .

قال العلماء . فإن عزى مسلماً بمسلم قال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك ، وإن عزى مسلماً بكافر قال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وإن عزى كافر بمسلم قال : أحسن الله عزاءك وغفر لميتك وإن عزى كافراً بكافر قال : (أخلف الله عليك) .

وأما جواب التعزية فيؤمن المعزى (أى يقول : آمين) ويقول للمعزى
آجرك الله .

ويستحب أن تعم التعزية جميع أقارب الميت إلا المرأة الشابة التى يخشى
منها الفتنة وكذلك الصغير الذى لا يميز فإنه لا يعزى . ويكره تكرار التعزية
لأن تكرارها يجدد الحزن والأسى للمصاب وفى التكرار مخالفة لما كان عليه
الرسول وسلفنا الصالح .

طائفة من التعازى :

١ - عزى أعرابى ابن عباس فى أبيه العباس رضى الله عنهما فقال : (خير
من العباس صبرك بعده ، والله خير منك للعباس) فقال : ابن العباس :
ما عزانى أحد بأفضل من تعزيتك .

٢ - وكتب عبد الله بن المقفع (١) تعزية لصديق له فى ولده فقال :
أعظم الله على المصيبة أجرك ، وأحسن على جليل الرزء ثوابك ، وعجل لك
الخلف ، وذخر لك الثواب عليه (٢) .

٣ - وكتب شخص إلى صديق له يعزیه فى أخيه المتوفى فقال : ما تصنع
يا أخى والقضاء نازل ؟ والموت حكم شامل ، وأنت أن تعلم نوائب الدهر
لا تدفع إلا بعزائم الصبر (٣) ، فصبراً صبراً .

فحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها (٤) ، كما أن متون (٥) الجبال
لا تهزها العواصف بهبوبها ، وقدر الله هو المقدر ، وأجل الله إذا جاء لا يؤخر
وكلما كان من الرزء أوجع كان عليه الأجر أوسع .

(١) عبد الله بن المقفع هو الكاتب المعروف ، والأديب المشهور ، فارسى الأصل عربى
النشأة ، ولد سنة ١٠٦ هـ ونشأ بالبصرة وقتل فى عهد الخليفة المنصور العباسى بتهمة الزندقة
والإلحاد سنة ١٤٢ هـ .

(٢) ذخر لك الثواب : أى ادخر لك الثواب إلى يوم الجزاء .

(٣) عزائم الصبر : قواه أى بالصبر القوى .

(٤) فحول الرجال : عطاؤها ، لا تستفزها : لا تستخفها ولا تزعجها ، والخطب :
الحوادث العظام .

(٥) متون الجبال : ظهورها .

الرسول صلى الله عليه وسلم من مرض موته إلى دفنه في قبره الشريف

مرض الرسول صلى الله عليه وسلم :

مرض الرسول : لما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر صفر في السنة الحادية عشرة من الهجرة ابتداء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابه الصداع والحمى ، ولما اشتد عليه المرض سأل نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له ، فلما اشتد به الألم عندها جعل يأخذ الماء بيده ، ويجعله على رأسه ويقول : واكرباه - فتقول فاطمة (١) بنت محمد - واكربى لكربك يا أبتى - فيقول لها : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا كرب على أبيك بعد اليوم) ثم أخذ يتوعك توعكاً شديداً ، وروى عن عبد الله بن مسعود قال : (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فمسسته فقلت يا رسول الله : (إنك لتوعك وعكاً شديداً قال : أجل) إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم قلت إن لك أجرين قال : نعم) والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه خطاياها كما يتحات ورق الشجر) . ومعنى يتوعك أى يتألم من شدة الحمى التى أصابته عليه الصلاة والسلام .

(١) ولدت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها قبل الرسالة بخمس سنوات ، وكانت أحب النساء إلى أبيها ، تزوجها الإمام على بعد أن بلغت من العمر ١٩ سنة ، وكان زواجها بعد الهجرة بسنتين على أربعمئة درهم لها ، وبعد عام من هذا الزواج الميمون الذى باركه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعا للزوجين بقوله : (بارك الله لكما وعليكما وأسعدكما ، وأخرج منكما الكثير الطيب) ، وضعت ابنها الحسن ، ثم بعد تمام سنة وأشهر وضعت الحسين ، ثم محسناً بعد ذلك ولكنه مات قبل وفاة أمه .

وتوفيت السيدة فاطمة رضى الله عنها بعد وفاة أبيها بستة أشهر ، وكانت وفاتها رضى الله عنها ثلاث خلون من شهر رمضان سنة ١١ هـ وهى فى الثامنة والعشرين من عمرها ودفنت بالبقيع ، طيب الله ثراها ، ورضى عنها .

وقالت عائشة رضي الله عنها : (ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

سكرات موته صلى الله عليه وسلم :

روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فيدخل يده في القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : (اللهم أعني على سكرات الموت ، لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات ، ثم نصب أصبعه اليسرى وجعل يقول : (إلى الرفيق الأعلى (١) إلى الرفيق الأعلى) ومالت يده في الماء حتى قبض ورأسه الشريف على صدرى قالت فلما خرجت نفسه (أى روحه) لم أجدر رجلاً أطيب منها . وقالت أيضاً : (إن من نعمة الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في يومى . وفي بيتى وبين سحرى (بفتح فسكون الرثة وأعلى البطن) ونحرى ، وأن جمع بين ريقى وريقه عند الموت .

وقالت : كان أول من دخل عليه بعد الوفاة عمر بن الخطاب ، والمغيرة ابن شعبة رضي الله عنهما فاستأذنا فأذنت لهما ، وجذبت إلى الحجاب فنظر عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : واغشياه ! ما أشد غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاما ، فلما دنوا من الباب قال المغيرة يا عمر : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : (كذبت بل أنت رجل نحو شك (أى تغشاك) فتنة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يقبى الله المنافقين) .

وقام عمر يخطب الناس ، ويتوعد بالقتل من قال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : (إن رسول الله في غشية) . ولم يكن أبو بكر موجوداً لأنه كان بالسج (إحدى محال المدينة في أطرافها وهى منازل بنى الحارث بن الخزرج) ولما علم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعاً حزيناً ، فاستأذن ابنته عائشة فأذنت له فدخل

(١) (الرفيق الأعلى) معناه الإلحاق بالله تعالى ، والأعلى هنا مأخوذ من علو المكانة والمنزلة لا المكان الذى يستحيل على الله تعالى ، وقيل : المراد بالرفيق الأعلى (الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون) .

ورسول الله مغطى ببرد حبرة (بكسر الحاء وفتح الباء) فكشف عن وجهه وجثا عليه يقبله ويبكى ويقول : رحمة الله عليك يا رسول الله . ما أطيبك حياً وميتاً ، ثم غطاه ، وخرج سريعاً إلى المسجد يتخطى الناس وهم في المسجد يبكون ويموجون حتى أتى المنبر ونادى الناس فجلسوا وأنصتوا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال في خطبته المشهورة : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين . (سور آل عمران آية - ١٤٤)

فقال عمر : فكأنى لم أثل هذه الآية قط .

غسله عليه الصلاة والسلام :

روى ابن ماجه بسند جيد عن ابن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم أنه قال : « إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس (بفتح الغين وسكون الراء) لأنه كان يشرب منها » .

وقد تولى غسل رسول الله على بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب وابنه الفضل ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله ، فجعلوا يصيبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر ، فغسل رسول الله ثلاث غسلات الأولى بالماء القراح (بضم القاف أى الخالص) .

والثانية بالماء والسدر (ورق النبق) والثالثة بالماء والكافور . وكان على رضى الله عنه يقول : وهو يغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم . بأبى أنت وأمى طبت حياً وميتاً وجعل سيدتنا على خرقة على يده وأدخلها تحت القميص ثم اعتصروا قميصه ، وحنطوا مصاحده (أى وضعوا الرائحة الطيبة على مواضع سجوده . وهى الجهة واليدان والركبتان) ومفاصله ، ووضعوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقبليه وجمروه عوداً وندأ .

كفنه صلى الله عليه وسلم :

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها ، كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض محولية من كرفس ليس فيها قميص ولا عمامة . (رواه ابن ماجه وغيره . وهى إزار ورداء ولفافة)

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم :

روى ابن ماجه عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريرته في بيته ثم دخل الرجال عليه أرسالا (بفتح الهمزة أى جماعات متتابعين) يصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء حتى إذا فرغن دخل الصبيان . ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد فأول من صلى عليه حسب وصايته صلى الله عليه وسلم أهل بيته .

دفنه صلى الله عليه وسلم :

تفاوض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في دفن النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم ندفنه بمكة بلده الذى ولد به . وقال بعضهم ندفنه بالبقيع (جبانة أهل المدينة) . وقال آخرون ندفنه في بيت المقدس مدفن الأنبياء . فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذى مات فيه فاعتمد الصحابة على خبر أبي بكر الصديق رضى الله عنه المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وكانت وفاته في بيت السيدة عائشة فحفر قبره الشريف أبو طلحة (زيد بن سهل) في موضع فراشه حيث فاضت روحه الطاهرة وفرش شقران (١) خادمه في قبره قطيفة نجرانية كان يتغطى بها ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك ، وقيل أخرجت هذه القطيفة بعدما وضعها شقران في القبر الشريف كما قال الحافظ السخاوى في ألفية السيرة .

وفرشت في قبره قطيفة وقيل أخرجت وهذا أثبت ونزل قبره صلى الله عليه وسلم عمه العباس وابناه الفضل وقثم (بضم القاف القاف وفتح الثاء) . وعلى بن أبي طالب وأنزلوا رسول الله عليه الصلاة

(١) شقران (بضم الشين وسكون القاف) : خادم الرسول صلى الله عليه وسلم ومولاه اشتهر بهذا اللقب ، واسمه صالح ، كان عبداً حبشياً لعبد الرحمن بن عوف فأهداه للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر وشهودها ، وأوصى به الرسول عليه الصلاة والسلام عند موته وقد حضر شقران غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والسلام في القبر ، وألحد فيه ، ونصب عليه اللبنة (بفتح اللام وكسر الباء)
التسع ولم يشق قبره ، ثم واروه التراب ليلة الأربعاء .

ورث بلال (١) قبره الشريف بقربة مملوءة ماء بدأ من قبل رأسه . وجعل
عليه حصباء حمراء وبيضاء (والحصباء : الرمل) ، ورفع قبره من الأرض
قدر شبر .

وقد توفي رسول الله في صبيحة يوم الاثنين ١٣ من شهر ربيع الأول سنة
١١ هجرية الموافق ٨ من يونيه سنة ٦٣٣ ميلادية ودفن عليه الصلاة والسلام
ليلة الأربعاء ١٥ من شهر ربيع الأول وسبب تأخير دفنه اشتغال الصحابة
ببيعة أبي بكر حتى تمت .

فيكون عمر المصطفى صلى الله عليه وسلم ٦٣ سنة قمرية كاملة . وثلاثة
أيام ، وإحدى وستين سنة شمسية وأربعة وثمانين يوماً .

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ،
وترك في الناس أمرين لن يضلوا بعده أبداً ما داموا متمسكين بهما كتاب الله ،
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

(١) هو سيدنا بلال بن رباح (بفتح الراء) واسم أمه حمزة ، وكان من الحبشة . ولد بعد
ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم بعشر سنين ، وتوفي بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم بعشر
سنين وهو ابن ٦٣ سنة في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه ، وهو من السابقين إلى الإسلام ،
والذين عذبوا تعذيباً أليماً ، اختاره الرسول عليه الصلاة والسلام للأذان لأنه كان حسن الصوت
جميل الإلقاء .

شهد بلال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، ولما توفي عليه الصلاة والسلام
امتنع عن الأذان رغم إلحاح الخليفة الأول والثاني عليه وقال : ما أملك صوتاً بعد موت الرسول
عليه الصلاة والسلام ، فأرسله سيدنا عمر رضي الله عنه إلى بلاد الشام للجهاد في سبيل الله كرهته ،
وفي سنة عشرين من الهجرة توفي سيدنا بلال ، ودفن بمقبرة دمشق .

القسم الثاني

في الكلام عن أحوال الميت من وضعه في لحد
إلى أن يبعث من قبره

القبر :

القبر : هو تلك الحفرة الضيقة التي لا أنيس بها ولا جليس ، ولا صديق
ولا سمير ، اللهم إلا عمل صالح قدسه الميت قبل وفاته فهو أنيس في قبره ،
ومزيل وحشته في رमسه .

القبر : هو ذلك المكان الذي يضم بين جوانبه الجثث الهامدة التي لا حراك
بها ، ولا نبض في عروقها ، والأجسام البالية ، والعظام النخرة . والأشلاء
المبعثرة ، والشعور المتناثرة ، والأوصال المتقطعة .

رُبَّ لحد قد صار لحدًا مرارًا

ضاحك من تزاحم الأضداد

ودفين على بقايا دفين

في طويل الأزمان والآباد^(١)

القبر : معول هدم الرعوس والأبدان ، وبيت الهوام والديدان ، ومسيل
الصديد والدماء ومحط البلى والفناء .

القبر : موطن العظماء والحقراء . والحكماء والسفهاء ، ومنزل الصالحين
السعداء ، والطالحين الأشقياء .

القبر : محكمة السؤال والمناقشة . والاختبار والمراجعة ، والاضطراب
والأهوال ، والتوفيق والتثبيت :

(١) الآباد جمع للأبد والبيتان لأبي العلاء المعري الشاعر الفيلسوف العربي .

القبر : إماروضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، وإما دار
كرامة وسعادة ، أو دار إهانة وشقاوة .

قال سيدنا (١) عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : (يا فلان . لقد أرقت
الليلة أتفكر في القبر وساكنه . إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره
لاستوحشت من قبره ، بعد طول الأسى منك به ، ولرأيت بيتاً نجول فيه
الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان
بعد حسن الهيئة ، وطيب الروح ، ونقاء الثوب .

مناجاة أهل القبور للإمام على كرم الله وجهه :

لما رجع الإمام على كرم الله وجهه من صفين (٢) بكسر الصاد وبالفاء
المشددة مع الكسر) وأشرف على القبور قال : (٣) (يا أهل الديار الموحشة ،
والمحال المقفرة ، والقبور المظلمة ، يا أهل التربة ، يا أهل الغربة . يا أهل الوحشة
أنتم لنا فرط سابق . ونحن لكم تبع لاحق) .
أما الدور فقد سكنت . وأما الأزواج فقد نكحت ، وأما الأموال فقد
قسمت ، هذا خبر ما عندنا ، فما خبر ما عندكم ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال :
أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى .

أبها القبر :

كتب الأستاذ : أحمد شوقي محمد العدل كلمة قيمة تحت هذا العنوان
في مجلة الإسلام في عددها التاسع والأربعين من سنتها السابعة فقال :

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الحاكم العادل ، والزاهد الورع ، والظاهر العفيف والصالح التقى . ولد بالمدينة
سنة ٦٢ هجرية ثم نقل إلى مصر وهو صغير حيث أسندت ولاية مصر إلى أبيه ، ثم رجع إلى المدينة
بعد فترة قصيرة ليتأدب ويطلب العلم بها ، ثم تولى إمارتها من سنة ٨٧ هـ إلى سنة ٩٣ هـ ، ثم عزل
فسافر إلى الشام ، وأقام بها ست سنوات ، ثم أقيمت إليه مقاليد الخلافة سنة ٩٩ هـ وبقي فيها
سنتين ونصف سنة ، وقد توفى في اليوم الخامس والعشرين من شهر رجب سنة واحد ومائة هجرية
في قرية بدمشق تسمى بدير سمعان ، ودفن بها وكان عمره رضي الله عنه ٣٩ سنة .

(٢) صفين : موضع يقع على الشاطئ الغربي من نهر الفرات بالقرب من الرقة ، كانت به الموقعة
التاريخية المشهورة التي حدثت في أول شهر صفر في السنة السابعة والثلاثين من الهجرة بين الإمام علي ومعاوية .
(٣) هذه المناجاة ، أو مخاطبة أهل القبور للإمام على مدونة بكتاب نهج البلاغة صفحة ١٧٣
من الجزء الثاني الذي شرحه الشيخ محمد عبده .

أيها القبر : أنت المثابة (١) للناس جميعاً ، والباب الذي خلع عليه الدهر
سكونه ورهيبته ، والزاوية المعتمدة في عين الشمس ، والقبة الزرقاء لعشاق
السكون ، والسطور الوضاعة لسكرات الحزن ، والنور الوهاج لحديث الدموع
والترياق الناجع لمعذب الحس ، والشاطئ الأمين لساحل النكبات ، والراحة
للجسم الهالك ، والدفء الهادي للبدن المرتجف .

أيها القبر : إني أجد في سكونك المفزع شفاء لهمسات روحى المضطربة (٢)
ونيران نفسى المتوهجة ، وألم حسى الفادح البالغ ، وعذاب حياتى
الشامل ، قصدتك وأنا السليم المتلوى الصابر المتوجع الحزين الوامق (٣) ،
الجائش الصدر ، الهائج الحزن ، الصامت الألم ، الشاعر المكلوم ، النائح
المصدور ، لأتمس في ديارك الرحبية دمعة أطفئ بها لوعتى ، وأبرد بها غليل
صدرى ، نعم قصدتك لأتمس الراحة من عناء أفكارى الصارخة ، وأحاسيس
نفسى الطاغية المتوثبة .

فوقفت بين الأجداث الجاثمة في تربتها الغبراء أستمطر الرحمات لنفسى
وللهاجعين في تلك الحفر التى يثير منظرها كمين الشجون . ويستمطر ماء العيون .
وقفت حيث هناك السكون الرهيب ، فلم أسمع نائمة (٤) ولا حركة
إلا هبات النسيم تمر مرور التسليم والتحيات ، ملؤها همسات الخوف والفزع ،
حيث تذكر الموت وسلطانها . وقفت وقفة المستعبر المستغرق فيما أرى من
مصارع الملوك والسوقة والجبابرة ، وقادة الفكر ، وعلماء الفن ، وقرأت
في تضاعيف مآلهم أن الإنسان مهما أوتى من كل شئ سبباً لا يملك أن يفلت
من حباله (٥) هذا الصياد الخفى الذى يتخلل صفوف البشر وهم عنه لاهون .
نعم قرأت في تلك الصفحات : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والإكرام » . وأن كل من اضطربت في جسمه الروح سالك

(١) المثابة : المرجع .

(٢) المضطربة : المشتعلة .

(٣) الوامق : المحب .

(٤) نأمة : أن أنا خفيفاً ، والنأمة اسم مرة من نأمة .

(٥) الحباله (بكسر الحاء وفتح الباء مخففة) : شبكة الصياد .

سبيل السالفين . صائر لا محالة حيث صاروا ، انبأقت مشاعري حيث وكر
الخيال ، وجثا على الحس شبح مخيف ، ولكنه حبيب إلى نفسي المتألمة المحزونة
فتلفت فلم أر إلا الحزن مخيا مرتسما على كل شيء ، ولم أر في الشمس لألاءها
ولا في السماء صفاءها ، ولا في الزهرة نضرتها ، ولا في الطبيعة جمالها .
ورأيت الأرض مغبرة مقشعة كأنها ثكلى في ثوب الحداد .

وقفت أردد النظر في حناياه وزواياه وسطوره فلم أجد إلا الألم شاخصاً
على صفحاته ، والحزن محيطاً بطلعته فلم أتمالك أن خاطبته :

أيها القبر : بالله لا تمار كيف ضمنت بين حنايا تربتك أجساداً نورانية
خلقت من اللجين ؟ (١) لها طلعة الشمس وفيها منى النفس ، وبها هدوء الحواطر
وسكون الحوارج - بربك كيف ضمنتها بين جوانحك الرهيبه ؟ وكيف عمل
ثراك الندى في بشرتها الغضة الناعمة ، وعيونها الساحرة الفاتنة ، وخطودها
المتوردة ، ووجهها الحسن الجميل .

أيها القبر : خبرني بحق السكون الذي يرفرف على فضائك والرهبة التي
تنتشر بين أجوائك .

ما حاجتك هذه الأجساد الناضبة (٢) ؟ وتلك القلوب الدامية والعيون
الباكية ، فغرت (٣) فاك فالتهمت من مبدأ الحياة إلى اليوم ، ولم ينزته طمعك ،
ولم يشبع نهمك (٤) ، وفي كل آن تقول : هل من مزيد .؟

ماذا تصنع ؟ بأولئك الذين كانوا أعزاء على أهلهم وعلينا ، وكانوا مسرح
النظر وملء العين وكل الأمل فحطمت الآمال والقلوب ، وخطفتهم من بين
ظهرانينا (٥) ونحن أحوج ما نكون إليهم .

أيها القبر : كم من قلب جريح من قلوب الأحياء يرفرف عليك ،
ويحوم حوالبك ، فهنيئاً للموتى الذين يجدون في بطنك من الراحة والسكون .

(١) اللجين : الفضة .

(٢) الناضبة : النحيلة .

(٣) فغرت فاك : فتحت فك .

(٤) النهم (بفتححتين) : إفراط الشهوة في الطعام والحرص عليه .

(٥) ظهرانينا (بفتح الظاء والنون) : الألف والنون زائدتان للتأكيد ، والمعنى أن ظهراننا

قدام أولئك الأعزاء الذين خطفتهم القبر ، وظهراننا وراءهم .

والعطف والحنان ، ما ننشده ونحن على ظهر الأرض فلا نجد إليه سبيلاً
(انتهى بتصرف) .

القبر (١) والحدث في القرآن :

ورد في القرآن الكريم التصريح بذكر القبر (مفرداً وجمعاً) كما ورد
التصريح أيضاً بذكر الحدث (وهو القبر) إلا أنه جاء جمعاً لا غير : وإليك
البيان .

١ - قال الله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على
قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » .

(سورة التوبة - آية ٨٤)

٢ - قال الله تعالى : « وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من
في القبور » .

(سورة الحج آية : ٧)

٣ - قال الله تعالى : « وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع
من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور » .

(سورة فاطر - آية ٢٢)

٤ - قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله
عليهم قد يثسوا من الآخرة كما يثس الكفار من أصحاب القبور » .

(آخر سورة الممتحنة)

٥ - قال الله تعالى : « ثم أماته فأقبره » : أى جعل له قبراً يستره
إكراماً له .

(سورة عبس - آية ٢١)

٦ - قال الله تعالى : « وإذا القبور بعثرت » . (سورة الانفطار آية : ٤)

٧ - قال الله تعالى : « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور » .

(سورة العاديات آية : ٩)

٨ - قال الله تعالى : « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » . المقابر جمع
مقبرة وهى موضع القبور ، ولم يذكر لفظ المقابر في القرآن إلا في هذه الآية .

(١) ذكر في كتب اللغة أنه يقال : قبر الميت يقبره (بضم الباء وكسر ها في المضارع)
قبراً (مصدر) ومقبراً (مصدر ميمي على القياس) دفنه ، وأقبره جعل له قبراً ، والمقبر
(بفتح الميم والباء) : موضع القبر . يقال : هذا مقبر فلان : أى موضع قبره والمقبرة (مثلثة
الباء مع ميم مفتوحة وقاف ساكنة) والقبر : مدفن الإنسان ، وجمعه قبور .

(أ) قال الله تعالى : « ونفخ في الصور (١) فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون (٢) » . (سورة يس آية : ٥١)

(ب) قال الله تعالى : « فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر » .

(سورة القمر آية : ٦ و ٧)

(ج) قال الله تعالى : « يوم يخرجون من الأجداث سراغاً كأنهم إلى نصب (٣) يوفضون (٤) » . (سورة المعارج آية : ٤٢)

مترادفات القبر :

للقبر مترادفات كثيرة منها :

الجدث (بفتح الجيم والdal) جمعه أجداث .

وفي الحديث : (نبؤهم أجداثهم) : أى ننزلهم قبورهم وقد تبدل الاء فاء

فيقال جدف ، والرمس (بفتح الراء وسكون الميم) جمعه رموس ، والريم

(بفتح الراء وسكون الياء) جمعه ريوم يقال نزلت في ريم فلان ألحده فيه :

أى نزلت في قبره ، والشق ، والحفير (بفتح الحاء وكسر الفاء) والضريح

ومنه يقال : زرت ضريح الإمام الحسين رضى الله عنه أى زرت قبره ،

والرجم (بفتح الراء والجيم) جمعه رجام سمي بذلك لما يجمع عليه من الحجارة

والرجم في اللغة الحجارة ، والجنن (بفتح الجيم والنون الأولى) جمعه أجنان

سمي بذلك لستر الميت وإخفائه فيه ، والمنهال (بكسر الميم) جمعه مناهيل .

يقال : دفنت الميت في منهال أى في قبر .

متى عرف الدفن في القبر ؟

عرف دفن الميت في قبر على ما أعلم - والعلم لله وحده - عند أول قتيل وجد على ظهر الأرض من بنى آدم هو هابيل بن سيدنا آدم عليه الصلاة

(١) (الصور) ما ينفخ فيه إسرافيل يوم تموت الخلائق ، يوم تبعث ، والمراد هنا بالنفخ

في سورة يس ، نفخة البعث والإحياء . (٢) « ينسلون » : أى يسرعون .

(٣) « نصب » : جمع نصوب وهو ما ينصب من الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله .

(٤) « يوفضون » : أى يسرعون .

والسلام قتله شقيقه قابيل ظلماً وحسداً وانتقاماً بسبب الخلاف الذى دار بينهما على أمر زواجهما من أختيهما . وتقبل قربان هابيل ، وعدم تقبل قربان قابيل . ولذلك قصة فى القرآن الكريم فى سورة المائدة يرشد إلى ذلك قوله تعالى : « وائل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بياسط يدى إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » .

وبعد أن قتل قابيل هابيل تحير فى أمر أخيه المقتول كيف يوارى سوءة أخيه ؟ وكان أبوهما آدم غائباً . فبعث الله غراباً بالقرب منهما أخذ ينبش التراب بمنقاره ورجليه حتى أقام حفرة فى الأرض ثم وضع غراباً ميتاً أو قتيلاً كان معه فى تلك الحفرة وأخذ يثير التراب على الغراب الميت حتى واره ودفنه . فتعلم قابيل الظالم من الغراب الحى عملية الدفن ، وعرف كيف يوارى جسد أخيه المقتول هابيل المظلوم .

يرشد إلى هذا قوله تعالى بعد الآيات السابقة .

« فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب . فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين » .

ولماذا ندفن الميت فى قبر ؟

إننا بدفننا الميت فى قبر نكون قد سترناه ، ووارينا سوءاته ، ومنعنا الرائحة الكريهة التى تتركم الأنوف ، وتقزز النفوس عندما يتفسخ جسمانه ، وتتمزق أوصاله ، وتتفرق أجزاؤه ، وعملنا على عدم رؤية ما يسيل منه من قيح وصديد ، وعلى عدم مشاهدة الديدان التى تنبعث من بدن الميت ، وتنتشر حوله ، وفى رؤية كل هذا ومشاهدته إيذاء للناظرين والمشاهدين .

وقد عد الله الإمامة والإقبار من النعم على الإنسان لأن الإمامة وصلة فى الجملة إلى الحياة الأبدية ، والأمر بالإقبار أى جعل الميت فى قبره يستره تكرمة وصيانة له .

التلقين بعد الدفن :

سئل الإمام أحمد عن حكم التلقين بعد الدفن فاستحسنه ، واحتج له بالعمل ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه عن أبي أمامة مرفوعاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مات أحدكم فسيتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول : يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول : يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعداً ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة فإنه يقول : أرشدنا يرحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنت رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ، ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ، ويكون الله حجيجه دونهما . فقال رجل : يا رسول الله فإن لم يعرف أمه قال : ينسبه إلى أمه حواء) .

فهذا الحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار كاف في العمل به .

قلت : (أى قال البقاعي في كتابه سر الروح) : وقال شيخنا (أى ابن القيم صاحب كتاب الروح) : في تخريج أحاديث الرافعي إسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه ، وأخرجه عبد العزيز في الشافي .

والراوى عن أبي أمامة سعيد الأزدي (انتهى من كتاب سر الروح) .

(وبعد) : فإنه في نفسى شيء من آخر هذا الحديث من قوله : (فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا ولقد لقن حجته ، ويكون الله حجيجه دونهما) والله أعلم .

السؤال (١) والعذاب والنعيم في القبر :

اتفق علماء الإسلام على ثبوت كل من سؤال الميت وتعذيبه في القبر إذا كان كافراً أو مؤمناً عاصياً أراد الله تعذيبه ومن سؤاله وتنعيمه إذا كان مؤمناً مطيعاً :

(١) منكر سؤال القبر وعذابه ونعيمه فاسق وليس بكافر لأن الكفر يكون عند إنكار شيء يجمع عليه والسؤال والعذاب والنعيم في القبر لم يجمع عليها بل اختلف فيها .

ولم يخالف في ذلك إلا بعض (١) المتأخرين من المعتزلة الذين غلبت عليهم روح الفلسفة حتى مزجوا بها علم الكلام . والفلسفة مبناها على العقل الصرف وإن خالفت الدين .

وقد تمسك هؤلاء المخالفون بشبه أو هي من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون .

ونتكلم الآن عن أدلة المثبتين ثم نتبعها بشبه المنكرين والرد عليها .

السؤال في القبر وأدلة :

قال المثبتون : إن سؤال الميت في القبر أمر ممكن عقلاً وقد ورد به الكتاب والسنة وأجمع عليه الجمهور فيجب الإيمان به .

أما الكتاب :

فقوله تعالى في سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويفضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » . قال ابن عباس (حبر الأمة وترجمان القرآن) في تفسير هذه الآية : الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم .

وقال عكرمة (٢) : (مولى ابن عباس وتلميذه ؛ في تفسيرها يسألون عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر التوحيد فيجيبون بما يوافق ما ماتوا عليه من إيمان أو كفر أو شك) .

(١) منهم ضرار بن عمرو ، ويحيى بن كامل ، وقد أنكر ذلك أيضاً الروافض .

(٢) هو عكرمة (بكسر العين والراء بينهما كاف ساكنة) المغربي البربري التابعي تملكه ابن عباس وقت أن كان والياً على البصرة للإمام على كرم الله وجهه واهتم ابن عباس بتعليمه القرآن والسنة اهتماماً عظيماً حتى صار من أعلام الأئمة الذين يقصدون من كل صوب ، ويطرق بابهم للاستفتاء والأخذ عنهم ، وظل عكرمة على رقه حتى مات ابن عباس فصار ملكه إلى ولده على فباعه إلى خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ، فجاء عكرمة إلى سيده على كرم الله وجهه وقال له : ما خير لك ، بعثت علم أبك بأربعة آلاف دينار فاستقال على كرم الله وجهه من بيته وأعتقه (أى فسخ البيع الذى بينه وبين خالد بن يزيد ورد إليه عكرمة) ، وقد عاش عكرمة إلى ستة وخمسة ومائة من الهجرة .

وأما السنة :

ففيها ما روى عن سيدنا عثمان بن عفان قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : (استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

(رواه أبو داود وأخرجه البزار والحاكم وصححه وأقر الذهبي تصحيحه)
ومنها ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال انظر إلى مقعدك من النار ، أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فيراهما جميعاً) .

وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقوله الناس : فيقال : لا دريت (١) ولا تليت — ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين (الإنس والجن) .

ففي هذين الحديثين دليل واضح على ثبوت سؤال الميت في القبر . وقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة بلغت في دلالتها على ذلك حد التواتر المعنوي .

عذاب القبر ونعيمه وأدلهما :

وقال المثبتون لعذاب القبر ونعيمه : إن عذاب القبر ونعيمه أمران ممكنان عقلاً وقد ورد بهما الكتاب والسنة وأجمع عليهما الجمهور فيجب الإيمان بهما .

أدلة عذاب القبر من الكتاب :

أولاً : قوله تعالى في سورة الزمر : « وحق بال فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » .

(١) قوله : لا دريت من الدراية (أى العلم) ولا تليت من التلاوة وأصل تليت تلوته . أبدلت الواو بالياء لمزاوجة دريت ومجموع ذلك دعا عليه : أى لا علمت ولا قرأت .

وجه الاستدلال بهذه الآية : أن عرض (١) آل فرعون على النار غدوا وعشيا يكون قبل يوم القيامة بدليل قوله تعالى بعد ذلك « . . . ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » .

وظاهر أن الإدخال في النار غير العرض عليها (لأن العطف يقتضى المغايرة) وإذا كان الإدخال في يوم القيامة كان العرض في غير ذلك اليوم قطعاً ، وإذا لم يكن العرض بعد يوم القيامة اتفاقاً كان قبله ضرورة وبداهة ، ولا جائز أن يكون عرضهم على النار في حال حياتهم الدنيوية لأنه ما كان حاصلها فيها .

فتبين أن يكون عرضهم على النار بعد موتهم إلى قيام الساعة وهو عذاب القبر . وإذا ثبت في حق آل فرعون ثبت في حق غيرهم لأنه لا قائل بالفرق وهو المطلوب . ونزول هذا العذاب بفرعون من باب أولى لأن العادة جرت بأنه لا يصل العذاب إلى جميع أتباع الإنسان إلا بعد إذلال المتبوع وإهانته .
ثانياً : قول الله جل شأنه في سورة نوح عليه السلام في شأن الكافرين من أمته : « مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا ناراً » .

وجه الاستدلال بهذه الآية . أن العطف بالفاء يقتضى الترتيب مع التعقيب من غير تراخ فيكون المعنى : أن قوم نوح الذين لم يمتثلوا أدخلوا ناراً عقب إغراقهم في الطوفان من غير تراخ وهذا هو الظاهر من الآية ، ولا يراد هنا بإدخالهم ناراً نار الآخرة لأن هذا بعيد عن زمن الإغراق فثبت عذاب بعد الموت مباشرة وهو عذاب القبر وهو المطلوب .

ثالثاً : قول الله عز وجل : « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون » أى في قبوركم كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها ، وقال الإمام على كرم الله وجهه : ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزل « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » (أخرجه الإمام الترمذى)

أدلة عذاب القبر من السنة :

منها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كما في البخارى ومسلم أن

(١) عرضهم على النار : (أى إحراقهم بها) مأخوذ من قولهم : عرض الأسارى على السيف : أى قتلوا به .

النبي صلى الله عليه وسلم مر على حائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال عليه الصلاة والسلام : إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال : بلى كان أحدهما لا يستبرئ من بواه وكان الآخر يمشي بالنميمة ، ثم دعا بجريدة رطبة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منها كسرة فقليل له يا رسول الله : لم فعلت هذا ؟ قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا .

ومنها ما روى عن أبي أيوب (١) الأنصاري رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما غربت الشمس فسمع صوتاً فقال : يهود تعذب في قبورها . (أخرجه الشيخان والنسائي)

ومنها ما روى في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد عن زيد بن ثابت (٢) قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه فإذا أقبر (ستة أو خمسة أو أربعة) فقال : من يعرف أصحاب هذه القبور ؟ فقال رجل : أنا ، فقال : متى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا في الإشراك فقال : إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا ألا تلتافتوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا : نعوذ بالله من الفتن

(١) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عوف الأنصاري الخزرجي اشتهر بأبي أيوب ، وأسلم قبل الهجرة ، ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة نزل في بيته ، وفيه بركة ناقتة عليه الصلاة والسلام ، وأقام النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب سبعة أشهر حتى بنى مسجده وحجرات أزواجه .

شهد أبو أيوب بدرأ وبيعة العقبة وجميع الغزوات ، توفى بالقسطنطينية حين غزاها المسلمون سنة ٥٠ هـ خمسين هجرية في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وقبره مشهور بها ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥٠ خمسين ومائة حديث .

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي من أهل المدينة كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكتب له المراسلات أيضاً إلى الناس ، وكتب لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما في خلافتهما ، وكان أحد الثلاثة الذين جمعوا المصحف ، وكان رضى الله عنه أعلم الصحابة بعلم الفرائض . قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه : (أفرضكم زيد) ، وكان من الراشخين في العلم ، شهد الخندق وما بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله قبل الهجرة به ١١ سنة وتوفى بالمدينة سنة ٤٥ هـ وليس هو أخا لحسان بن ثابت .

ما ظهر منها وما بطن قال : تعوذوا بالله من فتنه الدجال قالوا : نعوذ بالله من فتنه الدجال .

وفي صحيح مسلم وجميع السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع ، من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنه المحيا والممات ومن فتنه المسيح الدجال .

وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت على عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها فخرجت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إن عجوزاً من عجائز يهود المدينة دخلت على فرعت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم . قال : (صدقت إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها . فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر) .

فهذه الأحاديث المتقدمة يؤخذ منها صراحة إثبات عذاب القبر وهي كلها صحيحة وفي بعضها أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتعوذ من عذاب القبر ويأمر أصحابه رضوان الله عليهم بذلك كما يؤخذ من حديث اليهودية أن عذاب القبر كان معروفاً لبعض أهل الكتاب بدليل قولها للسيدة عائشة : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم . كما يؤخذ منه أن البهائم تسمع عذاب القبر .

الأدلة على نعيم القبر :

يمكننا الاستدلال على نعيم القبر من القرآن الكريم والسنة النبوية .

١ - فمن القرآن قوله تعالى في سورة آل عمران :

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وجه الاستدلال بهاتين الآيتين أن الله تعالى أثبت حياة للشهداء وأنهم يرزقون عند ربهم وهذه الحياة المثبتة لهم وذلك الرزق والنعيم الذي يفرحون به يكون عقب قتلهم . وإذا ثبت أن النعيم يكون للشهداء عقب قتلهم ثبت نعيم البرزخ ، وإثبات جزئية من الجزئيات كاف في الاستدلال على المطلوب .

ويمكننا الاستدلال أيضاً على نعيمه من السنة بما روى عن أبي هريرة قال :
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاها
 ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : المنكر ، وللآخر : النكير ، فيقولان
 له : ما كنت تقول في هذا الرجل فهو قائل ما كان يقول : فإن كان مؤمناً
 قال : هو عبد الله ورسوله : : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده
 ورسوله ، فيقولان له : إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره
 سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً وينور له فيه ، ويقال له : نعم . فيقول : أرجع
 إلى أهلي ومالي فأخبرهم ، فيقولان : نعم كنومة العروس الذي لا يوقظه
 إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

وإن كان منافقاً قال : لا أدري . كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فكنت
 أقوله فيقولان له : كنا نعلم أنك تقول ذلك : ثم ، يقال للأرض التثني
 عليه فتلثم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من
 مضجعه ذلك) .

هذا الحديث ذكره أبو حاتم في صحيحه ، والترمذي في جامعه وقال :
 حسن غريب .

يؤخذ من هذا الحديث صراحة سؤال القبر ونعيمه وعذابه . كما يؤخذ
 ذلك من حديث البراء بن عازب الطويل الذي تقدم ذكره عند الكلام على
 صعود الروح وهبوطها .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : (١) القبر إما روضة من رياض الجنة
 أو حفرة من حفر النار) .

ويحسن بي أن أذكر لك ما حكاه ابن القيم والياقني عن بعض الصادقين
 في موضوعنا هذا للاستئناس والاسترشاد به .

(١) روى هذا الحديث : (القبر إما روضة . . . إلخ) الترمذي والطبراني من حديث
 أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما وسندهما ضعيف انتهى من شرح الإحياء المسمى
 نفحة السادة المتقين للسيد محمد مرتضى الزبيدي . قال الحافظ زين العراقي مخرج أحاديث الإحياء
 للفراي هذا الحديث : (القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة) رواه الترمذي
 من حديث أبي سعيد (أي الخدري) بتقديم وتأخير ، وقال : غريب . قلت : (أي قال الحافظ
 العراقي) : فيه عيب الله بن الوليد الوصافي ضعيف والله أعلم .

قال ابن القيم في كتاب الروح :

أخبرنا بعض الصادقين أنه حضر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها اضطجع ليستريح
فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر فقال أحدهما لصاحبه :
اكتب فرسخاً في فرسخ ، ثم وقفا على الثاني فقال : اكتب ميلاً في ميل ، ثم
وقفا على الثالث فقال : اكتب فتراً في فتر ، ثم انتبه فجىء برجل غريب
لا يؤبه له فدفن في الأول ، ثم جىء برجل آخر فدفن في الثاني ، ثم جىء
بامرأة مترفة من وجوه البلدة (أى عظمائها) حولها ناس كثيرون فدفنت
في القبر الضيق الذي سمته فتر في فتر .

وحكى الياقنى في روض الرياحين عن بعض الأولياء قال : سألت الله
تعالى أن يربنى مقامات أهل القبور فرأيت ليلة من الليالي القبور وقد انشقت
وإذا منهم النائم في السندس ، ومنهم النائم على الحرير والديباج ، ومنهم النائم
على الريحان ، ومنهم النائم على السرير ، ومنهم الباكي ، ومنهم الضاحك ،
فقلت يا رب : لو شئت سويت بينهم في الكرامة ، فنادى مناد من أهل القبور
يا فلان هذه أمثال الأعمال .

أما أصحاب السندس فهم أصحاب الخلق الحسن ، وأما أصحاب الحرير
والديباج فهم الشهداء ، وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون ، وأما أصحاب
السرر فهم المتحابون في الله ، وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون ، وأما أصحاب
الضحك فهم أهل التوبة .

(وبعد) فقد تضافرت الأحاديث النبوية مع الآيات القرآنية على ثبوت
كل من عذاب القبر وسؤاله ونعيمه فيكون عذاب القبر ونعيمه وسؤاله حقاً
لا مرية فيه ويجب الاعتقاد بذلك .

شبه المنكرين لسؤال القبر وعذابه ونعيمه :

الشبهة الأولى : هي قوله تعالى في سورة الدخان :

« لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى » .

قالوا : هذه الآية تدل على أنه ليس إلا موتة أولى هي التي ذاقوها عند
انتهاء آجالهم فلو حصلت لهم في القبر حياة لأعقبها موت فتكون لهم موتتان

لا مودة وهذا يخالف ما تدل عليه الآية فثبت أنه لا حياة في القبر وإذا لم تكن في القبر حياة فلا سؤال ولا عذاب . ولا نعيم فيه وهو المطلوب .

الرد على هذه الشبهة نقول : إن الآية المذكورة وصفت أهل الجنة بأنهم لا يذوقون في الجنة الموت حتى ينقطع نعيمهم كما انقطع نعيم أهل الدنيا بالموت ، وقوله تعالى « إلا المودة الأولى » تأكيد لعدم موتهم في الجنة فهو استثناء منقطع أى لكن المودة الأولى قد ذاقوها وحينئذ فلا دلالة في الآية على انتفاء مودة أخرى بعد سؤال القبر وقبل دخول الجنة ، بل الآية تفيد أن الحياة في الجنة لا ينقطع نعيمها بالموت كما انقطع نعيم الحياة الدنيا به .

٢ - الشبهة الثانية : قال المنكرون : إن السؤال والجواب واللذة والألم أمور غير ممكنة عقلا ولا تتصور هذه الأمور بدون الحياة ولا حياة مع فساد البنية وخراب البدن والمشاهدة تساعد على إنكار هذه الأمور السمعية .

فإننا نرى الميت يبقى مدة من غير تحرك وتكلم ولو وضعنا على عينيه الزئبق مثلا أو على صدره الخردل أو الحصا لوجدناها باقية على حالها وربما دفن في صندوق حديدى ضيق لا يتصور فيه جلوسه ، وأظهر من ذلك وأبلغ من أكلته السباع وتفرقت أجزاؤه أو من أحرق بالنار وذرى في الهواء شمالا وجنوبا فكيف يعقل أن يسأل ويجيب ويعذب أو ينعيم ؟

والجواب إجمالا : هو أن ما ذكره المنكرون لا يدل على استحالة سؤال الميت وتعذيبه أو تنعيمه وإنما يدل على استبعاده والاستبعاد لا ينأى إمكانه وجوازه .

والجواب تفصيلا : هو أن قولهم : لا حياة مع فساد البنية وخراب البدن ممنوع لأنه لا يشترط في تحقق الحياة البنية ، ولو سلمنا اشتراطها فلا مانع من أن يرد الله الحياة إلى أجزاء مخصوصة من البدن ، وبهذا يمكن الإجابة عن السؤال والعذاب أو النعيم مع كونها غير مشاهدة لنا .

وقولهم نرى الميت يبقى مدة من غير تحرك وتكلم إلخ لا يدل لهم فإنه ليس ببعيد ألا يشاهد الناظر ما يجرى على الميت لحكمة لا اطلاع لنا عليها ، وكيف يستبعد هذا ؟ والواحد منا يجلس بجوار النائم ويكون النائم في ألم شديد أو لذة عظيمة والجالس بجواره لا يشعر بشيء . من ذلك ، وقد كان النبي

عليه الصلاة والسلام ينزل عليه جبريل ويشاهده ويسمع كلامه وأصحابه جالسون معه لا يشعرون بشيء إلا بإخبار النبي لهم بما أوحى إليه .
وأعجب من هذا فإن الديدان التي في جوف الإنسان الحى تتألم وتتلذذ بلا شعور من ذلك الإنسان .

وقولهم قد يدفن الميت في صندوق حديدى ضيق لا يتصور فيه جلوسه لا يفيدهم فإنه لا مانع من أن يوسع الله الصندوق بحيث يمكنه الجلوس فيه ثم يسأل ويعذب أو ينعم .

ومسألة دفن الوتد في الأرض واتساع الأرض له تقرب لك هذا فإن الوتد إذا ضربته في الأرض الصلبة . انضم له بعض التراب إلى بعض حتى يدخل فإذا أخرجته صار مكانه خلواً على مقدار ثخناته . فإذا كان هذا فعلك وأنت أضعف قوة وأوهى أمراً فكيف يمتنع ما هو أعظم من ذلك على ذى القدرة الشاملة والقوة الكاملة (قاله بعض العلماء) .

والخلاصة : أن أحوال القبر من الأمور السمعية التي تتوقف على السماع من الشارع الحكيم ولبس فيها للعقل مجال ، وقياس الحياة في القبر على ما نشاهده في هذه الحياة الدنيا غير صحيح كما أن الله قادر على كل شيء وكل من كان قادراً لا يعجز عن أن يحيى ميتاً في قبره أو يوسع لحداً أو صندوقاً ضيقاً دفن فيه الميت بحيث يمكنه الجلوس فيه ثم يسأل ويعذب أو ينعم .

منكر ونكير هما فتانا القبر دون سواهما :

جعل الله عز وجل لجميع من أراد سؤاله من الموقى في القبر أو غيره من إنس و جن مؤمنين وكافرين (١) اثنين من الملائكة لا غير يسمى أحدهما

(١) زعم ابن عبد البر وناصره السيوطى أن سؤال القبر لا يكون إلا للمؤمن والمنافق الذى أظهر الإسلام وأخفى الكفر ومسندهما فى ذلك ما رواه عبد الرزاق من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين قال : (إنما يفتن رجلان مؤمن ومنافق وأما الكافر فلا يسأل عن محمد ولا يعرفه) وهذا الحديث موقوف .

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور من أن الكافر مطلقاً ظاهراً وباطناً أو باطناً فقط يسأل فى القبر بدليل مجموع الروايات الكافر والمنافق ، ولأن الأحاديث الناصة على أن الكافر يسأل مرفوعة مع كثرة طرقها الصحيحة فهى أولى بالقبول .

منكراً ويسمى الآخر نكيراً يسألان كل ميت أراد الله سؤاله عقب الدفن مباشرة ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة .

فلو مات جماعة في جهات مختلفة من أنحاء المعمورة ودفنوا في لحظة واحدة فإن هذين الملكين يسألانهم جميعاً في وقت واحد وتكون الدنيا بينهما كالإناء الذي يؤكل منه فإذا تكلم بكلام وصل الكلام إلى كل واحد من الأموات في جميع أقطار الأرض ويتمخيل كل ميت يسأل أن الخطاب موجه إليه وحده حسب ما يناسب حاله من رفق أو شدة وعذاب ونعيم ويحجب الله سمعه عن غيره .

وما قيل : بأن ملائكة السؤال للكافر والمؤمن العاصي أربعة . منكرو ونكير وناكور ورومان ، وللمؤمن المطيع ملكان أحدهما بشير والآخر مبشر فهذا قول غير صحيح ولم يثبت في السنة الصحيحة حتى قيل : إن حديثه موضوع وقيل : فيه لين وضعف .

أما منكر ونكير فقد ورد فيهما روايات عديدة صحيحة وصريحة منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : المنكر ، والآخر : النكير فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر الحديث) . وهو في صحيح أبي حاتم بن حبان وجامع الترمذي وقال : حديث حسن غريب وقد تقدم هذا الحديث فارجع إليه . ومنها ما روى عن عطاء بن يسار الهلالي (١) أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : (يا عمر كيف بك ؟ إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقامسوا لك ثلاثة أذرع وشبراً في ذراع وشبر ، ثم رجعوا إليك وغسلوك وكفنوك وحنطوك) أي وضعوا الحنوط وهو الطيب على جسمك وليس المراد به التحنيط المعروف عند قدماء المصريين) ، ثم احتملوك حتى يضعوك فيه (يعني القبر) ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف

(١) هو عطاء بن يسار الهلالي التابعي أبو محمد المدني مولى ميمونة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام .

وأبصارهما كالبرق الخاطف فتلتلاك . وثرثراك ، وهولاك (١) كيف بلك عند ذلك يا عمر ؟ فقال عمر : ويكون معي مثل عقلي الآن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم : فقال عمر إذا أكفيكما .

رواه ابن أبي الدنيا في القبور ، والبيهقي في عذاب القبر ، وأبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح غير أنه مرسل (٢) .

ومنها ما روى عن أبي هريرة أنه قال : شهدنا جنازة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال : (إنه) (أى الميت) الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكرو ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصي البقر ، وأصواتهما مثل الرعد إلى آخر الحديث .

(رواه الطبراني في الأوسط وقال : تفرد به بن لهيعة (٣) وهو ثقة بل كان فقيه مصر في وقته وإنما تكلم فيه لأجل خلطه فإن كتبه احترقت في آخر حياته فصار يحدث من حفظه . وقد استقر عمل الحفاظ على تحسين حديثه ، وحسن له الحفاظ الهيثمي في مجمع الزوائد عدة أحاديث تفرد بها) .

فحديثه هذا حسن ، ولا سيما وله شواهد متعددة .

مما تقدم يتبين أن منكراً ونكيراً هما الموكلان وحدهما بسؤال الميت وفتنته في البرزخ لا فرق بين ميت كافر أو مؤمن عاص أو مطيع .

(١) قوله : تلتلاك (بتامين) : أى أزعجاك ، وثرثراك (بثامين) : أى رددالكلام عليك مرة بعد أخرى . وقوله : هولاك (بواو مشددة) : أى أفزعالك وخوفالك من الأمر الذى نزل بك .

(٢) قال الحفاظ زين الدين العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسل ، ورجاله ثقة . قال البيهقي في الاعتقاد : ورويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسل ، وقال الزبيدي صاحب إتحاف المتقين (شارح الإحياء) : وصله ابن بطة في الإبانة من حديث ابن عباس ، ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر رضى الله عنه ، وقال : غريب بهذا الإسناد ، تفرد به مفضل ، ورواه أبو نعيم في الحلية ، والآجري في الشريعة (وهو أبو بكر محمد بن الحسين ابن عبد الله البغدادي صاحب كتاب الشريعة وله تصانيف كثيرة مفيدة كان عالماً ثقة ديناً حدث ببغداد ثم انتقل إلى مكة وأقام بها ثلاثين سنة ومات بها في شهر المحرم سنة ستين وثلثمائة هـ) .

(٣) (ابن لهيعة) هو عبد الله بن لهيعة (وزان حنيفة) بن عقبة الحضرمي الغافقي المصري من أتباع التابعين ، وهو قاضي مصر وعالمها ، ومسندها روى عن عطاء وعكرمة والأعرج وخلق كثير ، وروى عنه الليث بن سعد وابن وهب وجماعات مات سنة ١٧٤ هـ .

وصفهما : هما ملكان أسودان أزرقان أعينهما كالبرق الخاطف
أو كقدور النحاس وصوتهما كالرعد القاصف وأنياهما مثل صياحى البقر ،
إذا تكلما خرج من أفواههما كالنار .

مع كل واحد منهما مرزبة من الحديد ثقيلة جداً لو اجتمع عليهما أهل
منى فى موسم الحج ما رفعوها كما ورد ذلك فى السنة النبوية الصحيحة .

عملهما : يأتیان الميت بعد تمام الدفن مباشرة على المشهور من غير تفرقة
بين من نقل من قبره ومن لم ينقل ، ويقعدانه ويعيد الله فيه الروح فى البدن
كله على الصحيح فيحيا حياة متوسطة بين الموت والحياة تشبه حال النائم فى نومه
ويرد الله عليه من الخواص والعقل والعلم بقدر ما يفهم الخطاب ويتأق مع
الجواب فيسمع قرع النعال عند انصراف الناس من دفنه ونحو ذلك كما تقدم
لك فى بعض الأحاديث .

ويكون أحد الملكين عند رأسه والآخر عند رجله يقولان له : من ربك ؟
وما دينك ؟ وما تقول فى الرجل الذى بعث إليكم ؟ فيقول المؤمن ولو عاصياً :
ربى الله ، ودينى الإسلام ، والرجل الذى بعث فينا محمد صلى الله عليه وسلم
فيقولان له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما
جميعاً .

يقول ذلك المؤمن المطيع من غير تلجلج : ويترفقان به ثم يقولان له :
تم نومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب الناس إليه . أما المؤمن العاصى فإنه
يتلجلج فى الجواب ويتلعثم .

وأما الكافر فيقول : لا أدري فيقولان له : لا دريت ولا تليت (أى
لا فهمت ولا قرأت) ويضرب بالمرزبة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من
بليه من الملكين وتسمعها البهائم والطيور القريبة من القبر .

فهذه بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم حادت عن الطريق نافرة وكادت
تلتى الرسول عليه الصلاة والسلام على الأرض لما مر بها على بستان ابنى النجار
وبقر به أقبر بها مشركون يعذبون فيها كما ورد فى صحيح مسلم عن زيد بن ثابت
وحديث البغلة قد تقدم .

قال (ابن القيم (١) في كتاب الروح) : قال بعض أهل العلم : ولهذا السبب (أى لسماع الحيوانات عذاب القبر) يذهب الناس بدوابهم إذا مغلّت (أى حصل لها وجع في بطنها يصيب أمعاءها بسبب أكلها التراب) - إلى قبور اليهود ، والنصارى الذين بأرض مصر والشام فإن أصحاب الخيل يقصدون تلك القبور فإذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها ذلك فرعاً وحرارة تذهب المغل (بميم مفتوحة وغين معجمة ساكنة) .

قال عبد الله الأشبيلي : حدثني الفقيه أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل أنهم دفنوا ميتاً بقريتهم بأشبيلية فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريباً منهم فإذا بالدابة قد أقبلت منسرفة إلى القبر فجعلت أذنّها عليه كأنها تستمع ، ثم ولت فارة ثم عادت إلى القبر فجعلت أذنّها عليه كأنها تستمع ، ثم ولت فارة فعلت ذلك مرة بعد أخرى . قال أبو الحكم : فذكرت عذاب القبر وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه البهائم) .

أما الثقلان وهما الإنس والجن فإنهم لا يسمعون عذاب القبر ولا يشاهدونه والحكمة في ذلك :

أولاً : أنهم لو سمعوا عذاب القبر أو شاهدوه لانزعجوا وماتوا فرحمة بنا أن حجبتنا الله عنه ، وجعلنا لا نسمعه ولا نشاهده .

قال بعض العارفين بالله : (فما كنتم الله ذلك عن الإنس والجن إلا لحكمة إلهية هي غلبة الخوف عند سماع عذاب القبر من أمثالنا في هذه الدار مع ضعفنا وقد بلغنا أنه مات خلق كثير عند سماع الرعد القاصف ، والزلازل الهائلة . وهي دون صيحة الملك على الميت بيقين) .

(١) هو الإمام العظيم شمس الدين محمد بن أبي بكر بن سعيد الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر النحوي الأصولي المتكلم المؤلف البارع المشهور بابن قيم الجوزية لأن أباه أبا بكر كان قيمياً على الجوزية ومديراً لشتونها (الجوزية : المدرسة) . ولد في صفر سنة ٦٩١ هـ ولزم شيخه تقي الدين ابن تيمية ، وتوفي في شهر رجب سنة ٧٥١ هـ عاش رحمه الله ستين سنة ، ومن مؤلفاته كتاب الروح وهو بحق كتاب قيم ومفيد جداً وهو من أهم مصادر كتابي هذا الذي بين يديك ، وله كتاب زاد المعاد في هدى خير العباد ، وكتاب إعلام الموقعين ، والسياسة الشرعية ، وغيرها من الكتب الممتعة المفيدة جزاء الله عن الإسلام أحسن الجزاء .

وفى الحديث : (لو سمع أحدكم ضربة الملك للميت بمقامع من حديد لمات) نسأل الله تعالى العافية .

ثانياً : لو سمعوا عذاب القبر أو شاهدوه لما كان لتكليفهم بالغيب فائدة إذ كل واحد منهم يؤمن خوفاً مما سمع أو شاهد من العذاب فيكون إيمانه إيمان رهبة وخوف لا إيمان رغبة وحب .

ثالثاً : لو سمع الناس عذاب القبر لتركوا سنة الدفن ومواراة موتاهم تحت التراب بسبب تبلبل أفكارهم وخوفهم الشديد ، ودهشتهم العظيمة التي تنسيهم ترك مصالحهم ومنها دفن الميت . مصداق هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

(لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ، وفى رواية أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعنى) .

الميت يسأل ويعذب أو ينعم ولو لم يدفن فى القبر :

إعلم أن الميت يسأل ويعذب أو ينعم سواء أدفن فى القبر أم لم يدفن بأن أكلته السباع فى القفار أو الأسماك فى البحار ، وذلك بأن يخلق الله عز وجل للمأكل نوعاً من الحياة فى بطن الآكل ، ثم يسأل ويعذب أو ينعم ولا يشعر الآكل بشيء من ذلك .

ومثل هذا واقع بيننا فإن الدودة تكون فى جوف الإنسان وفى خلال بدنه وهى تتألم أو تتلذذ وهو لا يشعر بها كما تقدم ذلك .

كذلك لو أحرق الميت وسحق وذرى فى الهواء فإنه يسأل ويعذب أو ينعم بأن يجمع الله تلك الذرات بعد تفرقها ويجعل للروح اتصالاً بها لتدرك السؤال وتحس العذاب أو النعم والله على كل شيء قدير .

روى البخارى ومسلم عن حذيفة (١) بن إيمان أنه قال : سمعت رسول الله

(١) هو حذيفة بن حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة ، وحسيل (بالتصغير) يلقب بإيمان لقبه قومه بذلك لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن وإلا فهو عيسى ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم موقعة أحد وقتل أبوه بها بأيدي المسلمين غلطاً .
وكان حذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين لا يعلمهم =

صلى الله عليه وسلم يقول : إن رجلاً من بنى إسرائيل (كان نباشاً للقبور يسرق أكفانها) حضره الموت ، فلما يشس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجتمعوا لى حطباً كثيراً وأوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فامتحشت (أى احترقت) فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوماً واحداً (أى كثير الرياح) فاذروه فى اليم (أى البحر) ففعلوا فجمعه الله فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك - فغفر الله له .

ولو دفنت الرقبة فى مكان والجثة فى مكان كانت الروح متصلة بكل منهما وأحسن كل منهما بالعذاب أو النعيم .

ولو علق الميت العاصى على رءوس الأشجار فى مهاب الرياح حيث الهواء العليل ، والنسيم البليل لأصاب جسده المعلق وروحه من العذاب حظهما ونصيبهما .

ولو دفن الرجل الصالح فى تنور يشتعل ناراً لأصاب جسده وروحه من نعيم البرزخ حظهما ونصيبهما . فيجعل الله النار على هذا الصالح برذاً وسلاماً ويجعل الهواء العليل والنسيم البليل على ذلك العاصى ناراً وجحماً .

والحكمة فى سؤال الميت هى : إظهار ما كتبه العباد فى حياتهم الدنيوية من إيمان أو كفر ، أو طاعة أو معصية فيباهى الله بالطائعين الملائكة ، ويفضح غيرهم .

والحكمة فى نعيم البرزخ وعذابه هى : إكرام الطائعين ، وإهانة الكافرين والعاصين من المؤمنين .

أحوال المسئولين مختلفة :

وأحوال المسئولين مختلفة فمنهم من يسأله الملكان جميعاً تشديداً عليه ونصيحاً ، ومنهم من يسأله أحدهما تخفيفاً عليه وتسهيلاً ، ومنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ، ومنهم من يسأل عن كلها .

= غيره ، والمختص بأخبار الفتن المستقبلية ما ظهر منها وما بطن ، وأحد الفقهاء أهل الفتوى ، وله مقامات محمودة فى الجهاد ، وأبلى فى الفتوح بلاء حسناً ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة حديث ، توفى بالمدينة سنة ٣٦ هـ بعد قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه بأربعين ليلة .

ولا يسأل الميت عن غير الاعتقاد فلا يسأل عن ترك الصلاة أو الصوم أو غير ذلك وإنما هذا خاص بيوم القيامة .

ففي رواية أبي داود عن أنس بن مالك : (فما يسأل عن شيء بعدها) .
ولفظ بن مردويه : (فلا يسأل عن شيء غيرها) ، أي أنه لا يسأل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : في قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » .
الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم .

وقال عكرمة في هذه الآية : يسألون عن الإيمان بمحمد وأمر التوحيد .
قال الحافظ السيوطي في منظومته :

وليس عن غير اعتقاد يسأل أتى بهذا خبر مفصل
لغة السؤال :

أما اللغة التي يسأل بها الميت فهي لغته التي يتكلم بها ويخاطب في حياته فإن كان عربياً سئل باللغة العربية وإن كان إنجليزياً أو ألمانياً أو فرنسياً أو غير ذلك سئل بلغته على القول الصحيح وعليه المعمول عند السلف الصالح وظواهر الأحاديث تشهد له .

وأما ما قيل من أن سؤال القبر باللغة السريانية وهي لغة أبينا آدم . عليه الصلاة والسلام ، فإن أحاديث السؤال لا تشهد له ولا تؤيده .

قال الحافظ السيوطي : لم أقف في شيء من الأحاديث على أن السؤال بالسريانية . وقال في منظومته :

ومن عجيب ما ترى العينان أن سؤال القبر بالسرياني
أفتى بهذا شيخنا البلقيني ولم أره لغيره بعيني

سؤال الميت يكون في القبر الأول عقب الدفن مباشرة :

قد مر بك أن الملكين (منكر و نكير) يأتيان الميت عقب الدفن مباشرة لسؤاله غير أني هنا أبسط لك مسألة جديدة بالذكر هي : من دفن في قبر ثم أخرج ودفن في آخر ففي أي القبرين يكون سؤاله ؟

ونحن نقول : إننا لو تصفحنا كتب السنة واطلعنا على أحاديث السؤال التي قد بلغت سبعين حديثاً كما قال الحافظ السيوطي :

إِنَّ سُؤَالَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ قَبْرِ حَقٍّ وَالْإِيمَانُ بِهِ فَرْضٌ شَهْرٌ تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي قَدْ بَلَغَتْ سَبْعِينَ عِنْدَ الْعِدَّةِ لَوْ جَدْنَا تِلْكَ الْأَحَادِيثَ تَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً كَمَا قَالَ الْمُحَدِّثُ عَبْدُ اللَّهِ الصَّدِيقُ الْفَهْرِيُّ : عَلَى أَنَّ سُؤَالَ الْمَيِّتِ يَكُونُ عَقِبَ الدَّفْنِ مُبَاشَرَةً مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ بَيْنَ مَنْ نَقَلَ مِنْ قَبْرِهِ وَمَنْ لَمْ يَنْقُلْ ، وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْأَصُولِ : إِنْ التَّمَسَّكَ بِعُمُومِ الْحَدِيثِ وَاجِبٌ .

وإليك ثلاثة أحاديث توضح لك المقام :

١ - روى في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل : الحديث) .

٢ - روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : (استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

٣ - روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فقال : (يا أيها الناس إن هذه الأمة تبلى في قبورها فإن الإنسان إذا دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك (١) في يده مطراق فأقعداه : الحديث) .

(١) قال القرطبي : جاء في رواية سؤال ملكين ، وفي أخرى سؤال ملك واحد ولا تعارض في ذلك بالنسبة إلى الأشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معاً عند انصراف الناس ليكون أهول في حقه وأشد بحسب ما اقتراف من الآثام ، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس تخفيفاً عليه لحصول أنسه بهم ، وآخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح . قال : ويحتمل أن يأتي الاثنان ، ويكون السائل أحدهما وإن اشتركا في الإتيان فتحمل رواية الواحد على هذا . قال السيوطي في (شرح الصدور في أحوال الموتى في القبور) : هذا الثاني هو الصواب ، فإن ذكر الملكين هو الموجود في غالب الأحاديث .

يؤخذ من هذه الأحاديث الثلاثة أن سؤال الميت يكون عقب دفنه مباشرة من غير تفرقة بين من نقل من قبره ومن لم ينقل .
وعلى هذا فلو دفن الميت في قبر بجبانة أسوان مثلاً وبعد أيام أخرج من هذا القبر ودفن في آخر بجبانة بلدتنا الشيخ عيسى التابعة لمركز ومحافظة قنا فإنه يسأل في القبر الأول الذي بجبانة أسوان ولا يسأل في القبر الثاني الذي بجبانة الشيخ عيسى .

وما قيل في بعض كتب التوحيد : من أن السؤال يكون في القبر الأخير الذي يبعث منه الميت فلم أر له دليلاً ، والله أعلم .

سؤال القبر هل هو مختص بالأمة المحمدية أو عام لها ولغيرها ؟ :

جزم الحكيم الترمذي (١) باختصاص الأمة المحمدية بالسؤال في القبر وقال : كانت الأمم قبل هذه الأمة تأتيهم الرسل فإن أطاعوا فذاك وإن أبوا اعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب فلما أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب وقبل الإسلام ممن أظهره سواء أسر الكفر أم لا . فلما ماتوا قبض الله لهم فتاني القبر ليستخرجوا سرهم بالسؤال :
« ويميز الله الخبيث من الطيب ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين » .

واستدل على الاختصاص بقوله عليه الصلاة والسلام : (إن هذه الأمة تبثلى في قبورها) .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن بشير بن هارون المحدث الزاهد المؤذن الفقيه ، ولد في مدينة ترمذ التي تقع على نهر جيحون في سنة ٢٠٥ هـ ، وتوفي بها سنة ٢٢٠ هـ ، ولقب بالحكيم لأن حكمته في تصوفه تبدو كما قيل في التحليل بطبيعة النفس الإنسانية وفي التصوير الرائع لناهج السلوك الروحي ، ومن مؤلفاته :

١ - كتاب نوادر الأصول في معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ - علم الأولياء .

٣ - ختم الأولياء .

٤ - كتاب الرياضة .

٥ - تحصيل نظائر القرآن .

هو غير الترمذي صاحب الصحيح .

وبقوله : « أوحى إلى أنكم تفتنون في قبوركم » . وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة ، ويدل عليه قول الملكين له : ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول المؤمن : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فهذا خاص به صلى الله عليه وسلم ، وقوله في الحديث : (إنكم تمتحنون وعنى تسألون) .

وذهب القرطبي إلى أن السؤال لهذه الأمة وغيرها ووافقه ابن القيم في كتابه الروح وقال : ليس في الأحاديث ما ينفي المسألة عمن تقدم من الأمم وإنما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بكيفية امتحانهم في القبر لا أنه نفي ذلك عن غيرهم ثم قال : والذي يظهر أن كل نبي مع أمته كذلك فتعذب كفارهم في قبورهم بعد سؤالهم وإقامة الحجة عليهم .
والحق ما ذهب إليه القرطبي من أن سؤال القبر عام لنا ولغيرنا ، ولا دلالة في الأحاديث المذكورة على الخصوص .

الجن كالإنس في السؤال والعذاب والنعيم :

إعلم أن الجن إذا ماتوا سألم الملكان منكر ونكير ولحقهم العذاب والنعيم . لأن الجن مكلفون كالإنس وسؤال القبر وعذابه يعتمدان التكليف على الصحيح . ولأن أدلة السؤال والعذاب والنعيم عامة لم تفرق بين الإنس والجن والعمل بعموم الأدلة واجب ما لم يرد مخصص ولم يرد مخصص هنا فبقيت على عمومها .

والأدلة على تكليف الجن كثيرة منها :

١ - قوله تعالى في سورة الذاريات : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » . فقد كلف الجن بالعبادة كالإنس .

٢ - قوله تعالى في سورة الأحقاف :

« أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون »
٣ - وقوله جل شأنه في هذه السورة أيضاً :

« يا قومنا أجبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء » .

فهذا خطاب من الجن الذين استمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لإخوانهم الذين لم يستمعوا وقد أقره الله وحكاه في القرآن بدون إنكار عليهم ومن غير تكذيب لهم والخطاب لا يكون إلا للمكلفين .

والخلاصة : أن الجن مكلفون كالإنس ، وأنهم يسألون أمام منكر ونكير وينعمون ويعذبون بعد مماتهم ، وأن الذي يعصى منهم الإله عز وجل ويخالفه يدخل النار . قال الله تعالى في سورة الجن : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » .

وقال في سورة الأنعام : « ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم » .

وأن الذي يطيع منهم ربه ويخالقه ، ويؤمن به يدخل الجنة وينعم فيها كالإنس . قال الله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . . . » إلى آخر سورة الرحمن .

فالخطاب هنا للإنس والجن ، وقد امتن الله عليهم بجزاء هو جنتان لكل فرد ممن خاف منهم موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب خوفاً ينشأ عنه ترك المعاصي ، ووصف الجنتين لهم ، وشوقهم إليهما فدل ذلك على أنهم ينالون ما امتن عليهم به إذا آمنوا وعملوا الصالحات ، وقيل : جنة للإنس ، وجنة للجن . وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه لما تلى عليهم سورة الرحمن : (الجن كانوا أحسن رداً أو جواباً منكم ما تلوت عليهم من آية إلا قالوا ولا شيء من آلاء ربنا نكذب) . (رواه الترمذي)

قال العلماء : وهذه الآية « ولمن خاف مقام ربه جنتان » . من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا .

النعم والعذاب للروح والبدن معاً :

اختلف العلماء قديماً في أن المنعم أو المعذب هو الروح والبدن معاً ، أو الروح فقط ، أو البدن لا غير .

والصحيح من هذه الأقوال هو الأول لأن الأحاديث والآثار تشهد له منها :

١ - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفن ابنته (زينب) جلس عند القبر فتغير وجهه ثم سرى عنه فقال له أصحابه : رأينا وجهك آنفاً ثم سرى عنك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج الله عنها ، وأُمّ الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين) . (رواه ذادان عن ابن عمر ، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط بسند رجاله ثقات) . فضمة القبر وضغطته لا تكون إلا للجسم والجسم لا يتأثر بالألم إلا بالروح .

٢ - ما في البخاري وغيره من كتب السنة الصحيحة : (فيضرب الكافر ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) ، فإن الصياح لا يكون إلا بعد تأثر الجسم ولا يتأثر الجسم إلا بالروح .

٣ - حديث البراء بن عازب الطويل المتقدم ذكره ففيه الدليل الكافي على أن العذاب أو النعيم للروح والبدن معاً فارجع إليه .

والحاصل كما قال اليفاعي في سر الروح أن مذهب سلف الأمة أن المرء إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم أو العذاب ، فإذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجسام ، وجميع هذا ثابت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين أهل الشرائع المسلمين واليهود والنصارى .

دوام عذاب القبر وانقطاعه :

عذاب القبر نوعان . ١ - دائم . ٢ - ومنقطع .

فالدائم : يكون للكفار وعصاة المؤمنين الذين كثرت جرائمهم وعظمت ذنوبهم وآثامهم ، ولا يرفع عنهم العذاب إلا ما بين النفختين فإذا قاموا من قبورهم قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا . . .

والأدلة على دوام العذاب كثيرة منها :

١ - قوله تعالى : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً » : (أى صباحاً ومساءً) إلى يوم القيامة بدليل قوله يعد ذلك : « ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » .

٢ - وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البراء بن عازب في قصة :
(الكافر ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة) .
(رواه الإمام أحمد ، وفي بعض طرقه ثم يخرق له خرقاً إلى النار فيأتيه
من غمها ودخانها إلى يوم القيامة) .

٣ - روى في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً لبس بردين وجعل يمشي يتبختر فخسف الله
به الأرض فأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أنه يتجلجل فيها إلى يوم القيامة
(أى يدخل في الأرض وينغمس فيها إلى يوم القيامة) .

٤ - ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في البخاري ومسلم
في قصة الجريدة الرطبة التي كسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرتين ،
ووضع على كل قبر كسرة وقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم التخفيف مقيداً برطوبتها فقط .

٥ - في صحيح البخاري عن سمرة (١) بن جندب أنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : (رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذتا بيدي وأخرجاني
إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ، ورجل قائم بيده كlob من حديد
يدخله في شذقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشذقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شذقه
هذا فيعود فيصنع مثله . قلت : ما هذا ؟ قال : انطلق فانطلقنا حتى أتينا
على رجل مضطجع على قفاه ، ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر (٢)
فيشدخ بها رأسه فإذا ضربه تدهده (٣) الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع
إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه . قلت : ما هذا ؟

(١) سمرة بن جندب (بفتح السين وضم الميم ، وبضم الجيم والdal وبفتح الdal بينهما
نون ساكنة) ابن هلال من قبيلة غطفان الفزاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات
أبوه وهو صغير فقدمت به أمه المدينة فتزوجها أنصاري وكان في حجره حتى كبر ، وأجازته
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المقابلة يوم أحد وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوات ، ثم
سكن البصرة ، وكان زياد بن أبيه يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة ، وعلى الكوفة إذا سار
إلى البصرة ، وتوفي بالبصرة آخر سنة ٥٩ هـ ، روى له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
مائة حديث .

(٢) الفهر (بكسر الفاء وسكون الهاء) : حجر ملء الكف .

(٣) تدهده الحجر : تدهرج .

قالا : انطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يو قد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجون فإذا خمدت رجعوا ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر ، فرجع كما كان فقلت : ما هذا ؟ قالوا : انطلق فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان ، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا إلى الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها ، فيها شيوخ وشبان ثم صعدا إلى فادخلاني داراً هي أحسن وأفضل . قلت : طوقماني الليلة فأخبراني عما رأيت ؟ قالوا : نعم ؛ الذي رأيت يشق شدة كذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة ، والذي رأيت يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذي رأيت في النقب فهم الزناة ، والذي رأيت في النهر فأكل الربا ، وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فأبراهيم ، وأما الصبيان حوله فأولاد الناس ، والذي يوقد النار فما لك خازن النار ، والدار الأولى دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار فدار الشهداء ، وأنا جبريل وهذا ميكائيل ، فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا قصر مثل السحابة . قالوا : ذلك منزلك . قلت دعاني أدخل منزلي . قالوا : إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك .

هذا الحديث نص في العذاب الدائم في البرزخ لأن رؤيا الأنبياء وحي مطابق لما في نفس الأمر .

والعذاب المتقطع : يكون للمؤمنين العصاة الذين خفت جرائمهم فإنهم يعذبون بقدرها وقد يرفع عنهم العذاب بدعاء أو صدقة أو عفو من الله تعالى أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة أو دفن رجل صالح بجوارهم أو نحو ذلك . قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن موسى الصائغ أخبرنا عبد الله بن نافع قال : مات رجل من أهل المدينة فرآه رجل كأنه من أهل النار فاغتم لذلك ثم أنه بعد ساعة أو ثامنة رآه كأنه من أهل الجنة فقال : ألم تكن قلت

إنك من أهل النار ؟ قال : قد كان ذلك إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في أربعين من جيرانه فكنت منهم .

وحدثنا أحمد بن يحيى حدثنا بعض أصحابنا قال : مات أخ لي فرأيت في النوم فقلت له : ما حالك حين وضعت في قبرك ؟ قال : أتاني آت بشهاب من نار ، فلولا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضربني به .

وحكى عن الحسن البصري (١) رحمه الله أن امرأة كانت تعذب في قبرها وكل الناس يرون ذلك في المنام ثم رويت بعد ذلك وهي في النعيم فقيل لها : ما سبب ذلك ؟ فقالت : مر بنا رجل فقرأ الفاتحة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى ذلك لنا وكان في المقبرة خمسمائة وستون رجلاً في العذاب فنودوا ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم .

هذه المراتي وأمثالها وإن لم تصح بمجردها لإثبات ما قلناه فهي على كثرتها قد تواطأت على هذا المعنى ، ورواها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما في البخاري ومسلم وغيرهما على أننا لم نثبت هذا بمجرد الروايات بل بما ذكرناه من الأحاديث .

ضغط القبر

هي التقاء حافتي القبر على جسد الميت ، وهذا الضغط أو الضم يكون بعد سؤال الميت في القبر أو غيره كما لو طرح الميت في الصحراء ولم يدفن فإنه يضيق عليه الجو ويضمه كالقبر ، فسبحان القادر على كل شيء .

ويختلف الضم باختلاف العمل ، فالصالح يضمه القبر كما تضم الأم الشفيقة ولدها الوحيد الذي حضر بعد طول غياب ، والطالح يضمه القبر

(١) هو الإمام الحسن بن أبي الحسن البصري من الكبار التابعين وفضلائهم ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه سنة (٢١ هـ) ، كان والده مولى زيد بن ثابت الأنصاري وأمه مولاة أم سلمة أم المؤمنين التي كانت تعطى ثديها الحسن في صغره تغلله به حتى تجيء أمه فيدر عليه باللبن المبارك فيشربه ولذلك يروى العلماء أن علم الإمام الحسن البصري وفصاحته وورعه وتقواه من بركة ذلك اللبن ، وكان مع هذا جميلاً وسيماً واعظاً مؤثراً لا يخاف في الله لومة لائم ، وله مواقف مشهودة مع الحجاج وغيره .

ويضغط عليه حتى تختلف أضلاعه . ويدوم الضغط على الكافر ، ولا يدوم على المؤمن .

وحكمة ضغطة القبر وضمه : هي ما رواه ابن أبي الدنيا عن محمد التيمي قال : كان يقال : إن الأرض أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا إليها ضمتهم ضمة الوالدة التي غاب عنها ولدها ثم قدم عليها . فمن كان لله مطيعاً ضمته يرأفة ورفق . ومن كان عاصياً ضمته بعنف سحقاً منها عليه لربها .

وقال الحكم الترمذي : سبب هذه الضغطة . أنه ما من أحد إلا وقد ألم بذنب فتدركه هذه الضغطة جزاء له ثم تدركه الرحمة .

واعلم أن كل ميت يضمه القبر إلا من استثنى ولم ينج منها سعد بن معاذ الذي اهتز له عرش الرحمن عند موته إجلالا له وتكريماً وفتحت له أبواب السماء وشهد جنازته سبعون ألفاً من الملائكة .

روى النسائي في سننه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (هذا الذي تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه) قال النسائي : (يعني سعد بن معاذ) .

وللنسائي أيضاً عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ) . وأخرج البيهقي (١) من طريق ابن إسحاق . حدثني أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : سئل عن ذلك فقال : كان (أي سعد بن معاذ) يقصر في بعض الطهور من البول .

وكذلك الأطفال لا ينجون من ضغطة القبر :

فقد روى ابن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام صلى على صبي أو صبية وقال : (لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي) .

(١) البيهقي هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (نسبة إلى قرية بناحية نيسابور يقال لها : بيهقي على عشرين فرسخاً منها) ، ولد في شعبان سنة ٣٧٤ هـ ، ومات في جمادى الأولى سنة ٤٥٨ هـ ، ودفن ببلدته بيهقي وله كتاب شعب الإيمان .

وهذا الحديث رفعه الطبراني في الأوسط بسند جيد ورجاله موثقون .
وروى الطبراني أيضاً بسند صحيح عن أبي أيوب الأنصاري أن صبيّاً دفن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي) .
واستثنى من هذا الضم ثلاثة :

١ - الأنبياء : فإن القبر لا يضمهم لأنهم معصومون من ارتكاب الذنوب
والآثام . قال الحكيم الترمذي : وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا نعلم أن
لهم في القبور ضمة ولا سؤالا لعصمتهم .

٢ - ومن قرأ : « قل هو الله أحد » في مرضه الذي يموت فيه لقوله عليه
الصلاة والسلام : (من قرأ : « قل هو الله أحد » في مرضه الذي يموت فيه
لم يفتن في قبره وأمن من ضغطته وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى
يجزوه من الصراط إلى الجنة) .

(أخرجه أبو نعيم (١) في الحلية عن عبد الله بن الشخير)

٣ - فاطمة بنت أسد بن هاشم من عوف بن كعب بن وفدان البصري
الصحابي روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أحاديث :
فقد روى الحافظ أبو نعيم : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيع
جنازة فاطمة بنت أسد وكان مرة يحمل ، ومرة يتأخر ، ومرة يتقدم ثم
نزل قبرها ونزع قميصه وتملك (تمرغ) في لحدها (أي قبرها) ، فقال :
(أردت ألا تمسها النار أبداً إن شاء الله) ، وقال : (ما غني أحد من ضغطة
القبر إلا فاطمة بنت أسد فقيل : يا رسول الله ولا ابنك القاسم . قال :
ولا إبراهيم الذي هو أصغر منه) .

(١) أبو نعيم (بضم النون وفتح العين وسكون الياء) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد
ابن اسحاق بن موسى بن مهران لأصبهان الحافظ المحدث ، ولد في رجب سنة ست أو سبع
وثلاثين وثلثمائة .

ولما اشتد صنف الحلية والمستدرک علی البخاری ، والمستخرج علی مسلم ودلائل النبوة
ومعرفة الصحابة ، وتاريخ أصبهان وفضائل الصحابة وصنف في الطب وغيره ، ومات يوم ٢٠ من
المحرم سنة ٤٣٠ هـ .

وهذا الحديث الذي أخرجه أبو نعيم عن عبد الله بن الشخير : (من قرأ : « قل هو الله أحد »
الحديث في نفسه منه شيء والله أعلم) .

وعن جابر ابن عبد الله قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت فقال : يا رسول الله إن أم علي وطالب وجعفر وعقيل قد ماتت ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قوموا إلى أمي فقمنا وكان علي رءوس من معه الطير ، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال : إذا غسلتموها فأشعروها (١) إياه تحت أكفانها فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة يحمل ، ومرة يتقدم ، ومرة يتأخر ، حتى انتهينا إلى القبر فتمعك في اللحد ثم خرج فقال : أدخلوها باسم الله ، وعلى اسم الله فلما أن دفنوها قام قائماً فقال : جزاك الله من أم وربيبه خيراً فنعلم الأم ونعم الربيبه كنت لي فقلنا : يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما . قال : ما هما ؟ قلنا : نزعك قميصك وتمعك في اللحد . قال : (أما قميصي فأريد ألا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى ، وأما تمعكي في اللحد فأردت أن يوسع الله عليها في القبر) .

قال جلال الدين السيوطي رحمه الله نظماً :

وضمةُ القبر وليس من أحد

يسلم منها ما عدا بنت أسد

فاطمة ومن لإخلاص قرا

في مرض الموت كما قد ذكرا

ويضغط الميت ضغطة تزول

منها الحمائل كما قال الرسول

في البيت الثالث اقتباس من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج أحمد والحكيم والترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في كتاب عذاب

(١) أشعروها إياه : أي ألبسوها قميصي واجعلوه على جسدها شعاراً لها لأن الشعار (بكسر الشين) من اللباس ما يلي شعر الجسد بخلاف الدثار (بكسر الدال) ، فإنه لباس يلبس فوق الشعار .

القبر عن حذيفة قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا إلى القبر قعد على شقه فجعل يردد بصره فيه ثم قال : (يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله ، ويملا على الكافر ناراً) .

(قال الأزهرى : الحمائل هنا عروق الأنشين ، قال : ويحتمل أن يراد موضع حمائل السيف أى عواتقه وصدره وأضلّاعه) .

عذاب الكافر وأنواعه :

يعذب الكافر بعد موته بأنواع من العذاب منها :

١ - أنه يسلط الله عليه في قبره تسعة وتسعين ثعباناً كبيراً تنهشه وتلدغه إلى يوم القيامة لأنه كفر بأسماء الله الحسنى ، وهى تسعة وتسعون اسماً ، فقد أخرج ابن أبى شيبه وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى (١) رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تزيئاً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة . ولو أن تزيئاً منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضراء) .

٢ - ومنها أنه تفتح له طاقة من جهنم في القبر فيأتيه من دخانها وحرارتها فيتألم ألماً شديداً . روى في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة) .

(رواه الإمام أحمد ، وفي بعض طرقه ثم يخرق له خرقاً إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة) .

٣ - ومنها أنه يضرب بمطراق من حديد بين أذنيه بعد سؤال الملكين وعدم إجابته لهما فيصيح صيحة تسمعها الخلائق ما عدا الإنس والجن ، وينهره الملكان بشدة وعنف كما علمت في الأحاديث المتقدمة في سؤال القبر وعذابه

(١) أبو سعيد الخدرى نسبة إلى خدرة قبيلة من الأنصار وهو سعد بن مالك بن سنان من قبيلة

خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الصحابى الجليل . أسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا تأخذه في الله لومة لائم واستنصر يوم أحد فرد وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشرة غزوة أولها : غزوة الخندق ، وكان من الرعاة المشهورين وهو معدود من أهل الصفة .

- ٤ - ومنها أن القبر يضغطه ضغطة شديدة حتى تختلف أضلاعه .
- ٥ - ومنها أنه يضيق عليه قبره ، فقد روى عن أبي حازم عن أبي هريرة :
(أن الميت إذا كان عدو الله نزل به الموت وعاین ما عاین فإنه يحب ألا تخرج روحه أبداً والله يبغض لقاءه . فإذا جلس في قبره أو أجلس . فيقال من ربك؟ فيقول : لا أدري فيقال : لا دريت فينفتح له باب من جهنم ثم يضرب ضربة تسمع كل دابة إلا الثقلين ، ثم يضيق عليه قبره) .
- أورده الهيثمي وقال : في الصحيح طرف منه رواه البزار ورجاله ثقات خلا سعيد بن نحر القراطيسي فإنه لم أعرفه .
- ٦ - ومنها أن روحه تكون في سبعين إلى يوم الدين .

والخلاصة أن الكافر إذا احتضر رأى من العذاب ألواناً ومن الإهانة أنواعاً . سواء عند خروج روحه أم عند صعودها إلى السماء فتغلق دونه السماوات وترجع إلى جسدها مزودة بالمقت والغضب واللعنة أم في قبره كما علمت .

نعم القبر وأنواعه :

نعم القبر يكون للمؤمنين من هذه الأمة ومن غيرهم من الأمم السابقة . وللمكلفين وغير المكلفين .

١ - ومن نعيمه توسيعه إلى سبعين ذراعاً طولا وكذلك عرضاً أى $70 \times 70 = 4900$ ذراع وإلى مد البصر . وإلى بلد الغريب ، وكل ذلك يختلف باختلاف الناس من أهل الخير والصالح فكل من زاد في الأعمال الصالحة والفعال الطيبة المباركة كان قبره أوسع .

٢ - ومن نعيمه أيضاً فتح طاقة فيه من الجنة ، وامتلاؤه بالريحان والروائح الطيبة العطرة كما في الصحيحين من حديث قتادة عن أنس بن مالك أنه يفسح له (أى المؤمن) في قبره سبعون ذراعاً ويملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون ، وجعله روضة من رياض الجنة كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام (القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) .

٣ - وجعل قنديل (أى مصباح) فيه فينور له قبره كالقمر ليلة البدر . ورد أن الله تعالى أوحى إلى موسى (يا موسى تعلم الخير وعلمه الناس

فإني منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم) أخرجه الإمام أحمد في الزهد .

وعن عمر مرفوعاً من نور في مساجد الله نور الله له في قبره ، وكل هذا محمول على حقيقة عند العلماء .

٤ - ومن نعيمه أيضاً أن أعمال المؤمن الصالحة تتشكل في صورة رجل صالح يبشر صاحبه بالجنة ويؤنسه في قبره كما جاء في حديث البراء بن عازب وفيه (ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول : أبشر بكرامة من الله ونعيم مقيم فيقول من أنت ؟ فيقول : أنا عمك الصالح) .

أحاديث في نعيم القبر :

١ - أخرج مسلم عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما مات أبو سلمة : (اللهم افسح له في قبره ونور له فيه) .

٢ - وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وأن الله ينورها بصلاتي عليهم) .

٣ - وأخرج الديلمي في الفردوس عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مات العالم صور الله له علمه في قبره فيؤنسه إلى يوم القيامة ويدراً عنه هوام الأرض . (أي يدفعها عنه) .

٤ - وأخرج أبو الفضل الطوسي في عيون الأخبار بسنده عن عمر مرفوعاً : (من نور في مساجد الله نوراً نور الله في قبره ومن أراح فيه رائحة طيبة أدخل الله عليه في قبره من روح الجنة) .

٥ - وأخرج البيهقي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) . وأخرج الترمذي مثله في حديث أبي سعيد الخدري . وأخرج الطبراني في الأوسط مثله من حديث أبي هريرة .

٦ - وأخرج أحمد والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل إذا توفي في غير مولده يمسح له من مولده إلى منقطع أثره) .

٧ - وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد عن السري بن مخلد أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر : (لو أردت سفراً لأعددت له عدة فكيف
صفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى ! بأبي أنت
وأبي قال : صم يوماً شديداً الحر ليوم النشور ، وصل ركعتين في ظلمة الليل
لوحشة القبور) .

٨ - وأخرج الديلمي يفسح للرجل في قبره كبعده من أهله :
٩ - وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم (١) والبيهقي عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال : ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر
وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي
صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هي المنجية
هي المانعة تنجيه من عذاب القبر) .

قال الحافظ زين الدين بن رجب (٢) في كتاب أهل القبور قد يكرم الله
بعض أهل البرزخ وإن لم يحصل له بذلك ثواب لانقطاع عمله بالموت لكنه
إنما يبنى عمله عليه لينعم بذكر الله وطاعته كما تنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة
في الجنة وإن لم يكن على ذلك ثواب لأن نفس الذكر والطاعة أعظم نعيماً عند
أهلها من جميع نعيم أهل الدنيا ولذتها فتتعم المتنعمون بمثل فذكر الله وطاعته .

شعب الإيمان لمنجيات

عن عبد الرحمن بن سمرة (٣) قال : خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن في مصففة بالمدينة فقام علينا فقال : (إني رأيت البارحة عجباً :

(١) الحاكم : هو الإمام أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله روضة بن نعيم الضبي النيسابوري
صاحب المستدرک والتاریخ وعلوم الحديث والمدخل والأكلیل ، ومناقب الإمام الشافعي وغير
ذلك . ولد في شهر ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ ، وكان يعرف بابن البيع ، رحل وسمع من نحو
ألف شيخ ، توفي رحمه الله في شهر صفر سنة ٤٠٥ هـ .

(٢) ابن رجب : هو الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن الإمام المحدث رجب ، اشتهر
بين العلماء والمؤرخين بابن رجب الحنبلي ولد ببغداد ثم قدم مع والده إلى دمشق وهو صغير
سنة أربع وأربعين وسبعمائة . اشتغل بسماع الحديث برعاية والده وعنايته ، وسمع من غيره بمكة
ومصر - وكانت له مجالس وعظية موقظة للقلوب ، فسال الناس إليه وأعجبوا به ، وله كثير
من المؤلفات المفيدة ، توفي رحمه الله بدمشق ودفن بها سنة ٧٩٥ هـ .

(٣) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس العبشمي ، أسلم في فتح مكة وهو من

- ١ - رأيت رجلا من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاء به
بوالديه فرد ملك الموت عنه .
- ٢ - ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته (١) الشياطين فجاءه ذكر الله
فطير الشياطين عنه .
- ٣ - ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته
فاستنقذته من أيديهم .
- ٤ - ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشاً كلما دنا من حوض منع
وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه .
- ٥ - ورأيت رجلا من أمتي والنيون جالوساً حلقاً حلقاً كلما دنا منهم
طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده . وأجلسه إلى جنبي .
- ٦ - ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ، ومن خلفه ظلمة ، وعن
يمينه ويساره وفوقه ظلمة وهو متحير فجاءه الحج والعمرة فأخرجاه من
الظلمة ، وأدخلاه النور .
- ٧ - ورأيت رجلا من أمتي يتقى وهج الشمس وشررها فجاءته صدقته
فصارت له سترأ بينه وبين النار وظلا على رأسه .
- ٨ - ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته
لرحمه فقالت : يا معشر المؤمنين إنه كان وصولا لرحمه فكلموه وصافحوه .
- ٩ - ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الزبانية (٢) فجاءه أمره
بالمعروف ، ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة .
- ١٠ - ورأيت رجلا من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب
فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله عز وجل .
- ١١ - ورأيت رجلا من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه
خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعتها في يمينه .

= أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتح سجستان وكابل حينما كان أميراً لعبد الله بن عامر ،
روى هذا الحديث الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة منامه ، وروى أيضاً الحديث الذي
رواه الخمسة في الزهد والإمارة ، توفي سنة ٥٠ هـ هجرية .

(١) احتوشته الشياطين : أى أحذقوا به وجعلوه في وسطهم .

(٢) الزبانية : هم الملائكة الذين يدفعون أهل النار إليها .

١٢ - ورأيت رجلاً من أمي قد خفف ميزانه فجاءته أفراطه (أي الذين ماتوا قبله من الأولاد) فثقلوا ميزانه .

١٣ - ورأيت رجلاً من أمي قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاؤه في الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى .

١٤ - ورأيت رجلاً من أمي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي بكأها من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك .

١٥ - ورأيت رجلاً من أمي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة (أي الخوصة) في يوم ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن .

١٦ - ورأيت رجلاً من أمي يزحف على الصراط يحبوا أحياناً ، ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته على فأقامته على قدميه وأنقذته .

١٧ - ورأيت رجلاً من أمي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة) .

تعليقات على هذا الحديث :

هذا الحديث قال فيه الحافظ أبو موسى المديني : هذا حديث حسن جداً . وقد بنى عليه كتابه في الترغيب والترهيب وجعله سر حاله رواه عن طريق الفرج بن فضالة عن هلال أبي حبله (مدني لا يعرف بغير هذا الحديث) عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعظم أمر هذا الحديث ويقول : أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث .

روى هذا الحديث في الصحيح ، وقد امتاز بأنه ذكر العقوبة أولاً ، ثم ذكر ما ينجي منها من فروع الإيمان ، وقد اشتمل أيضاً على سبع عشرة طاعة هي :

٢ - ذكر الله تعالى .

١ - البر بالوالدين .

٤ - صيام شهر رمضان .

٣ - الصلاة .

٦ - الحج والعمرة .

٥ - الغسل من الجنابة .

٨ - صلة الرحم .

٧ - الصدقة .

١٠ - حسن الخلق .

٩ - الأمر بالمعروف والنهي عن

١١ - الخوف من الله .

١٢ - الصبر على موت الأولاد . ١٣ - الرجاء في الله .

١٤ - البكاء من خشية الله . ١٥ - حسن الظن بالله .

١٦ - الصلاة على رسول الله . ١٧ - الشهادة بالله .

صلى الله عليه وسلم .

كما يؤخذ منه أن رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحى .

هذا ورؤياه صلى الله عليه وسلم في منامه طويلة وردت من ثلاثة أوجه من حديث سمرة في الصحيح ، ومن حديث علي وأبي أمامة ، والثلاثة قريب بعضها من بعض تشتمل على ذكر عقوبات جماعة من المعذبين في البرزخ ،

مكفرات الذنوب

١ - التوبة النصوح : قال الله تعالى في سورة الفرقان : « إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » .

٢ - الاستغفار : قال الله تعالى في سورة الأنفال : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » والتوبة تتضمن الاستغفار ، والاستغفار يتضمن التوبة وهذا عند الانفراد وأما عند الاجتماع ، واقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فكل منهما يكون له معنى مغاير للآخر مثل :

« أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه » .

فالاستغفار هنا هو طلب الوقاية والحفظ من شر ما مضى ، والتوبة هنا معناها الرجوع إلى الله ، وطلب الوقاية والحفظ من شر ما يخافه في المستقبل .

٣ - الحسنات : قال الله تعالى في سورة هود عليه الصلاة والسلام : « إن الحسنات يذهبن السيئات » ، وقال عليه الصلاة والسلام : (واتبع السيئة الحسنة تمحها) . فالحسنات في الآية والحسنة في الحديث تذهب وتمحو الذنوب الصغار أما الكبائر فلا تمحوها إلا التوبة النصوح .

٤ - المصائب الدنيوية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ، ولا غم ، ولا هم ، ولا حزن حتى الشوكة

يشاكها إلا كفر بها خطاياها (: أى ذنوبه الصغار .
٥ - ما يهدى إلى الميت من ثواب طهقة ، أو قراءة قرآن ، أو حج
أو غير ذلك مما ستعرفه إن شاء الله فى هذا الكتاب عند الكلام عما ينفع
الميت من الأعمال .

٦ - عفو الله للمؤمن المذنب من غير شفاعة قال الله تعالى : « إن الله
لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

من لا يسألون فى قبورهم :

لله عباد يكرمهم الله فى قبورهم ، وفى دار البرزخ ، فلا يسألون فيها
ولا يعذبون بل ينعمون وهؤلاء هم :

١ - الشهداء المسلمون :

الذين قتلوا فى سبيل الله بنية الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة
الذين كفروا السفلى .

روى عن راشد بن سعد رضى الله عنه عن رجل من الصحابة أن
رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهداء ؟
فقال : (كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة) .

(أخرجه النسائى وإسناده جيد)

ومعنى الحديث أن الشهيد قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيوف
على رأسه فلم يفر ، فلو كان منافقاً لما صبر فدل على أن إيمانه هو الذى حمله
على بذل نفسه لله ، وتسليمها له فى سبيل إظهار دينه ، وإعزاز كلمته .
فأغنى ذلك عن الامتحان فى قبره .

واعلم أن الشهيد المنافق لا يغفر له ، ولا تمحى خطاياها وذنوبه ، وأن
السيف لا يمحى النفاق ، وكذلك الشهيد الكافر لا يغفر له لأن شرط الشهيد
أن يكون مسلماً فكما لا يصح صلاة الكافر ولا صيامه كذلك لا تصح شهادته .
وقد قسم الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم الشهيد إلى ثلاثة أقسام
فقال : اعلم أن الشهيد ثلاثة أقسام :

(١) الوصب : المرض ، والنصب (بفتح النون والصاد) : التعب ، ومنه قوله تعالى :
« فإذا فرغت فانصب » ، والغم واحد الغوم : الكرب ، والغم واحد الغوم : الحزن .

أحدها: المقتول في حرب الكفار بسبب من أسباب القتال فهذا له حكم الشهداء في ثواب الآخرة ، وفي أحكام الدنيا وهو أنه لا يغسل ولا يصلى عليه ، وهو أعلى الشهداء وأعظمهم .

والثاني : شهيد في الثواب دون أحكام الدنيا وهو المبطلون ، والمطعون وصاحب الهدم ، ومن قتل دون ماله ، وغيرهم ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميته شهيداً ، فهذا يغسل ويصلى عليه ، وله في الآخرة ثواب الشهداء ، ولا يلزم أن يكون مثل ثواب الأول .

والثالث : من غلّ في الغنيمة (أى خان فيها) وشبهه ممن وردت الآثار بنى تسميته شهيداً إذا قتل في حرب الكفار ، فهذا له حكم الشهداء في الدنيا . فلا يغسل ولا يصلى عليه ، وليس له ثوابهم الكامل في الآخرة . أهـ .

مزايا الشهداء :

اعلم أن الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يختصون :

- (أ) بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .
- (ب) وأنهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة . وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب مظلمة في ظل عرشه .
- (ج) وأن تنعيمهم يكون بواسطة أبدانهم أكمل وأتم من تنعيم الأرواح ، المجردة على الأبدان فنصيب الشهداء من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم ، وإن كان بعض الأموات على فرشهم أعلى درجة من كثير من الشهداء فلهم نعيم يختص بهم لا يشاركه فيه غيرهم .

٢ - الم رابط في سبيل الله :

وهو من لازم محلا من بلاد المسلمين مدة لحفظهم من الكفار على نية الجهاد في سبيل الله فارساً كان أو راجلاً (أى ماشياً على رجلية) .

فسكان الثغور الإسلامية الذين يقيمون فيها بأهلهم بنية التعمير والكسب ليسوا بمربطين . ولا ينالون جزاءهم ، بل يسألون ويفتنون في قبورهم . وجزاء الم رابط في سبيل الله ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه أجرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان) بضم الفاء وتشديد التاء : جمع فاتن وهو ملك السوأل) ، وفي رواية : أومن ، وروى أيضاً : الفتان (بفتح الفاء) مفرداً لا جمعاً .

ولقوله عليه الصلاة والسلام : (كل ميت يختم على عمله إلا المربط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر) .
(أخرجه أبو داود والترمذي)

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ثم قال الترمذي أيضاً في توجيه هذا الحديث : إن المربط قد ربط نفسه وسجنها وصبرها حبساً لله في سبيله لمحاربة أعدائه فإذا مات على هذا فقد ظهر صدق ما في ضميره فوق فتنة القبر .

وأخرج ابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله آمناً من الفرع) .

٣ - الأنبياء والمرسلون :

قال ابن حجر : إن السوأل لمن شأنه أن يفتن وهؤلاء الشأن فيهم عدم الافتتان فلا يسألون وقيل : إذا كان الشهيد - وهو أقل رتبة من الرسول والنبي - لا يسأل في قبره فمن باب أولى ألا يسأل الرسول والنبي في قبرهما ، فيكون قياساً أولوياً .

٤ - الملائكة :

وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا يموتون إلا بعد النفخة الأولى التي تموت فيها الخلائق هؤلاء لا يسألون بعد موتهم لأن السوأل لمن شأنه أن يقبر والشأن في الملائكة عدم إقبارهم . هكذا قيل .

٥ - الأطفال :

الذين ماتوا قبل البلوغ على الصحيح لأن السوأل فرع التكليف والأطفال

غير مكلفين وجزم بعد سؤلهم الحافظ السيوطي كما جزم القرطبي (١) بسؤلهم مستنداً إلى قوله صلى الله عليه وسلم بعد دفن ولده إبراهيم : (يا بني إن القلب مخزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب إنا لله وإنا إليه راجعون قل : الله ربي والإسلام ديني ورسول الله صلى الله عليه وسلم أبي ، فبكت الصحابة وارتفع صوت عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا عمر ؟ فقال : يا رسول الله هذا ولدك وما بلغ الحلم وليس لنا ملقن مثلك يلقنا التوحيد في مثل هذا الوقت فبكى عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه ، فنزل جبريل عليه السلام وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب بكائهم فذكر له كلام عمر رضى الله عنه : فصعد ورجع يقول : ربك يقرئك السلام ويقول لك : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

لكن هذا الحديث ضعيف لا يحتج به في إثبات مثل هذا .
وقال القرطبي أيضاً ومن وافقه : إن الأطفال يسألون في قبورهم لأن صلاة الجنازة عليهم مشروعة ، وكذلك الدعاء لهم .
وسؤال الله أن يقيهم عذاب القبر وفتنته كما ذكر الإمام مالك (٢) في موطنه عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه (اللهم قه عذاب القبر) .
والجواب عن ذلك أن في القبر من الآلام والهموم ما قد يسرى أثره إلى الطفل فيتألم به . فيشرع للمصلى عليه أن يسأل الله تعالى أن يقيه ذلك العذاب ، وفتنة السؤل .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (بإسكان الراء وبالحاء المهملة) الأنصارى الخزرجى الأندلسى القرطبي كان من العلماء العارفين بالله الزاهدين في الدنيا والمشتغلين بأمور الآخرة ، ومن مؤلفاته كتاب التفسير المسمى بالجامع لأحكام القرآن وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا وكتاب التذكرة بأمور الآخرة ، وكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار وغير ذلك من الكتب المفيدة ، توفي رحمه الله بمكة ابن الحبيب ودفن بها في ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ هـ .

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام ، وسيد فقهاء الحجاز وهو عربي من قبيلة ذى أصبح أدرك خيار التابعين من الفقهاء فأخذ عنهم ، ولد رحمه الله سنة ٩٥ هـ بذي المروة موضع من أعمال المدينة ، ثم نشأ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ير حل عنها حتى توفي فيها سنة ١٧٩ هـ ، ودفن بالبقيع ؛ كانت للإمام مالك منزلة عظيمة عند الخلفاء والأمراء .

قال ابن القيم في كتاب الروح : وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل على ترك طاعة أو فعل معصية قطعاً ، فإن الله لا يعذب أحداً بلا ذنب عمله . بل عذاب القبر قد يراد به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره ، وإن لم يكن عقوبة على عمل عمله . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) . أى يتألم بذلك ويتوجع منه لأنه يعاقب بذنب الحى ، ولا تزر وازرة وزر أخرى . وبذلك يكون قول الحافظ السيوطى بعدم سؤال الأطفال فى قبورهم هو الحق .

٦ - المجنون :

الذى جن قبل البلوغ أو بعده وهو مسلم واستمر به الجنون إلى الموت لعدم سبق التكليف له أصلاً فى الحالة الأولى ، ولسبق التكليف له فى الحالة الثانية مع ملازمته للإسلام ، أما إن جن بعد البلوغ وهو كافر فإنه يسأل .

٧ - الأبله (١) :

وهو من طبع على الخير ، وسلامة الضمير ، ولا يعرف الشر ، وأحوال الدنيا . أو هو الذى لا عقل له يصل به إلى معرفة دينه أو دنياه ، ويكون حكمه كالطفل أو المجنون .

٨ - الصديق :

وهو كل مسلم لازم الصديق ، وبالغ فيه ظاهراً وباطناً ، وليس المراد به خصوص أبى بكر الصديق . قال أبو عبد الله القرطبى : إذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطراً

(١) وخبر : (أكثر أهل الجنة البله) رواه البيهقى ، وسنده لين (أى ضعيف) . قال ابن عدى : فيه سلامة بن روح منكر الحديث ، وقال الدارقطنى : سلامة ضعيف ، وقال ابن الجوزى : حديثه لا يصح .

وأعظم أجراً ألا يفتن لأنه مقدم ذكره في التنزيل على الشهداء، وقد صح في المرباط الذي هو دون الشهيد ألا يفتن فكيف بمن هو أعلى رتبة منه ومن الشهيد ؟

٩ - الميت بالطاعون :

في زمنه صابراً محتسباً في الصحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون ؟ فقال : (كان عذاباً على من شاء الله من عباده ، فجعله رحمة للمؤمنين ، فليس من رجل يقع في الطاعون فيمكث فيه صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد) .

وقد جزم شيخ الإسلام ابن حجر في كتابه (بذل المناعون في فضل الطاعون) : بأن الميت بالطعن لا يسأل لأنه نظير المقتول ، وبأن الصابر في الطاعون محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إذا مات فيه بغير الطعن لا يفتن أيضاً لأنه نظير المرباط .

وقال رحمه الله أيضاً في كتابه المذكور : ووقع لي تردد في الفاسق ماحكمه ؟ وهو مرتكب الكبيرة إذا هجم عليه الطاعون فمات به وهو مُصر . فإنه يحتمل أن يقال : لا يكرم بدرجة الشهادة لما هو متلبس به .

ويحتمل أن يقال : بل تحصل له الشهادة لإطلاق الأخبار خصوصاً خبر الشيخين مرفوعاً : (الطاعون شهادة لكل مسلم) وخبر أحمد برجال ثقة ، والطبراني وابن منده عن أبي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعاً (أتاني جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام ، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة ، ورجز على الكافر) (أي عذاب على الكافر) .

وبالقياس على شهيد المعركة فإنه يحكم له بالشهادة ، وإن كانت عليه ذنوب كثيرة لم يتب منها إلا تبعات الآدميين .

لحديث (إن الشهيد يغفر له كل ذنب إلا الدين) وسائر التبعات في معناه (انتهى كلامه) .

قال الحافظ السيوطي : والاحتمال الثاني في كلام الحافظ (أي ابن حجر) هو الصواب .

ولا يختص ذلك بالمطعون بل يأتي في باب الشهادة كله .
قال السحيمي في كبره على الأربعين : الأوجه في باب الشهادة أن يقال :
إن كان سبب الموت معصية كأن تسببت المرأة في إلقاء الحمل فماتت . أو ركب
البحر وسير السفينة في وقت لا تسير فيه السفن فغرق لم تحصل الشهادة .
وإن لم يكن السبب معصية حصلت الشهادة ؛ وإن قارنها معصية كزناً ،
وشرب خمر لراكب سفينة (انتهى) .

١٠ - والمبطون :

وهو الذي مات بمرض البطن (أى الإسهال أو الاستسقاء ونحوهما) .
ففي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه يرفعه (من مات
مبطوناً مات شهيداً ، ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه برزق من الجنة) .

١١ - الملازم لقراءة سورة الملك :

في غالب أوقاته من وقت العلم سواء أقربأها عند النوم أم قبله . ولا يضر
الترك في بعض الأحيان لعذر .
روى ابن مسعود رضى الله عنه : (من قرأ سورة الملك كل ليلة عصم
من فتنة القبر) . (رواه بن جرير)

١٢ - ومثله من واطب على قراءة سورة السجدة :

ذكره بعضهم واستدل بما روى عن البراء بن عازب مرفوعاً إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ آلم السجدة ، وتبارك الملك قبل النوم نجا
من عذاب القبر ، ووقى فتان القبر) ولكن في سند هذا الحديث سوار بن
مصعب وهو ضعيف جداً .

١٣ - ومن مات ليلة الجمعة أو يومها :

لقوله عليه الصلاة والسلام : (ما من مسلم (١) يموت ليلة الجمعة أو يوم
الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر) . (رواه عبد الله بن عمرو بن العاص)

(١) هذا الحديث إسناده ضعيف لانقطاعه فأخرجه الترمذى عن طريق عبد الرحمن بن مهدي
وأبي عامر العقدي كلاهما عن هشام بن سعد بهذا الإسناد . قال الترمذى : هذا حديث غريب وليس به

قال الحكيم الترمذى : ومن مات يوم الجمعة فقد انكشف الغطاء عما له عند الله تعالى ؛ لأن يوم الجمعة لا تسجر فيه جهنم وتغلق أبوابها . ولا يعمل سلطان النار ما يعمل في سائر الأيام ، فإذا قبض الله عبداً من عبيده فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلاً لسعادته وحسن مآبه ، وأنه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب الله له السعادة عنده لذلك يقيه فتنة القبر .

١٤ - ومن قرأ : « قل هو الله أحد » في مرض موته :

لقوله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ « قل هو الله أحد » في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجزه من الصراط إلى الجنة) .

رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن الشخير (بتشديد الشين والحاء بالكسر) .

قال الشيخ حسن العدوى في كتابه مشارق الأنوار : اتفق جمهور أهل السنة على عدم سؤال شهداء الحرب ، والسر في ذلك كونهم أحياء . وكذلك الرسل والأنبياء لا يسألون على التحقيق .

وأما غير من تقدم من نحو : مطعون ومبطون وغريق ، وميت الجمعة ، والمواظب على قراءة تبارك الملك ، والسجدة كل ليلة ممن ورد النص فيهم بعدم سؤالهم ففيه طريقتان :

فبعضهم يقول : بعدم السؤال رأساً عملاً بظواهر الأحاديث . وبعضهم يقول : المنى سؤال التشديد .

قال المرحوم الشيخ محمد سليمان المالكي مذهبا الحلوتي طريقة من أفاضل

= إسناده بمتصل (أى ضعيف) ، وقال الحافظ السيوطي في المرقاة : أخرجه أحمد وحسنه - وابن أبي الدنيا ، وفي رواية : حدثنا بقية عن معاوية بن سعيد عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقى فتنة القبر) وهذا إسناده ضعيف أيضاً لأن بقية بن الوليد مدلس .

أقول : إن هذا الحديث وإن روى بطرق فيها ضعف ولكن هذه الطرق قد قوى بعضها بعضاً فيكون هذا الحديث حسناً لغيره ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل فإنه أخرجه وحسنه ، وبذلك يصح الاحتجاج به .

العلماء ، ومن كبار رجال الوعظ والإرشاد في مجلة الإسلام لعامها السادس سنة ١٣٥١ هـ .

وعلى هذا من مات ليلة الجمعة أو يومها لا يسأل مطلقاً ، و يسأل سؤالا خفيفاً على إحدى الطريقتين ولكنه لا يعذب على جرائمه إن كان قد ارتكب ما يستوجب ذلك من المعاصي ، ويكون موته في هذه الليلة أو اليوم سبباً من أسباب إعفائه من العقوبة في القبر ، وإن كان قد يعاقب عليها يوم القيامة إن لم يكن ممن أراد الله أن يشمل عفو ومغفرته اهـ .

(فائدة) أن من لا يسأل في قبره لا يعذب فيه ، وأن من نجا منه فما بعده أيسر منه قاله الإمام القرطبي .

من لا تأكل الأرض أجسامهم :

أكرم الله عباده بحفظ أجسامهم بعد مماتهم ، وحرم على الأرض أن تأكل تلك الأجسام الطاهرة أو تعبت بها حتى تتأثر بالبلى ، وتكون أشلاء ممزقة ، وأجزاء مفرقة هنا وهناك ، وطعمة للودود ، ولقمة سائغة لحشرات الأرض وهوامها . هؤلاء المكرمون هم :

١ - الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

فقد روى عن أوس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ (أى بليت) فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام) .

أخرجه أبو داود السجستاني في كتاب السنن ، والإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والدارمي والبيهقي ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه ، والطبراني (١) في الكبير ، وابن أبي شيبة والحاكم وصححه هو والنووي .

(١) (الطبراني) : هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني ، وهو الإمام مسند الدنيا أحد الأئمة المعروفين ، والحفاظ الكثيرين ، والمصنفين المحدثين ، والثقات

٢ - شهداء المعركة في الجهاد في سبيل الله :

قال العلماء : لم تأكل الأرض أجساد الشهداء لكونهم أحياء عند ربهم يرزقون . وثبت في الصحيح أن عمرو بن الجموح . وعبد الله بن عمرو الأنصاريين دفنا في قبر واحد يوم أحد فحسر السيل قبرهما فحفروا عليهما لينقلا إلى مكان آخر فوجدوا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس . وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فكانوا يرفعون يده عن الجرح فترجع كما كانت وذلك بعد ست وأربعين سنة من وقعة أحد .

قال الإمام القرطبي : ولا فرق في عدم البلى للشهيد بين شهدائنا وشهداء الأمم السابقة الذين جاهدوا مع أنبيائهم ، وماتوا في القتال بدليل ما صح في الترمذي في قصة أصحاب الأخدود^(١) أن الغلام الذي قتله الملك ودفن وأصبعه على صدغه أخرج من قبره في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا أصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ، وكان أصحاب الأخدود بنجران في أيام الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم كما في صحيح مسلم .

وروى نقلة الأخبار أن معاوية بن أبي سفيان لما أجرى العين التي حفرها بالمدينة في وسط المقبرة ، وأمر الناس بتحويل موتاهم وجدوهم على حالتهم التي ماتوا عليها حتى أن الناس رأوا أثر المسحاة (بكسر الميم الفأس) التي أصابت قدم سيدنا حمزة بن عبد المطلب ، وسال الدم منها ، وكان ذلك في خلافة معاوية وبعد غزوة أحد التي استشهد فيها سيدنا حمزة بنحو خمس سنين . وأن جابر بن عبد الله أخرج أباه عبد الله الذي قتل في أحد كأنه دفن بالأمس .

ومثل الشهداء المرابطون في سبيل الله .

= الأثبات المعدلين . ولد بطبرية من بلاد العجم سنة ستين ومائتين ، وعمر طويلا ، عاش مائة سنة كاملة ، وتوفي بأصبهان سنة ستين وثلثمائة هجرية . وفي حياته صنف المعجم الكبير في أسماء الصحابة والأوسط في غرائب شيوخه والصغير في أسماء شيوخه ، وروى عنه الكثيرون تمني ابن العميد أن يكون في مكان الطبراني بدل الوزارة والرئاسة .

(١) الأخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض وجمعة أخاديد ، وقصة أصحاب الأخدود ذكرت مجملتها في سورة (البروج) في قوله تعالى : « قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » .

٣ - المؤذن المحتسب :

وهو من يؤذن حسبة لله تعالى ، ابتغاء الثواب والأجر من الله لا طلباً للمال والدنيا . روى مرفوعاً « المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط في دمه ، وإن مات لم يدود (بكسر الواو المشددة) في قبره ، روى هذا الحديث الطبراني عن ابن عمرو بن العاص وضعفه المنذري ، وقال البيهقي فيه إبراهيم بن رستم وضعفه ابن عدي ووثقه غيره وفيه أيضاً من لا يعرف ترجمته وفيه أيضاً سالم الأفتس قال بن حبان يقلب الأخبار ، وينفرد بالمعضلات قال الإمام القرطبي ظاهر هذا أن المؤذن المحتسب لا تأكله الأرض كالشهيد .

أقول : وقد أثبتت المشاهد ذلك .

قال ابن أبي الدنيا في كتاب (الأوليا) : كتب إلى أبو عبد الله محمد بن صالح التميمي أن إسحاق بن أبي نباته مكث ستين سنة يؤذن لقومه في مسجد بني عمرو بن سعد (يعني بالكوفة) وكان يعلم الغلمان في الكتاب . ولا يأخذ الأجر . ومات قبل أن يحفر الخندق (١) بثلاثين سنة .

فلما حفر الخندق وكان بين المقابر ذهب بعض أصحابه يستخرجه ووقع قبره في الخندق فاستخرجوه كما دفن ، لم يتغير فيه شيء إلا أن الكفن قد جف عليه ويبس والحنوط محوط عليه وكان خضيباً أقرأوا وجهه مكشوفاً . وقد ظهر الحناء في أطراف الشعر .

فمضى المسيب بن زهير إلى أبي جعفر المنصور وهو على شاطئ الفرات فأخبره فركب أبو جعفر في الليل حتى رآه فأمر به فدفن بالليل لئلا يفتن به الناس .

٤ - العلماء العاملون :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) .

(أخرج أبو داود ، وأخرجه أيضاً أبو جعفر الداودي ولكن بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين) .

(١) ليس المراد بالخندق هنا خندق المدينة وإنما المراد به الخندق الذي حفر بمدينة الكوفة في خلافة أبي جعفر المنصور .

٥ - قارئ القرآن محتسباً :

أى بدون أجر وكان ملازماً لتلاوته عاملاً بما فيه ومعظماً له فتمد أخرج ابن مندة عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مات حامل القرآن أوحى الله إلى الأرض ألا تأكل لحمه فتقول الأرض : أى رب وكيف آكل لحمه وكلامك فى جوفه) .
(٦ - ٧) الولي ومن يكثّر من ذكر الله عز وجل كما هو مدون فى كتب التوحيد ولكن لم أجد لها دليلاً حتى أستند إليه .

الروح ..

الروح هو : جسم نوراني علوى خفيف حى لذاته متحرك ينفذ فى الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى النبات ، والدهن فى الزيتون ، والنار فى الفحم ، لا يتبدل ولا يتحلل .

فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية .

وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب ينافى الروح ، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن ، وانفصل إلى عالم الأرواح .

وإلى هذا ذهب الإمام مالك وجمهور المتكلمين والصوفية ، والرازي وإمام الحرمين ، واختاره ابن القيم وقال : إنه هو الذى دل عليه الكتاب والسنة ، وإجماع الصحابة ، وأدلة العقل والفطرة ، وأقام عليه أكثر من مائة دليل فى كتاب الروح ثم قال : وكل ما يؤثر عن العلماء فى معنى الروح إنما هو من قبيل ذكر الأوصاف التى هى من باب الآثار والأحكام ، لا من قبيل الكشف عن الحقيقة الذاتية ؛ لأن الروح مما استأثر الله بعلمه فلا تحيط به العقول البشرية . ولذلك لما سأل اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الروح امتحاناً لرسول الله . وتعجز له لم يجبهم بالحقيقة بل أجيبوا بقول الله عز وجل « قل الروح من أمر ربي » : أى أن العلم بحقيقة الروح وكنهها من شأنه تعالى وحده .

وهناك مذاهب أخرى تقول : إن الروح عرض وليس بجسم فليل : هو الحياة ، وقيل : هو الحرارة الغريزية ، وقيل : هو نور وكل هذا باطل ، لأنه ورد في السنة النبوية أن الروح تصعد وتنزل ، وتذهب وتجيء ، وتتحرك وتسكن ، وتدرك وتعقل ، وتأكل وتشرب ، وتنعم وتعذب إلى غير ذلك من صفات الأجسام فبطل قول كل قائل بأنها عرض .

وقيل : إن الروح جسم فليل : هو الدم ؛ لأن الحيوان إذا مات لا يفوت منه إلا الدم ، وقيل : هو النفس الداخل والخارج بالتنفس المعبر عنه بالهواء . وهذان القولان أشبه بمذهب الفلاسفة .

والصحيح هو الرأي الأول : لأنه يشهد له الكتاب والسنة والأدلة العقلية ، وعليه جمهور العلماء .

الروح في القرآن الكريم ومعناه :

ورد لفظ الروح في القرآن الكريم في آيات كثيرة لمعان مختلفة :

١ - منها : ما به حياة البدن ، وهو السر الإلهي ، والأمر الخفي الذي استأثر الله بعلمه قال تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (١) .

٢ - ومنها : القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل في ثلاث وعشرين سنة قال تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » (٢) .

فالروح هنا هو القرآن ، لأن بالقرآن تحيا القلوب .

٣ - ومنها : الوحي الذي يوحيه الله إلى أنبيائه ورسله قال الله عز وجل : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون » (٣) .

(١) سورة الإسراء آية : ٨٥ .

(٢) سورة الشورى آية : ٥٢ .

(٣) سورة النحل آية : ٢ .

وقال تعالى : « رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق » (١) .

فالروح في سورة النحل ، وفي سورة غافر معناه الوحي ، وسمى الوحي روحاً لأن الوحي يسرى في القلوب كسريان الروح في الجسد فتحيها به القلوب .
٤ - منها جبريل قال تعالى :

« وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (٢) .

والمعنى قوينا عيسى عليه الصلاة والسلام بالروح المقدسة (أى المطهرة من المعاصي والمخالفات والأقذار) وهى جبريل عليه السلام يسير معه حيث سار .

وقال تعالى : « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر » (٣) .

فالروح هنا جبريل عليه السلام ، وعليه فعطف الروح على الملائكة عطف خاص على عام ، لشرف جبريل روحاً لأنه ينزل بالوحي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيحيي القلوب والنفوس .

وقال الله تبارك وتعالى : « والى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين » (٤) .

وقال تعالى : « ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » (٥) .

فالروح في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وفي سورة التحريم هو جبريل عليه السلام .

٥ - ومنها : اختصاص عيسى عليه الصلاة والسلام أنه روح من الله تعالى :

قال تعالى : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (٦) .

-
- (١) سورة غافر آية : ١٥ .
(٢) سورة البقرة آية : ٨٧ .
(٣) سورة القدر آية : ٤ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ٩١ .
(٥) سورة التحريم آية : ١٢ .
(٦) سورة النساء آية : ١٧١ .

ومعنى روح منه : أن عيسى عليه الصلاة والسلام ذو روح من الله أضيف إليه تعالى تشریفاً لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام .

٦ - ومنها : القوة والثبات والنصر التي يؤيد الله بها من يشاء من عباده المؤمنين .

كما قال تعالى : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه (١) » .

حدوث الروح ، والخلاف في حدوثها قبل خلق البدن أو بعده :

أجمع العلماء على حدوث الروح كسائر أجزاء العالم الذي قام الدلائل على حدوثه لكنهم اختلفوا بعد ذلك .

هل الروح حادث ومخلوق قبل البدن أو بعده ؟

فذهبت طائفة إلى حدوثه قبل البدن . منهم محمد بن نصر المروزي ، وأبو محمد بن حزم الأندلسي وغيرهما واستدلوا على ذلك بما رواه عمرو ابن عبسة مرفوعاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألfi عام ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) .

ولكن هذا الحديث غير صحيح الإسناد ، لأن فيه عتبة بن السكن . قال الدارقطني : إنه متروك ، وقال البيهقي : إنه منسوب إلى الوضع (أي الكذب) .

وفيه أيضاً : أرطاة بن المنذر . قال ابن عدى : بعض أحاديثه غلط ، وفيه عطاء بن عجلان ، أطلق عليه ابن معين ، والفلاس وغيرهما الكذب . وبذلك لا يصح الاحتجاج بهذا الحديث .

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى في سورة الأعراف : « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » . وجه الاستدلال من الآية : أن الخطاب إنما كان للأرواح ولم تكن الأبدان موجودة .

يشهد لذلك ما أخرجه الحاكم عن أبي كعب في قوله تعالى : « وإذا أخذ

وبك . . . الآية . قال : جمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة فجعلهم أرواحاً وصورهم واستنطقهم فتكلموا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق الحديث .

ويمكن أن يرد على هذا :

بأن المعنى أن الله أخرج ذرياتهم من ظهورهم بالولادة ، وأنشأهم شيئاً فشيئاً بعد أن كانوا نطفاً في الأصلاب ، وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم بما أظهر لهم من الآيات الموجبة للعلم ، فلما دعاهم إلى التصديق بذلك كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته .

ومن رأى أن حدوث الروح وخلقها كان بعد خلق البدن مثل الإمام الغزالي (١) ومن وافقه استدلوا بالحديث الصحيح الذي رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : (إن أحداكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة . ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح الحديث) .

وجه الاستدلال من هذا الحديث أن الروح لو كانت مخلوقة قبل البدن لقبل ثم يرسل إليه الملك بالروح فيدخله فيه .

ويمكن أن يرد على هذا الرأى بالفرق بين نفخ الروح وخلقها فالروح مخلوقة من زمن طويل ، وأرسلت بعد تصور البدن مع الملك لإدخالها في البدن كما أنه ليس في هذا الحديث أكثر من أن نفخ الروح في الجسم يكون بعد تسويته ، والمفهوم من نفخ الروح في البدن تحصيل آثارها فيه .

(وبعد) : فقد تعارضت الأدلة في ذلك ، ولا مرجع لأحدها . ولكنى أميل إلى الرأى القائل : بأن الروح مخلوقة قبل خلق بدنها وجسدها .

(١) الغزالي : هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي حجة الإسلام ، وصاحب كتاب إحياء علوم الدين الذى يعتبر بحق من أفضل كتب التصوف والأخلاق ، وإظهار حكم القرآن والشريعة الإسلامية ، وصاحب كتاب المستصفى فى أصول الفقه . ولد الغزالي سنة ٤٥٠ هـ ، ونشأ بطوس (مدينة عظيمة بخراسان) ثم رحل إلى نيسابور ولزم إمام الحرمين ثم إلى بغداد ثم إلى الحج ثم إلى الشام ثم دخل مصر وأقام بالإسكندرية ثم عاد إلى نيسابور ثم إلى وطنه طوس حيث قضى بقية عمره بين التدريس والوعظ إلى أن توفى سنة ٥٠٥ هـ .

بقاؤها :

اتفق العلماء على أن الروح بعد الموت . ومفارقتها البدن وقبل النفخة الأولى تبقى

واختلفوا في بقائها عند النفخة الأولى وهي نفخة الصعق التي تموت عندها الخلائق إلا من شاء الله .

فذهب فريق إلى القول بفنائها وموتها عند النفخة الأولى مستدلاً بقول الله عز وجل : « كل نفس ذائقة الموت » . وبقوله تعالى : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » . وبقوله : « كل شيء هالك إلا وجهه » .

وقال آخرون : إنها باقية لا تموت . للأحاديث المدالة على نعيمها وعذابها بعد مفارقة البدن إلى أن يرجعها الله إلى الجسد بالبعث . وهذا القول هو المشهور وقائله تقي الدين السبكي وغيره .

ويرد على الفريق الأول بأن المراد من ذوقها الموت خروجها عن حد الانتفاع . وبأن معنى فان ، وهالك في الآيتين قابل للهلاك والفناء .

وإن فسرنا الفناء والهلاك بالفعل فالروح من المستثنى في قوله تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » .

والمستثنيات في هذه الآية هي :

الروح (١) ، وعجب الذنب (بفتح العين وسكون الجيم ؛ وفتح الباء) من كل جسد ، والعرش ، والكرسي ، واللوح ، والقلم ، والجنة ، والنار ،

(١) العجب في اللغة مؤخر كل شيء ، وعجب الذنب معناه عجب شبيه بالذنب وهو : عظم كالحردلة في آخر سلسلة الظهر في المصمص ، يختص بالإنسان كغرز الذنب للدابة .

واختلف في بقائه وفنائه ، والصحيح أنه لا يفنى ولا يبلى لحديث الصحيحين : (ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ، منه خلق الخلق يوم القيامة) ولحديث الإمام مسلم : (كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ، ومنه يركب) . واختلف العلماء هل بقاؤه تعبدى أو معلى بجواز كونه جمل علامة للملائكة الموكلين بالإعادة على إحياء كل إنسان بأعضائه الأصلية التي كانت في الدنيا ، ولكن هذا التعليل ضعيف لأن الملائكة لا يخفى عليهم هذا الأمر ، وبذلك يكون الأرجح في بقائه أنه تعبدى .

وأجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء وغير ذلك . وقد نظم
الحافظ جلال الدين السيوطي ثمانية منها (من بحر الطويل) فقال :

ثمانية حُكْمُ البقاءِ يَعْمَهَا

من الخلق والباقون في حيز^(١) العدم

هي العرش والكرسي نار وجنة

وَعَجَبُ أرواح كذا اللوح والقلم

وقيل المستثنيات : رضوان خازن الجنة . والخور العين ، ومالك خازن
النار والزبانية التسعة عشر ملكاً ، وقيل غير ذلك . قال الشيخ أبو عباس
القرطبي : والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح ، والكلمة محتمل .
هذا ولكل جسد روح واحدة على الصحيح .

النفْس والروح

اختلف العلماء في النفس والروح : هل هما شيء واحد ؟ أو شيان
متغايران ؟ .

ذهب إلى الأول الجمهور ، وصححه ابن القيم والحافظ السيوطي ،
وصوبه ابن رشد من المالكية ، وبه جزم ابن السبكي وغيره .
وعليه فالنفس والروح مترادفان على معنى اللطيفة الربانية التي يفارقتها
يموت الإنسان .

لا يتغيران إلا في التذكير والتأنيث ، فالنفس مؤنثة وقد تذكر على إرادة
الروح ، والروح مذكرة وقد يؤنث على إرادة النفس .
وإلا في أن تسمية تلك اللطيفة الربانية روحاً باعتبار أن بها حياة الجسم ،
ونفساً باعتبار شهوتها .

فإن النفس تطلق أيضاً على المعنى الجامع لقوة الشهوة والغضب . وسائر
الصفات الذميمة من الإنسان .

(١) حيز (بفتح الحاء وتشديد الياء بالكسر بعدها زاي) : جهة ومكان .

وهذا الإطلاق كثير الدوران على ألسنة الصوفية : يقولون : (لا بد من مجاهدة النفس وكسرها) .

ومن السابقين إلى القول باتحادهما الإمام الغزالي بل زاد عليهما : القلب ، والعقل ، والسر ، وقال : خمستها بمعنى واحد ، ووافقه على ذلك المحققون من الصوفية (انتهى بتصرف من وسائل الرحمة) .

يشهد لما ذهب إليه الجمهور من اتحادهما ما صح في الأخبار من إطلاق كل من النفس والروح على الآخر .

ومن شواهد :

١ - ما روى عن أم سلمة (كما في صحيح مسلم) قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : (إن الروح إذا قبض تبعه البصر) .

مع ما في خبر آخر عند الإمام مسلم أيضاً وهو : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره قالوا : بلى . قال : فذلك حين يتبع بصره نفسه) .

ففي هذا ما يستغنى به عن قول كل قائل في تأييد أن الروح والنفس اسمان لمسمى واحد كما قاله القرطبي في تذكرته .

٢ - ونظيره ما جاء في قصة نومه صلى الله عليه وسلم ، ونوم أصحابه في الوادي ، وهم راجعون من غزوة خيبر عند صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحيت ، وكان قد أمر بلالا أن يرقب لهم الفجر فنام الجميع ، ولما استيقظ الرسول عليه الصلاة والسلام قال : (إن الله قبض أرواحنا ، وقال لبلال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ فقال : أخذ بنفسى يا رسول الله الذي أخذ بنفسك) .

٣ - وما أخرجه الإمام البزار بسند صحيح عن أبي هريرة يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن المؤمن من ينزل به الموت ، ويعاين ما يعاين يود لو خرجت نفسه ، والله تعالى يحب لقاءه ، وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح فيستخبرونه من معارفه عن أهل الدنيا إلى آخر ما جاء في الحديث ، وفيه اتحاد النفس والروح ، وأنهما مترادفان) .

٤ - وما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب

المستفيض في خروج الروح ، وصعوده ثم هبوطه من السماء وغير ذلك .
ففيه إطلاق النفس على الروح والروح على النفس ، وقد تقدم في القسم
الأول من هذا الكتاب ، فارجع إليه .

وذهب إلى الرأي الثاني وهو أن النفس غير الروح القاضي ابن العربي
وقال : إنه الحق ، ووافقه السهيلي ، وجماعة من المحدثين والصوفية .

فقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : « الله يتوفى
الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت
ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون » .
أن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس .

فالنفس هي التي بها العقل والتمييز ، والروح هي التي بها النفس والحياة
فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم .

فابن عباس رضي الله عنهما أثبت في ابن آدم شيئين ، وسمى أحدهما
نفساً ، والآخر روحاً ، وجعل نسبة الروح إلى النفس كنسبة الشعاع إلى
الشمس في كونه متعلقاً بها أثراً لها .

قال القشيري أبو نصر كما في حاشية الجمل على تفسير الجلالين بعد
قول ابن عباس : وفي هذا بعد إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة في
الحالين (أي في حالة النوم وفي حالة الموت) شيء واحد .

فتوفى الأنفس في حالة النوم بإزالة الإدراك . وتوفى في حالة الموت
بإزالة الحس بالكلية .

وإذا كانت النفس مغايرة للروح ، فما هي النفس ؟ وما هي الروح
عند هؤلاء القائلين بالمغايرة ؟

والجواب :

أنهم اختلفوا فيهما فقال بعضهم : الروح : هو النفس المتردد في
الإنسان . والنفس أمر غير ذلك لها يدان ورجلان ورأس وعينان . وهي
تلتذ وتتألم ، وهي التي تتوفى عند النوم ، وتخرج وتسرح وترى الرؤيا ،
ويبقى الجسد دونها بالروح فقط .

وقال بعضهم : النفس طيبة نارية . والروح نورانية روحانية . وقال بعضهم : الروح لاهوتية . والنفس ناسوتية .
(وبعد) : فالحق أن النفس والروح شيء واحد وأنهما متحدان ذاتاً . وقد يختلفان في الصفات . وهذا الشيء هو :

الجوهر المشرق الذي به حياة البدن ، والجسم اللطيف النوراني العلوي الذي يسرى في البدن سريان الماء في الورد ، والنار في الفحم ، والدهن في اللوز لا يتبدل ولا يتحلل حتى إذا قطع عضو من البدن انقبض ما فيه إلى جميع الأعضاء حامل لصفات الكمال من العقل والفهم . وهذا هو الذي تدل عليه الآثار الصحاح كما عرفت ، وتدل عليه اللغة العربية .

فقد جاء في المصباح المنير في مادة (راح وأصلها روح) أن ابن الأنباري وابن الأعرابي قالا : (الروح والنفس واحد) غير أن العرب تذكر الروح وتوثث النفس .

وجاء في مختار الصحاح ، وفي تاج العروس أن النفس هي الروح (بضم الراء) يقال : خرجت نفسه (أي روحه) وغيرها من كتب اللغة . ويقال لغة : (فاضت نفسه ، وخرجت نفسه ، وفارقت نفسه بدنّها) ، كما يقال : (فاضت روحه ، وخرجت روحه ، وفارقت روحه بدنّها) ، والمعنى واحد فيهما .

وفي التذكرة للقرطبي : إذا تأملت الأحاديث وجدت النفس والروح واحداً . وهي :

جسم لطيف مشتبك بالجسم المحسوس . يجذب ويخرج ، ويلف في أكفانه ، ويعرج به إلى السماء ، لا يموت ولا يفنى ، له أول ولا آخر له . ذو ريع طيب وخبيث ، وهي صفة الأجسام لا الأعراض . ومن زعم أن الروح يموت ويفنى فهو ملحد ، وكذا القائل بالتناسخ وهو أنها إذا خرجت ركبت في آخر كحمار أو كلب أه .

الروح والنفس عند الصوفية :

الإنسان مركب من روح وجسم والروح هو الأول في الوجود ثم تألف الجسم من عناصر الأرض وطبيعتها ليكون مقراً لهذه الروح ومظهراً لها .

وهي نورانية لطيفة . والجسم مظلم كثيف ، وهي قوية فعالة ، وهو متغير ضعيف . ولما أراد الله خلق الكائنات خلق خلقاً نورانياً عظيماً جداً في خلقه قوياً جداً في تأثيره وهذا المخلوق هو الروح الأعظم المنتشر في الموجودات كلها علويها وسفليها وهذا قول المتقدمين .

ولما كان الرجل والمرأة جنساً واحداً لا يختلف إلا في بعض الخصائص والصفات كانت الروح والنفس شيئاً واحداً لا فرق بينهما إلا في خصائص وصفات . ولهذا يسمون كلا منهما باسم الآخر فيطلقون على الروح اسم النفس ويسمون النفس بالروح .

وكل إنسان من بني آدم ذكراً كان أو أنثى مظهر للروح والنفس . ولكن الأول في الرجل أقوى . والثاني أقوى في المرأة بل الغالب فيها أن تكون نفساً محضة .

ومن الرجال من يكونون أرواحاً محضة كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن يليهم من الملائكة والصدّيقين من البشر .

والفرق بين الروح والنفس : أن الروح تدعو دائماً إلى الملائكة الأعلى ، ولها نور قوى يساعدها في ذلك وهو العقل ، والنفس تدعو دائماً إلى الملائكة الأسفل ، ولها من يساعدها وهو الشيطان ، ويساعد النفس وشيطانها الطبيعة لأنها سفلية أرضية تكونت من طبائع الأرض المختلفة . وبذلك تصير البواعث التي تدعو إلى العالم السفلي ثلاثة : (النفس والشيطان والطبيعة) .

ولما كانت الدواعي التي تدعو إلى العالم العلوي اثنتين : (الروح والعقل) اقتضت الحكمة بثالث لهما يدعو معهما إلى الكمال ليحصل التوازن بين دواعي الخير ، ودواعي الشر في الإنسان ، وذلك الثالث هو الرسول صلى الله عليه وسلم ومن على نهجه .

وإذ قد علمت أن النفس سفلية فلا بد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ومن يقوم مقامه علوياً محضاً أي روحاً خالصة لا تأثير للنفس فيه .

القصيدة لعينية في النفس

لابن سينا

١ - هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ
وَرُقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعٍ

ابن سينا :

هو الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا ، ولد في إحدى قرى
بخارى سنة ٣٧٥ هجرية ، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنوات ، ومهر
في الطب والمنطق وهو ابن ست عشرة سنة .

ومن مؤلفاته : كتاب المبدأ والمعاد ، وكتاب الإشارات ، والحاصل
والمحصول ، وقصائد في الحكمة ، ورسائل إخوانية وسلطانية . مات بهمدان
سنة ٤٣٨ هـ .

يقول ابن سينا : إن نفس الإنسان (أي روحه) تصدر عن العقل الفعال
(جبريل عليه السلام أي بواسطته) وتدخل في الجنين عندما يتهيأ الجسد
لقبولها ، وأنها تعود إليه بعد مبارحته متى بلغت مرتبة النفس القدسية عن
طريق الدراسة ، أو عن طريق الرياضة ، وأبيات هذه القصيدة واحد
وعشرون بيتاً ، وهي من بحر الكامل ، وقد أثبتنا هنا تكميلاً للفائدة ،
إجابة لرغبة بعض إخواني ، وقد شرح هذه القصيدة الفلسفية الشيخ
عبد الرؤوف المعروف بالمناوي وهو أحسن شرح لها :

البيت الأول : هَبَطْتُ : نزلت ، والمحَلُّ الْأَرْفَعُ : عالم العقول
المجردة ، وورقاء : فاعل هبطت وهي الحمامة والمراد بها هنا النفس ؛
والتعزز : التماسك مع تعاضم ، والتمنع : شدة الإباء .

والمعنى : أن ابن سينا جرد من نفسه شخصاً يخاطبه ، أو أنه سأله إنسان
من أين وصلت النفس إلى البدن ؟ فأجاب بقوله :

٢ - مَحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مُقَلَّةٍ نَاضِرٍ

وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرَّقِعْ

٣ - وَصَلْتُ عَلَى كَرِهِ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا

كَرِهْتُ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَوْجَعٍ

٤ - أَنْفَتُ وَمَا أَنْسْتُ فَلَمَّا وَاصَلْتُ

أَلَفْتُ مُجَاوِرَةَ الْخَرَابِ الْبَلْقَعِ

٥ - وَأَظْلُنُّهَا نَسِيتُ عَهْدَ بِالْحِمَى

وَمَنْزَاوِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعْ

هبطت من المجل الأشرف الأرفع إلى هذا الحضيض الأخس الأوضع
وأراد بكونها ذات تعزز وتمنع أن إدراك النفس صعب جداً لا يتحقق
إلا بالاستدلال عليها بآثارها .

البيت الثاني : محجوبة : مستورة ، سفرت : ظهرت وكشفت
وجهها ، ولم تتبرقع : أى لم تلبس البرقع .

والمعنى : أن النفس مع كونها ممنوعة عن الإدراك بالحواس الظاهرة
هى مدركة بالعقل ، وظاهرة لكل عاقل من الناس بآثارها .

البيت الثالث : الكره : (بضم الكاف) القهر (وبالفتح) : المشقة
وقيل : بالفتح الإكراه ، وبالضم المشقة .

والمعنى : أن النفس إنما اتصلت بهذا الهيكل مكرهة مقهورة . وأما
بعد اتصالها رُبَّمَا كرهت فراقه .

البيت الرابع : أنفت : تعاظمت ، والأنس : ضد الوحشة ،
واصلت : المواصلة ضد المهاجرة ، والألفة : الالتئام ، والبلقع : الأرض
القفر التى لا شئ بها من نبات وماء وغيرهما .

البيت الخامس : الحمى (بكسر الحاء) المكان المحفوظ الذى لا يقربه
أحد احتراماً لمالكه ، لم تقنع : القناعة والمقنع : الرضا بالقليل .

٦ - حتى إذا اتَّصلت بهاء هُبوطها

من ميم مركزها بذات الأجرع

٧ - علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت

بين المعاليم والطلول الخضع

٨ - تبكى إذا ذكرت عهداً بالحمى

بمدامع تهمة ولم تتقطع

٩ - وتظل ساجعة على الدمن التي

درست بتكرار الرياح الأربع

البيت السادس : هاء : من الحروف الأبجدية . والمراد بها هنا مبدأ ما أضيفت إليه . والهبوط : المراد به هنا مكان الهبوط ، والمركز : وسط الدائرة ، بذات : صاحبة ، والأجرع : المكان الرملى المستوى الذى لا ينبت شيئاً ، وقيل : المكان الذى تكون أرضه مختلطة بالطين والرمل .

البيت السابع : علقت تشبثت ، والثقيل : ضد الخفيف ، والمعالم جمع معلم وهو العلامة نفسها أو موضعها ، والطلول : جمع طلل وهو ما شخص من آثار الدار ، والمراد بالطلول هنا مواضع الحمى وآثارهم ، والخضع : جمع خاضع وهو الدليل .

ومعنى البيت السادس والسابع : أن النفس (الروح) حينما اتصلت فى هبوطها من أعلى بالمركز الأسفل وهو البدن الظلماني ذو الكثافة الثقيلة ، وتعلقت به أصبحت بين القوى البدنية تستخدمها وتستند لها ليحصل ما هو المقصود لها من ارتسام العلوم والمعارف ، والكليات والجزئيات فيها .

البيت الثامن : تهمة : تسيل ، ولم تتقطع : لم تجف .

البيت التاسع : تظل : تدوم ، وساجعة أى تغرد الحمامة وتردد صوتها على وجه واحد ، والدمن (بكسر ففتح) جمع دمنة وهى ما بقى من آثار الديار ورسومها ، أو ما سود منها بالرماد ، والمراد بها هنا أجزاء البدن ، ومعنى درست : ذهب أثرها ، والرياح الأربع المراد بها : الطبائع الأربع

١٠ - إذ عاقها الشَّرْكُ الكثيفُ وصدها

قفصٌ عن الأوج الفسيح المربع

١١ - حتى إذا قُرب المسيرُ إلى الحمى

ودنا الرحيلُ إلى الفضاء الأوسع

١٢ - وغدت مُفارقة لكلِّ مخلف

عنها حليف التُّرب غير مُشيع

١٣ - هجعت وقد كُشف الغطاء فأبصرت

ما ليس يُدرك بالعيون الهجعة

وهى : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وفى هذا البيت تصريح
(من الناظم كما قال المناوى) ببقاء النفس : أى الروح بعد الموت .

البيت العاشر : عاقها : منعها ، والشرك (بفتحيتين) حبال الصائد ،
والكثيف : الغليظ ، وصدها : منعها ، الأوج (بسكون الواو) المكان
المرتفع ، والفسيح : الواسع ، والمربع وزان جعفر منزل القوم فى الربيع ،
أو هو مكان ذو بهجة وجمال .

البيت الحادى عشر : الحمى : المراد بها هنا عالم المجردات ،
والفضاء الأوسع : المراد به هنا عالم المعقولات وهو أوسع من عالم المحسوسات .

البيت الثانى عشر : غدت : أخذت ، ومفارقة : تاركة ، ومخلف
(بفتح اللام المشددة) المراد به البدن المعطل المطروح بعد مفارقة الروح له ،
وحليف التُّرب أى مصاحب التراب ، وغير مشيع : أى غير متبع وغير
مودع (بفتح الدال المشددة) .

البيت الثالث عشر : هجعت : نامت ليلا ، يدرك : يلحق ،
والعيون الهجعة : النائمة .

١٤ - وَغَدَتْ تُغَرِّدُ فَوْقَ ذِرْوَةِ شَاهِقٍ

وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ

١٥ - فَلَأَيَّ شَيْءٍ أَهْبَطْتُ مِنْ شَامِخٍ

عَالٍ إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الْأَوْضَعِ

١٦ - إِنْ كَانَ أَهْبَطَهَا الْآلَةُ لِحَكْمَةٍ

طُوِيَتْ عَنْ الْفِذِّ اللَّيْبِ الْأَرْوَعِ

١٧ - فَهَبُوطُهَا لَا شَكَّ ضَرْبُهُ لَازِبٍ

لِتَكُونَ سَامِعَةً لِمَا لَمْ تَسْمَعْ

١٨ - وَتَعُودَ عَالِمَةً بِكُلِّ خَفِيَّةٍ

فِي الْعَالَمِينَ فَخَرَقُهَا لَمْ يُرْقَعْ

١٩ - وَهِيَ الَّتِي قَطَعَ الزَّمَانُ طَرِيقَهَا

حَتَّى لَقَدْ غَرَبَتْ بَعِينَ الْمَطْلَعِ

البيت الرابع عشر : ذروة شاهق : أعلى مكان عال ، وأراد بذروة شاهق العالم الروحاني .

البيت الخامس عشر : شامخ : عال ، وعال بعده تأكيد للمبالغة في العلو ، وقعر الشيء : نهاية أسفله ، والحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل ، والأوضع : الأخفض .

البيت السادس عشر : لحكمة : المراد بها هنا الباعث للإنسان على فعل الشيء ، والفذ : الفرد ، والليب : العاقل ، والأروع : الذكي الإدراك .

البيت السابع عشر : لازب : لازم لا ينفك عن الشيء .

البيت الثامن عشر : خرقها لم يرقع : أي فتقها لا يرجى صلاحه ، ولا يمكن إصلاحه .

البيت التاسع عشر : غربت اختفت والمراد بغروب النفس هنا

انقطاع تعلقها بالجسم ، والمطلع : موضع الطلوع من المكان المرتفع إلى المنخفض والمراد هنا التعلق بالجسم ، والمعنى أن النفس انفصلت عن البدن كما اتصلت به .

٢٠ - فكأنها بَرَقُ تَأَلَّقَ بِالْحَمَى

ثم انطوى فكأنه لم يلمع

٢١ - أُنِعِمُ بِرَدِّ جَوَابٍ مَا أَنَا فَاحِصٌ

عنه فنارُ العلم ذاتُ تَشَعُّشٍ

البيت العشرون : : تألق : لمع وأضاء ؛ والمعنى أن النفس عند فراق البدن تكون كأنها لم تصحبه قط فكأنها لم تكن .

البيت الحادي والعشرون : أنعم من أنعم : أى أوصل إليه نعمة ، وفاحص : أى مستقص في البحث والتفتيش ، وتشعشع : أى ذات إشعاع ، والمعنى : عليك بإتيان الجواب عما سألته وهو إنزالها للوصول إلى الكمال .

نماذج الأرواح بعد الموت :

قال ابن القيم : إن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل . وتتصل وتنفصل . وتذهب وتجيء ، وتتحرك وتسكن .

وتأخذ من بدنها صورة تتميز بها عند غيرها ، وأنها تتأثر وتتفعل عن البدن كما يتأثر البدن وينفعل عنها فيكتسب البدن الطيب والخبيث منها كما تكتسبهما هي منه .

بل تتميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الأبدان ، والاشتباه بينهما أبعد من اشتباه الأبدان ، فإن الأبدان تشبه كثيراً وأما الأرواح فقلما تشبه ويوضح هذا :

أننا لم نشاهد أبدان الأنبياء والأئمة وهم يتميزون في علمنا أظهر تميز ، وليس ذلك التميز راجعاً إلى مجرد أبدانهم بل بما عرفناه من صفات أرواحهم . وأنت ترى أخوين شقيقين مشبهين في الخلقة غاية الاشتباه . وبين روحيهما غاية التباين .

وقل أن ترى بدنًا قبيحاً وشكلاً شنيعاً إلا وجدته مركباً على نفس تشاكله وتناسبه .

وقل أن ترى آفة في بدن إلا وفي روح صاحبه آفة تناسبها .
ولهذا يأخذ أصحاب الفراسة (بكسر الفاء) أحوال الناس من أشكال الأبدان .

وقل أن ترى شكلاً حسناً وصورة جميلة ، وتركيباً لطيفاً إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له قال : وإذا كانت الملائكة تتميز من غير أبدان تحملهم ، وكذلك الجن فالأرواح البشرية أولى اهـ .

تخاصم الروح والجسد يوم القيامة :

أخرج بن منده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما تزال الحصومة بين الناس حتى يتخاصم الروح والجسد فتقول الروح للجسد : أنت فعلت . ويقول الجسد للروح : أنت أمرت ، وأنت سولت .

فبيعت الله ملكاً يقضى بينهما فيقول لها : إن مثلكما كشمل رجل مقعد (أى مكسح) بصير وآخر ضرير دخلا بستاناً فقال المقعد للضرير : إني أرى ههنا ثماراً ولكن لا أصل إليها ، فقال له الضرير : اركبني فركبه فتناولها فأهما المعتدى . فيقولان : كلاهما فيقول لها الملك : فإنكما قد حكمتما على أنفسكما .

وأخرج الدارقطني في الأفراد من حديث أنس بن مالك مرفوعاً نحوه ولفظه :

يختصم الروح والجسد يوم القيامة ، فيقول الجسد : إنما كنت بمنزلة الجذع ملقى لا أحرك يداً ولا رجلاً لولا الروح ، ويقول الروح : إنما كنت ريحاً لولا الجسد لم أستطع أن أعمل شيئاً وضرب لها (أى الملك) .

مثل أعمى ومقعد حمل الأعمى المقعد فدلله المقعد ببصره ، وحمله الأعمى برجله .

وله شاهد عن سلمان الفارسي موقوفاً أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ولفظه .

مثل القلب والجسد مثل أعشى ومقعد قال المقعد للاعشى . إني أرى ثمرة
ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني فحمله فأكل وأطعمه .
وهذا يؤيد أن القلب محل الروح كما قال الحافظ السيوطي في كتابه :
(شرح الصدور) والله أعلم .

البرزخ والروح

البرزخ :

هو المدة الفاصلة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة فإذا مات الإنسان فقد
انتقل إلى البرزخ ، وبقي فيه ، حتى يبعث من القبور .
وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة المؤمنون .
قال الله تعالى : « حتى إذا حضر أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى
أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم
يبعثون » .

واعلم أن عالم الأرواح يختلف كثيراً عن عالم المادة في أحواله وأطواره ،
فالروح يجعلها الله عز وجل في البدن في الحياة الدنيا فيحس بها البدن ويتحرك ،
ويدرك وتحصل له لذة وألم .

ويقال في هذه الحالة : إن الإنسان حي .

أما إذا فارقت الروح البدن وذلك عند انتهاء الأجل فإن هذه الآثار
المتقدمة من الحس . والتحرك والإدراك وغير ذلك تبطل .

وفي هذه الحالة يقال : إن الإنسان ميت .

ولكن مع هذا فإن الروح في البرزخ تكون في دائرة أوسع عما كانت
عليه في البدن في الحياة الدنيا لأن البدن كالسجن أو القفص والروح محبوسة فيه .
قال المرحوم الشيخ يوسف (١) الدجوى في مجلة الأزهر (نور الإسلام)

(١) هو الشيخ يوسف بن أحمد بن نصر النابغة الكفيف البصر ، ولد بقرية دجوة (بكسر
الدال وسكون الجيم) بمحافظة القليوبية في سنة ١٢٨٧ هجرية من أب عربي . أدخله والده الأزهر
سنة ١٣٠١ هـ ، ثم نال شهادة العالمية سنة ١٣١٧ هـ ، ومات رحمه الله ، وله مؤلفات قيمة منها :
كتاب السعادة ، والرد على الطبيعيين ، والجواب المنيف .

سنة ١٣٥٠ هجرية : (إن الأرواح بعد مفارقة أجسادها باقية مدركة فاهية على نحو ما كانت عليه في حياتها أو أشد ، ولذلك يتساءلون عن الأحياء ، ويفرحون ، ويحزنون بما يكون منهم) .

ويدعون لهم إلى آخر ما جاء في السنة . وقد دعا آدم عليه السلام وغيره لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، وقد شرع لنا أن نخاطبهم خطاب الحاضر المشاهد في قولنا : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين) ، ونخاطب النبي صلى الله عليه وسلم في كل صلاة بقولنا : (السلام عليك أيها النبي) ، وتعرض أعمالنا عليه صلى الله عليه وسلم فإن وجد خيراً حمد الله ، وإن وجد شراً استغفر لنا ، بل تعرض أعمالنا على آبائنا وأهلينا كما جاء في السنة .

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة وراجعته صلى الله عليه وسلم في أمر الصلاة ، وذكر حال أمته .

وقد اجتمعت الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج ، وخطبوا وقالوا وفعلوا .

أخرج الترمذى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن بعض الصحابة ضرب خباءه (أى خيمته) على قبر . ولم يكن يعلم أنه قبر فسمع من داخل القبر رجلاً يقرأ سورة تبارك (الملك) حتى ختمها فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال رسول الله : صلى الله عليه وسلم (هى الممانعة ، هى المنجية تنجى من عذاب القبر .)

قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب إلى آخر ما جاء في السنة الغراء التى أثبتت الحياة للأرواح كلها حتى أرواح الكفار كما جاء في حديث القليب وغيره (انتهى بشىء من التصرف) .

وقال الحافظ بن رجب فى كتاب أهل القبور : (لقد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعمال صالحة فى البرزخ كقراءة القرآن والصلاة فى القبر . وإن لم يحصل له بذلك ثواب لانقطاع عمله بالموت لكنه إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته) .

تلاقى أرواح الموتى وتزاورهم وتذاكرهم :

إعلم أن أرواح الموتى تتزاور وتتذاكر فيما بينها وتتلاقى مهما بعدت المسافات واختلفت المقابر لأن للروح المطلقة من أسر البدن وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود والهبوط ما ليس للروح المحبوسة في البدن .

قال ابن القيم رحمه الله : الأرواح قسمان :

١ - أرواح معذبة .

٢ - أرواح منعمة .

فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى . والأرواح المنعمة المرسلة وغير المحبوسة تتلاقى وتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها . وروح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الرفيق الأعلى .

قال تعالى : « ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » . وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ ، وفي دار الجزاء . والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاث .

وعن منصور بن أبي الضحى عن مسروق قال : قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإذا مت رفعت فوقنا فلم نرك فأنزل الله تعالى : الآية السابقة .

وفي قصة الإسراء من حديث عبد الله بن مسعود قال : لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فتذاكروا الساعة (أى القيامة) فبدأوا بإبراهيم عليه الصلاة والسلام فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم موسى عليه الصلاة والسلام فلم يكن عنده منها علم حتى أجمعوا الحديث إلى عيسى عليه الصلاة والسلام إلى آخر الرواية وهذا نص على تذاكر الأرواح .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل .

وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة أوجه :

(أحدها) : أنهم عند ربهم يرزقون . وإذا كانوا أحياء فهم يتلاقون .

(الثاني) : أنهم إنما استبشروا بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم .

(الثالث) : أن لفظ يستبشرون يفيد في اللغة أنهم يبشر بعضهم بعضاً مثل يتباشرون .

وقد جاءت سنة صريحة في تلاقى الأرواح وتعارفها .

روى ابن أبي الدنيا عن أبي ليبة عن جده قال : لما مات بشر (١) بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجداً شديداً (أى حزنت عليه حزناً شديداً) فقالت : يا رسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة . فهل تتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر إنهم ليتعارفون كما تتعرف الطير في رءوس الشجر) ، فكان لا يهلك هالك (أى محتضر شخص) من بنى سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت : يا فلان عليك السلام فيقول : وعليك فتقول : اقرأ على بشر السلام .

وروى الترمذي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم عن أبي قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون في قبورهم) . فهذا الحديث نص في تراور الأموات في قبورهم .

(١) بشر بن البراء بن معرور الأنصاري الخزرجي من بنى سلمة (بكسر اللام) ، وبشر هذا (بكسر الباء) صحابي ابن صحابي ابن صحابي رضى الله عنهم شهد العقبة مع أبيه ، وشهد بدرأ وما بعدها ، ومات بعد غزوة خيبر من أكلة أكلها مع النبي صلى الله عليه وسلم من شاة المرأة اليهودية التي وضعت فيها السم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه النبي عليه الصلاة والسلام لبنى سلمة : سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء ، ولما توفي حزنت عليه أمه حزناً شديداً ، فكانت تأتي كل محتضر يعرف ابنها ، وتكلفه أن يقرأ عليه السلام ، ولما أنكر عليها كعب ابن مالك حزنها الشديد على ولدها وذكرها بأن ابنها في نعيم الجنة ، ومن رضى الله عنهم لأنه من شهد بيعة الرضوان التي قال الله فيها : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » ، فلامت نفسها ، واستغفرت الله عز وجل على ما فرط منها .

أهل القبور ينتظرون الأخبار :

ذكر ابن أبي الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : أهل القبور يتوكلون الأخبار (أى يتوقعونها) فإذا أتاهم الميت قالوا : ما فعل فلان ؟ فيقول : صالح ، وما فعل فلان ؟ فيقول صالح : وما فعل فلان ؟ فيقول : ألم يأتكم أو ما قدم عليكم ؟ فيقولون : لا ، فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا .

وقال سعيد (١) بن المسيب : (إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب) ، وفي الحديث الشريف عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن نفس المؤمن) أى روحه (إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقواون : انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه قد كان في كرب شديد ثم يسألونه ماذا فعل فلان ، وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ فإذا سأله عن رجل مات قبله قال : إنه مات قبلى قالوا : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ذهب به إلى أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية .

الأرواح هي التي تتلاقى :

قال عبيد بن عمير : إذا مات الميت تلحقه الأرواح يستخبرونه كما يستخبر الركب ما فعل فلان ، وما فعل فلان ؟ فإذا قال : توفي ، ولم يأتهم قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية .

وقال مسمع بن عاصم : رأيت عاصما الجحدري في منامى بعد موته بسنتين فقلت : أليس قدمت ؟ قال : بلى ، قلت : وأين أنت ؟ قال : أنا والله في روضة من رياض الجنة . أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصباحها إلى بكر بن عبد الله المزني فنلتقي أخباركم ، قلت : أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال : هيئات (أى بعد) بليت الأجسام ، وإنما تتلاقى الأرواح .

(١) هو سعيد بن المسيب (بكسر الياء مع التشديد وتفتح) بن حزن القرشي المخزومي المدني أبوه وجده صحابيان أسلموا يوم الفتح وهو من سادة التابعين فقهياً وديناً . ولد لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان أحفظ الناس لأحكام عمر رضي الله عنه وأعلمهم بأنساب قريش وأعرهم للرؤيا . توفي سنة ٩٤ هـ .

التقاء أرواح الأموات بأرواح الأحياء :

تلتقى أرواح الموتى بأرواح الأحياء بعضهم ببعض يدل لذلك قوله تعالى في سورة الزمر : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

قال ابن عباس رضى الله عنهما في تفسير هذه الآية : (إن أرواح الأحياء والأموات تلتقى في المنام فيتساءلون فيما بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها) .

وقال السدى (١) في قوله تعالى : « والتي لم تمت في منامها » . قال : يتوفاها في منامها فيلتقى روح الحى وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان فترجع روح الحى إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها . وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسدها فتحبس .

فهذان أثران يدلان صراحة على التقاء أرواح الموتى بأرواح الأحياء في المنام أولهما عن ترجمان القرآن وحبر الأمة وثانيهما عن تابعى مشهور .

معرفة الموتى أحوال وأعمال أقاربهم الأحياء :

إعلم أيها القارئ الكريم أن أرواح الموتى تأتى منازل الأحياء ويعرفون أحوالهم فيتألمون من السيئ منها كما أنهم يستبشرون بالحسن منها ويفرحون به ومعرفتهم أحوال الأحياء وأعمالهم تارة بعرض ذلك عنهم وتارة بالسؤال ممن مات بعدهم .

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمنهم حتى تهديهم كما هديتنا) .

(١) السدى : هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور الكوفي التابعى المشهور بالسدى (بضم السين مع تشديدها وتشديد الدال مع كسرها) ، لقب بالسدى لبيعه المقانع ونحوها في مدة (أى باب) مسجد الكوفة ، والسدى هذا ضعفه ابن معين ووثقه الإمام أحمد واحتج به الإمام مسلم . مات سنة سبع وعشرين ومائة روى له الجماعة إلا البخارى .

وفي إسناد هذا الحديث رجل لم يسم وله شاهد من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن نفس المؤمن (أي روحه) إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عباده ، كما يلقون البشير من الدنيا فيقولون : انظروا صاحبكم يستريح فإنه كان في كرب شديد ثم يسألونه ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ هل تزوجت ؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول : هيات قد مات قبل ذلك قبل فيقولون : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . ذهب به إلى أمه الهاوية فبشت الأم وبشت المربية وإن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن كان خيراً فرحوا به واستبشروا وقالوا : اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتم نعمتك عليه وأمتة عليها : ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون : اللهم ألهمه عملاً صالحاً ترضى به عنه وتقربه إليك) .

(رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه مسلمة بن علي وهو ضعيف وهو عند النسائي وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة بإسناد جيد) .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم فإذا رأوا خيراً استبشروا به وإذا رأوا شراً كرهوه وأنهم يستخبرون الميت إذا أتاهم عن مات بعدهم حتى إن الرجل ليسأل عن امرأته أتزوجت أم لا ؟ حتى إن الرجل ليسأل عن الرجل فإن قيل له قد مات : قال : هيات ذهب بذلك فإن لم يحسوه عندهم (أي لم يجدوه فيمن رحمهم الله) قالوا : (إنا لله وإنا إليه راجعون » ذهب به إلى أمه الهاوية المربية) .

(رواه بن جرير)

وهذه الأحاديث يعضد بعضها بعضاً .

وصح عن مجاهد (١) أنه قال : (إن الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده من بعده) .

وصح أيضاً عن عمرو بن دينار (المكي التابعي كان ثقة مات سنة ١٢٦ هـ) أنه قال : ما من ميت يموت إلا ويعلم ما يكون في أهله بعده .

(١) هو مجاهد بن جبير بن حنين الخبر المكي . ولد سنة عشرين هجرية ، وكان أعلم التابعين بالتفسير ، حدث عن نفسه فقال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقال له ابن عمر : وددت أن نافعاً يحفظ حفظك . مات بمكة وهو ساجد سنة ثلاث ومائة هجرية .

هذان اثران لتابعين لهما منزلة مرموقة بين التابعين ولا يقولان هذين
الأثرين إلا سماعاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وقال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية (١) : استفاضت الآثار بمعرفة
الميت أهله وأحوال أهله وأصحابه في الدنيا وإن ذلك يمرض عليه .
وجاء في الآثار أنه يرى أيضاً وأنه يدرى بما يفعل غده فيسر بما كان
حسناً . ويألم بما كان قبيحاً . وتجتمع أرواح الموتى فينزل الأهل إلى الأدنى
لا العكس (كما جاء في الإحياء للغزالي وشرح البخاري للمعيني) .

سماع الموتى كلام الأحياء :

تعاصد الكثير من الأحاديث النبوية ، وتساند في إثبات سماع الأموات
كلام الأحياء وهي كلها صريحة في ذلك .

فقد روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثاً ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال :
« يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه
ابن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني
ربي حقاً ، فسمع عمر رضي الله عنه يقول النبي صلى الله عليه وسلم : فقال :
يا رسول الله كيف يسمعون وأناي يجيبون وقد جيبوا ؟ فقال : (والذي نفسي
بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يفقهون أن يجيبوا) ، ثم

(١) ابن تيمية : هو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي شيخ الإسلام ،
ومن أكابر أهل السنة والجماعة ، ومن شيوخ مذهب الإمام أحمد بن حنبل . ولد رحمه الله في حران
في القرن السابع الهجري سنة ٦٦١ هـ ، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ في العلم ، واشتهر وأفتى
ودرس ودعا إلى الإصلاح ، ومجن في مصر والهام عدة مرات لتعصب بعض العلماء عليه ثم ظهرت
برأته من كل ما ألحقوه به من تهم . وكما جاهد في ميدان الإصلاح جاهد بنفسه في ميدان الحرب
والشرف ، وقاتل التتار الذين هجموا على الوطن الإسلامي في تلك الفترة التي ضعف فيها المسلمون .
ألف رحمه الله كتباً كثيرة قيمة دافع فيها عما يعتقده من الحق ودعا إلى منهجه في الإصلاح ،
ومن كتبه القيمة رسالة في (السياسة الشرعية) وكتابه في (اتفاق العقل والنقل) و (الفرقان بين
أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ، وله تلاميذ كثيرون أخذوا عنه ، وانتفعوا بعلمه من أشهرهم
الإمام ابن القيم الجوزية ، وقد توفي سجيناً في قلعة دمشق في القرن الثامن سنة ٧٢٨ هـ .

أمر بهم فسمحوا فألقوا في قليب بدر (١) .
وفي البخاري نحوه من رواية عبد الله بن عمر . وهذا حديث صحيح اتفق
عليه البخاري ومسلم .

وأما إنكار السيدة عائشة رضي الله عنها سماع أهل القليب كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فهي معذورة لأنها لم تحضر قول النبي صلى الله
عليه وسلم ، فغيرها ممن حضر أحفظ للفظ الرسول عليه الصلاة والسلام ،
ولعدم بلوغها النص .

قال ابن تيمية في كتابه الانتصار للإمام أحمد رحمه الله ما نصه : (وإنكار
عائشة رضي الله تعالى عنها سماع أهل القليب الكفار معذورة فيه لعدم بلوغها
النص وغيرها لا يكون معذوراً مثلها ؛ لأن هذه المسألة صارت معلومة من
الدين بالضرورة) .

رب قائل يقول : إن سماع أهل القليب كان خصوصية للنبي صلى الله
عليه وسلم ، ومن باب خرق العادة جعلت كمعجزة له عليه الصلاة والسلام .
ونقول له : إن دعوى الخصوصية هنا منقوضة بمثل قواه عليه الصلاة
والسلام : (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنه إلا استأنس به ورد
عليه حتى يقوم) .

(رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن زيد بن أسلم عن عائشة
رضي الله عنها) .

وبما رواه ابن عبد البر في كتاب التمهيد والاستذكار من حديث
ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه
ورد عليه السلام) .

قال الحافظ السيوطي في الحاوي : صححه أبو محمد عبد الحق . وصححه
ابن القيم في كتاب الروح ، ورواه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعاً .
وبما رواه النسائي وابن ماجه عن بريدة بن الحصيب (٢) : (كان

(١) القليب (بفتح القاف وكسر اللام) : البئر قبل أن تبني بالحجارة ونحوها ، وقيل :
البئر القديمة ، ولفظ القليب يذكر ويؤنث .

(٢) بريدة بن الحصيب (بضم الباء الموحدة ، وفتح الراء ، ويضم الحاء وفتح الصاد)

رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا :
السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم
لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية) . فهذه
أحاديث صريحة في نقض دعوى الخصوصية بدليل :

(أ) أن كلمة رجل أو أحد في الحديث نكرة وقعت في سياق النفي
فتعم . وبذلك تهدم دعوى الخصوصية من أساسها . كما أن فيها دليلاً على
سماع الموتى السلام عليهم ، وأنهم يرون وإلا لكانت مخاطبة من لا يسمع
عبثاً ظاهراً . وحاشاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى
أن يكون عبثاً في كلامه .

(ب) أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم أصحابه السلام على أهل
المقابر ، ولو كانت خصوصية لما علمهم وأرشدهم إلى ذلك حين خروجهم
إلى القبور .

بقيت معناه شبهة أخرى في قوله تعالى في سورة الروم : « فإنك لا تسمع
الموتى » ، وقوله تعالى في سورة فاطر : « فإنك لا تسمع الموتى »
« إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور » .
فإن ظاهر الآيتين الكریمتين يخالف ما قلناه من سماع الموتى كلام
الأحياء .

قال العلامة النسفي عند تفسير قوله تعالى : « فإنك لا تسمع الموتى » :
أى موتى القلوب . أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك لأن
الله تعالى قد أثبت الإسماع للمؤمنين بعد هذه الآية في سورة الروم نفسها
في قوله : « وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن
بآياتنا » . فلو كان المراد مطلق السماع لما تأتى نفيه عن الكفار لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قد بلغهم قطعاً ، وقد سمعوا منه بأذانهم قطعاً فكيف ينفي
الله عنهم السماع بعد ذلك بأداة حاصرة هي النفي والاستثناء (أى ما تسمع

ابن عبد الله الحارث بن الأعرج من قبيلة أسلم آمن حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً
هو ومن معه ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد فشهد معه مشاهده ، وكان من
ساكني المدينة ، ثم تحول إلى البصرة ثم إلى خراسان فأقام بمرور حتى مات ودفن بها . روى له
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٧٧ حديثاً .

إلا من يتأتى منه الإيمان والتصديق بآياتنا أ هـ) .

وقال البعض : إن المراد بالموتى في القبور : الجثث التي فسدت حوامها .
وتلاشت قواها بخروج أرواحها لأنها المستقرة في القبور فالمقصود تشبيه
الكفار بهذه الجثث لأنهم لما لم يعوا ما يسمعون ، ولا به ينتفعون شهوا
وهم أحياء صحاح الحواس بهذه الأبدان الهامدة ، والهياكل الخالية من الروح
والسر الإلهي العجيب والله أعلم .

استحضار الأرواح :

يقول الشيخ الوقور ، والأستاذ الفاضل مصطفى محمد الطبر من علماء
الأزهر الشريف في كتابه (هادى الأرواح) : إن استحضار الأرواح
بغزائم ، أو بآيات من كتاب الله تعالى ، أو بأية وسيلة أخرى ما دامت
تجول أحياناً في كون الله . ولا تلزم مكاناً معيناً لم يرد في كتاب الله ولا سنة
رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يحجب عن هذا الإمكان بلسان الشرع الشريف .
والذي ثبت شرعاً هو بقاء الأرواح بعد موت الأجساد ، وأنها تسمع
السلام وترده ، وتزور الأحياء بقظة ومناماً ، من غير استحضار منا لها .
ولم يثبت شرعاً أنها تخضع للأحياء بحضرونها حيث شاءوا ، ويسخرونها
حيث أرادوا ، لكن علم استحضار الأرواح أصبح منتشرأ في أوربا وأمريكا
كما أضحي ينتفع به في شتى الأغراض ، ومنها علاج الموض بأمراض
مستعصية ، وقد زحف هذا العلم إلى باقى القارات وغزا بلادنا . وكان رائده
بمصر المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، ثم انتشر بين طبقات مثقفة بيننا .
وأصبحت له جمعيات تمارسه ، وتدعو إليه وتعالج باسمه مختلف الأمراض
وتأتى في علاجها بنتائج إيجابية في عديد من الحالات المستعصية أعرف بعضها .

فهل لنا أن نعرف به كعلماء وقد أصبح من واقع الناس ؟

لقد سبق إلى الاعتراف به فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى
المراغى شيخ الأزهر الأسبق فقد قال في تقديمه لكتاب حياة محمد صلى الله
عليه وسلم للدكتور محمد حسين هيكل : وعلم استحضار الأرواح فسر
للناس كثيراً مما كانوا فيه يختلفون ، وأعان على فهم تجرد الروح ، وإمكان
انفصالها ، وفهم ما نستطيعه من السرعة في طى الأبعاد .

لكن هناك أموراً تجعلنا نتحفظ في الاعتراف المطلق باستحضار الأرواح .

منها أن بعض الأرواح التي تستحضر إذا سئلت عن حالها تقول : إنها في الجنة ، وإنها مستريحة ، وقد كان أصحابها على غير دين الإسلام فكيف يقبل ذلك ؟ وكيف يكون من مات على غير دين الإسلام سعيداً مستريحاً ؟ وكيف يخبر أنه ناعم بالجنة ؟ وكيف يكون ظليقاً في ملك الله حتى يستحضر وهو حبيس في جهنم .

ومنها : أن هذه الأرواح تتحدث بنبوءات كاذبة رجماً بالغيب ، والأرواح لا تجزئ على الكذب والرجم بالغيب الذي استأثر الله بعلمه . وإذا كان غير مقبول في الدين أن تدعى نفوس كافرة أنها في الجنة ، وأن تكون ظليقة وهي حبيسة في جهنم ، وأن ترجم بالغيب ، فلماذا يكون مثل هذه الأكاذيب صادراً على قرناء تلك الأرواح من الجن ، أو عن جن عابثاتها الكذب وليس صادراً عن تلك الأرواح التي أريد استحضارها . أما العلاج الروحي فإنه أمر واقعي ومفيد في كثير من الأحيان للأمراض المستعصية ومرواها .

ولكننا لا نستطيع القول : بأن تلك الأرواح المعالجة هي أرواح الإنس الذين ماتوا ، فقد تكون أرواح جن حضرت متبرعة بالعلاج ، وكانت بصورة من أريد استحضار أرواحهم ، وفي مثل خصائصهم ومن الأمور المسلمة أن من الجن من هو ماهر في العلاج ولهم قدرات عجيبة في نواح شتى . ولنا من أولئك الذين يصدون الناس عن العلم ، ولكننا نرجو أن يكون تعلمه وتطبيقه والاعتقاد فيه وفقاً لقواعد الدين (انتهى بتصرف) .

مستقر الأرواح فيما بين الموت والقيامة

اختلف الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم اختلافاً كبيراً في مسألة خطيرة وهي : (أين مستقر الأرواح فيما بين الموت والقيامة ؟) ، والسبب في اختلافهم هو اختلاف الأحاديث والآثار التي وردت في تلك المسألة ، ومثلها مما يشوق على السماع من الشرع الحكيم ، ويتلقى من الصادق الأمين .

وللإمام شمس الدين بن القيم المتوفى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة كتاب
قيم مطبوع بالهند ومصر اسمه (الروح) قد أودع فيه نفائس وجواهر في هذا
الموضوع لخصت منه ما يأتي مع شيء من التصرف . قال رحمه الله : واختلف
في ذلك .

فقال قائلون : أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أو غير
شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين . وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم
والرحمة بهم ، وهذا مذهب أبي هريرة ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم .
وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله : أرواح الكفار في النار ،
وأرواح المؤمنين في الجنة (وهذا قريب من الأول) .

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين
واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : « فأما إن كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب
اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم » .

وجه الاستدلال : أن الله تعالى ذكر هذا عقيب خروج الروح من البدن
بالموت ، وقسم الأرواح إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - مقربين وأخبر أنها في جنة النعيم .
- ٢ - وأصحاب يمين حكم لها بالسلام وهو يتضمن السلامة من العذاب .
- ٣ - ومكذبة ضالة وأخبر أن لها نزلا من حميم وتصلية جحيم . قالوا :
وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعاً .

واحتجوا من الحديث بما رواه الإمام مالك في الموطأ عن ابن شهاب
الزهرى (١) عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري أن أباه كعب بن
مالك كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنما نسمة المؤمن

(١) هو الإمام محمد بن عبد الله بن شهاب الزهرى المدنى التابعى ، أحد الفقهاء السبعة ،
وأحد الأعلام المشهورين . ولد سنة ٥٥ هـ ورأى عشرة من الصحابة وسمع من خلق كثيرين ،
وكان إذا أقبل على كتبه لم يلتفت إلى شيء ، فقالت له امرأته : (والله إن هذه الكتب أشد على
من ثلاث خمرائر) مات سنة ١٢٤ هـ .

طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه .

(أخرجه النسائي وابن ماجه أيضاً)

والنسمة : الروح ، وقوله يعلق يروى بفتح اللام وهو الأكثر ، ويروى بضم اللام والمعنى واحد . وهو الأكل والرعى ، فالمؤمن في الحديث يعم الشهيد وغيره .

وقال آخرون : إن حديث كعب بن مالك المتقدم في الشهداء دون غيرهم لأن القرآن والسنة يدلان على ذلك .

أما القرآن فقوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وأما الآثار (فمنها) حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما أصيب إخوانكم (يعنى يوم أحد) جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب مدلاة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، ومقبلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لثلاً ينكلوا عن الحرب . (أى يمتنعوا عنها) ولا يزهدوا في الجهاد ؟ قال : فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » . والحديث في مسند أحمد وسنن أبى داود .

ومنها ما روى عن طريق بنى بن مخلد (بوزن رضى حافظ الأندلس) عن ابن عباس يقول : (أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في الجنة) .

وعن معمر عن قتادة قال : بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة . ومن طريق أبى عاسم النبيل عن عبد الله بن عمرو : (أرواح الشهداء في طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمرة الجنة) قال ابن عبد البر : هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء . دون غيرهم . وكأنه صلى الله عليه وسلم قال : (إنما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق في شجر الجنة) .

قال ابن القيم : إن قول ابن عبد البر : (إن حديث كعب بن مالك في الشهداء دون غيرهم) فتمخيص ليس في اللفظ ما يدل عليه ، والنبي صلى الله عليه وسلم علق هذا الجزاء بوصف الإيمان فهو المقتضى له . ولم يعلقه بوصف الشهادة فيتناول كل مؤمن شهيداً كان أو غير شهيد .

وأما النصوص والآثار التي وردت في رزق الشهداء ، وكون أرواحهم في الجنة فكلها حق . وهي لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة ، ولا سيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بغير نزاع .

وقال مجاهد بن جبر التابعي : (أرواح الشهداء تكون بفناء الجنة أو حولها وليسوا في الجنة ، ولكن يأكلون من ثمارها ، ويجدون من ريحها وقد يحتج له بما رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس مرفوعاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشهداء على بارق^(١)) نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً) .

قال ابن القيم : وهذا لا ينافي كونهم في الجنة فإن ذلك النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم من الجنة . فهم في الجنة وإن لم يصيروا إلى مقاعدهم منها . فجاهدني الدخول الكامل من كل وجه .

وقيل أرواح الشهداء في الجنة . وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم قاله أبو عمر^(٢) بن عبد البر ورجحه .

وقال : إن الأحاديث الدالة على ذلك ثابتة ومتواترة .

يريد بالأحاديث المتواترة مثل حديث بن عمر بن الخطاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي) ومثل حديث البراء بن عازب الذي تقدم وفيه : (هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) .

(١) بارق نهر : من إضافة الصفة إلى الموصوف : أي أن الشهداء يكونون على نهر بارق : أي لا مع مثالي .

(٢) ابن عبد البر : هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي حافظ المغرب . قال الذهبي : ليس لأهل المغرب أحفظ منه . ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ بقرطبة ، ورحل رحلات طويلة ، وله كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب (أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، لكنه لم يستوعب ، وله كتاب التمهيد والاستذكار ، وله تصانيف أخرى . توفي رحمه الله سنة ٤٦٣ هـ هجرية بشاطبة بالأندلس .

ومثل حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ، وفيه أنه يرى مقعده من الجنة والنار ، وأنه يفسح للمؤمن في قبره سبعون ذراعاً ، ويضيق على الكافر) .

وكذا سائر أحاديث عذاب القبر ونعيمه التي تقدمت . ومثل أحاديث السلام على أهل القبور ، وخطابهم ، ومعرفتهم بزيارة لأحياء لهم .

قال ابن القيم : وأما قول من قال الأرواح تكون على أفنية القبور فإن أراد أن هذا أمر لازم لا تفارقه أبداً فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة الصحيحة . وعرض المقعد لا يدل على أن الروح في القبر ولا على فنائه .

بل يدل على أن لها اتصالاً به يصح أن يعرض عليها مقعدها فإن للروح شأناً آخر . فتكون في الرفيق الأعلى ، ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام ، وهي في الملاء الأعلى .

وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس يكون في الأرض وجرمها في السماء .

وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتاً ولها إشراف على قبورها وهي في مقرها فهذا حق ولكن لا يقول به .

وقال ابن حزم في طائفة : مستقر الأرواح بعد الموت حيث كانت قبل خلق أجسادها (أي عن يمين آدم وشماله) .

فبعد وفاة الأنفس . وانقضاء آجالها ترجع الأرواح إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة عرج به إلى السموات ، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه السلام ، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عند منقطع العناصر الماء والهواء والتراب والنار تحت السماء الدنيا .

ولا يدل ذلك على تعادلهم بل هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة ، وهؤلاء عن يساره في السفلى والسجن ويعجل بأرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة . اهـ . قال ابن القيم رحمه الله : لعمر و الله لقد قال (أي ابن حزم) قولاً يؤيده الحديث الصحيح هو حديث الإسراء فإن النبي صلى الله عليه وسلم رآهم كذلك .

لكن قوله : إن ذلك عند منقطع العناصر لا دليل على ذلك من كتاب

ولا سنة ولا يشبه أقوال أهل الإسلام . والأحاديث الصحيحة تدل على أن
الأرواح فوق العناصر في الجنة عند الله . وأدلة القرآن تدل على ذلك وقد
وافق ابن حزم على أن أرواح الشهداء في الجنة . ومعلوم أن الصديقين أفضل
منهم .

فكيف تكون روح أبي بكر الصديق ، وعبد الله بن مسعود . وأبي
الدرداء (عويمر بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري) وحذيفة بن اليمان
وأشباههم عند منقطع العناصر تحت السماء الدنيا وتكون أرواح شهداء زماننا
وغيرهم فوق العناصر وفوق السموات ؟

وأما قوله : إن مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها فهذا بناء منه
على مذهب طائفة من السلف والخلف - وهو أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد .
وليس على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع إلا ما فهموه من
آيات لا تدل لهم ، وأحاديث لا تصح ، والجمهور على خلاف ذلك وهو
أن الأرواح خلقت بعد الأجساد .

والخلاصة أن ابن حزم يقول : مستقر أرواح الأنبياء عليهم السلام والشهداء
الجنة ومستقر غيرهم يمين آدم وشماله عند منقطع العناصر تحت السماء الدنيا .
وقيل : أرواح المؤمنين بالجابية (قرية بالشام جيدة الهواء ، كثيرة
الأشجار والثمار والأنهار) . وأرواح الكفار ببرهوت (بئر بحضر موت) قاله
جماعة من الصحابة والتابعين . (من الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص)
نقله بن منده .

قال ابن القيم : فإن أراد عبد الله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه وأنها
(أي الأرواح) تجمع في مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هوائه
فهذا قريب .

وإن أراد نفس الجابية دون سائر الأرض فهذا لا يعلم إلا بالتوقيف ،
ولعله مما تلقاه عن بعض أهل الكتاب (أي اليهود) .

وقيل : أرواح المؤمنين ببئر زمزم . وأرواح الكفار ببئر برهوت .
وهذا من أفسد الأقوال . ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة بل هو
مخالف لصريح السنة الصحيحة :

(إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة) ونحوه من الأحاديث الصحيحة .

تناسخ الأرواح الباطل :

يقول أعداء الرسل عليهم الصلاة والسلام من الملاحدة وغيرهم من الذين ينكرون المعاد : إن الأرواح تنتقل بعد مفارقة الأبدان بالموت إلى أجسام الحيوانات والحشرات والطيور التي تناسبها فتنعم فيها أو تعذب ثم تفارقها . ونحل في أبدان أخرى تناسب أعمالها وأخلاقها وهكذا أبدا .

فهذا بلا شك تناسخ باطل لمخالفته ما اتفق عليه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهو كفر بالله واليوم الآخر .

وهذه الطائفة تقول : إن مستقر الأرواح بعد المفارقة أبدان الحيوانات التي تناسبها وتشاكلها وهو أبطل الأقوال وأخبثه كما يقول ابن القيم .
ويليه قول من قال : إن الأرواح تعدم جملة بالموت ولا تبقى هناك روح تنعم أو تعذب .

بل النعيم والعذاب يقع على أجزاء الجسم أو جزء منه (إما عجب الذنب أو غيره) فيخلق الله فيه الألم واللذة بواسطة رد الحياة إليه ، أو بدون رد . وهذا قول أبي بكر الباقلاني ومن تبعه ، وهو قول يرده الكتاب والسنة ، وإجماع الصحابة وأداة العقل ومقابلهم من يقول : إن الروح لا تعاد إلى الجسد بوجه ولا تتصل به . والعذاب والنعيم على الروح فقط .

والسنة الصريحة المتواترة ترد قول هؤلاء وهؤلاء ، وتبين أن العذاب والنعيم للروح والجسد مجتمعين ومنفردين (انتهى بتصرف من كتاب الروح) .
قال ابن القيم :

س ١ : فإن قيل قد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الأرواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الأقوال حتى نعتقد ؟

ج ١ : قيل الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت فمنها أرواح في أعلى عليين في الملائكة الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء . (ومنها) : أرواح في حواصل طير تحضر تسريح في الجنة حيث شاءت

وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جعش : « أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما لي إن قتلت في سبيل الله ؟ قال : الجنة فلما ولى قال : إلا الدين سارني به جبريل عليه السلام آنفاً) .

ومن الشهداء من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة (عبادة أو بردة) التي غلها (أي سرقها من الغنيمة) ثم استشهد فقال الناس : هنيئاً له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره) .

(ومنهم) : من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس : (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية) . (رواه أحمد)

وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء .

(ومنهم) : من يكون محبوساً في الأرض لم تعمل روحه إلى الملأ الأعلى ، فإنها كانت روحاً سفلية أرضية لا تجماع الأنفس السماوية كما لا تجماعها في الدنيا . والنفوس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبة وذكره والأنس به والتقرب إليه فهي أرضية سفلية . كما أن النفس العلوية التي كانت عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب إليه تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ ، ويوم القيامة ، فالروح بعد المفارقة تلتحق بأشكالها وإخوانها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك .

(١) حديث الشملة : روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خير ففتح الله عز وجل علينا فلم نغم ذهباً ولا ورقاً (أي فضة) غنمنا المتاع والطعام والسياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي (وادي القرى) ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له (اسمه مدغم بكسر الميم وسكون الدال وفتح العين) وهبه له رجل من جذامة يسمى رفاعة ابن يزيد من بني الضيب ، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله ، فرمى بسهم فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئاً له الشهادة يا رسول الله ، فقال : كلا والذي نفسي بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خير لم يصيبها المقاسم (رواه الشيخان وغيرهما) .

(ومنها) : أرواح تكون في تنور الزناة والزواني . وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة .

الخلاصة :

فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل روح في أعلى عليين . وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض . وكلها على اختلاف مجاها . وتباين مقارها لها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل للميت من النعيم أو العذاب ما كتب له . وإذا أعمت النظر في السنن والآثار عرفت حجج ذلك وأنه لا تعارض بينهما .

لكن الشأن في فهمها . ومعرفة النفس (الروح) وأحكامها . وأن لها شأناً غير شأن البدن . وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر . وبالبدن فيه وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً ، وصعوداً وهبوطاً ، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير . فهناك الحبس والآلم والعذاب . والمريض والحسرة . وهناك اللذة والراحة . والنعيم والإطلاق . وما أشبه حالها في هذا البدن بحال الولد في بطن أمه . وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار .

(تنبيه) : سئل الحافظ بن حجر عن مستقر الأرواح بعد الموت فأجاب في فتاويه :

أرواح المؤمنين في عليين ، وأرواح الكفار في سجين . ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة الدنيا . بل أشبه به حال النائم . وإن كان هو أشد من حال النائم اتصالاً .

قال : وبهذا يجمع بين ما ورد أن مقرها في عليين أو سجين . وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور أنها عند أفنية القبور .

مستقر أرواح الأطفال في البرزخ :

قال الإمام النووي رحمه الله : أجمع من يعتمد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة . وتوقف فيه بعض من لا يعتمد به ، وأما ذراري المشركين فقد كثرت مذاهب العلماء فيهم . واقتصر

الإمام النووي هنا على ثلاثة مذاهب قال : قال الأكثرون : هم في النار . تبعاً لآبائهم ، وتوقفت طائفة فيهم إلى مشيئة الله . إن شاء أدخلهم الجنة . وإن شاء أدخلهم النار . والثالث - وهو القول الصحيح - أنهم من أهل الجنة .

لحديث إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس ، قالوا : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين ، ولقوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، ليتوجه على المولود التكليف ، ويلزمه قول الرسول (حتى يبلغ) وهذا متفق عليه اهـ . أقول : أخرج البخاري ومسلم وابن ماجه والإمام أحمد والحاكم وصححه مرفوعاً عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أولاد المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردوهم إلى آبائهم يوم القيامة) .

وفي رواية للإمام أحمد (ذراري المسلمين في الجنة . يكفلهم إبراهيم عليه السلام حتى يردهم إلى آبائهم) ، وذراري . وذراريات جمعان للذرية والمراد بهم أطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم ولم يكلفوا .

ومعنى يكفلهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام : يقوم بأمرهم ويربهم . ويضمهم إليه مدة البرزخ إلى يوم القيامة ، واختص سيدنا إبراهيم عليه السلام بكفالة الذراري لأنه أبو المسلمين .

وجاءت أيضاً نسبة الكفالة لآدم . ولجبريل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام في روايات أخرى .

ولا تتنافى بين هذه الروايات ، فطائفة منهم في كفالة إبراهيم . وطائفة في كفالة آدم ، وطائفة في كفالة غيرهما .

وأما ما ورد في خبر السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول الله (طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه) قال : (أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها . وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم .

(رواه الإمام مسلم)

فالجواب : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل أن يعلمه الله عز وجل بمآل الأطفال ونهايتهم وهو الجنة .

ويستدل لأطفال الكفار الذين ماتوا قبل بلوغهم بأنهم في الجنة على القول الصحيح بما رواه البخاري عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : (وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأما الولدان حوله فكل مولود مات على الفطرة (أى الحلقة على دين الإسلام ، وتوحيد الله) فقبل : يا رسول الله وأولاد المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وأولاد المشركين) .

وفي رواية أخرى للبخاري أيضاً : (والشيخ الذي في أصل الشجرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والصبيان حوله أولاد الناس) . فهذا يقتضي بعمومه جميع الناس مسلمين وكفار .

ويستدل لهم أيضاً بقوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » . ووجه الاستدلال في هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل إذا لم يعذب البالغ العاقل لأنه لم تبلغه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فأولى غيره ، وهو من لم يبلغ بعدم العذاب . وإذا لم يعذب فهو في الجنة والله أعلم .

مقر أرواح الملائكة والحيوانات في البرزخ :

ذكر في شرح السحيمي على شرح الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني على متن الجوهرة لوالده أن أرواح ما عدا الثقلين : (الإنس والجن) من بقية الحيوانات غير الملائكة تفي ثم يعيدها الله عند الحشر على أحد الرأيين للقصاص حتى إن الله عز وجل يقتص من القرناء للحماء التي ليس بها قرننان ، وبعد القصاص تصير الحيوانات تراباً تحقيقاً للعدل الإلهي بين خلقه .

قال : وأما أرواح الملائكة فسمعت بعض طلبة العلم أنها تحت ساق العرش ، وأما أجسامهم فإنها تتلاشى بموتهم لأنها نورانية كالفتيلة إذا قل زيتها تلاشت فكذا لا تقبر : (أى توضع في قبر) .

أقول : إن ما قاله الشيخ السحيمي (بالسين والحاء المهملتين مصغراً) لم أطلع له على دليل يمكن الاستناد إليه . والعلم لله وحده .

القسم الثالث

ما ينفع لميت من الأعمال وما لا ينفعه

الأعمال التي تنفع الميت نوعان :

١ - نوع تسبب فيه الميت في حياته .

٢ - ونوع تسبب فيه غيره بعد مماته .

فالنوع الأول : وهو ما تسبب فيه الميت في حياته وينفعه بعد مماته -

تسعة أشياء ، كما ورد في الأحاديث النبوية ، والسنة المحمدية وهي :

أولاً : الصدقة الجارية : (أى التي يستمر نفعها ، وتتجدد الإفادة

منها حتى بعد وفاة صاحبها) كوقف العقار على الفقراء والمساكين لاستغلاله ،

والانتفاع به ، وكبناء المدارس ، والمعاهد لتعليم العلم ، ومحو الجهل ،

وتثقيف العقول وتهذيب الأخلاق ، وكبناء الملاجئ والمستشفيات لإقامة

العجزة بها ، ومداواة المرضى ومعالجتهم فيها كل ذلك بالحان وبدون أخذ أجر .

ثانياً : العلم النافع : ويكون بتأليف الكتب التي تنفع الناس في أمور

دينهم ودنياهم ، أو بإلقاء الدروس الصالحة ، والمحاضرات النافعة على التلاميذ ،

وهؤلاء من جانبهم يقومون بنشر علم أستاذهم بعد وفاته ، وما درسوه عليه

في حياته .

والمؤمن المخترع الذي قد ابتكر آلة خففت عن الناس بعض المتاعب ،

وسهلت لهم سبل العيش ، وأفادتهم في هذه الحياة لا شك أنه يثاب على ذلك

ما دام عمله خالصاً لوجه الله ، ويستمر ثوابه ويدوم ولو كان من أهل القبور .

ما دام مخترعه منتفعاً به .

ثالثاً : الولد الصالح : وهو المسلم الذي قد عرف حق ربه ، وحق والديه

عليه فيدعو لها بالمغفرة والرحمة ، أو يعمل لها عملاً صالحاً بأن يتصدق عنهما

أو يصلي أو يصوم أو يزكى أو يحج أو نحو ذلك ثم يهب ثواب ذلك لها لأنهما

اهتما بتربيته ، وتهذيب أخلاقه فهما صاحباً الفضل فيما صار إليه من صلاح
وحب للخير ، ومعرفة بحق ربه ووالديه عليه ، وقد ورد في الحديث النبوي :
(ولد الإنسان من سعيه) ولا شك أن الإنسان يثاب على سعيه كله .

رابعاً : بناء مسجد : تقام فيه الشعائر الدينية ، والدروس العلمية وتلاوة
القرآن وتحفيظه ، ويكون بناؤه خالصاً لله تعالى لا للرياء والسمعة . ولا للتباهي
والتفاخر .

خامساً : بناء بيت وما شابهه يأوى إليه الغريب ، والمجاهد في سبيل الله ،
ومن لا مأوى له ، ومن ذلك البنيان المعروف في زماننا (بالدوار أو الديوان ،
أو الساحة) الذي يشيده بعض القبائل في صعيد مصر لنزول الضيوف والغرباء
ومن على شاكلتهم به ، والعمل على راحتهم ، فهذا بلا شك من الأعمال
الخيرية التي يبقى ثوابها بعد موت صاحبها ، ما دام ذلك البنيان منتفعاً به ،
وما دام المقصود به وجه الله تعالى .

سادساً : حفر نهر ، أو شق قناة يجري فيها الماء فيشرب منه الدواب
والناس وتروى منه أراضيتهم وتسقى به زروعهم بدون أجر ومن غير عوض .
سابعاً : حفر بئر أو عين أو إقامة آلة رافعة للمياه من باطن الأرض ومن
جوفها للشرب وغيره بدون أجر .

ومن ذلك ما يعبده بعض أهل الخير من ملء حياض من الرخام أو غيره
بالماء النقي فيشرب منه المارة والمسافرون ، والغادون ، والرائحون .

ثامناً : غرس النخيل ونحوها حيث يجلس الناس تحتها فيستنشقون منها
هواء عليل ، ونسima طيباً ، ويتقنون بها حر الشمس اللافح والصيف القائلظ ،
وربما يأكلون مما يتساقط منها رطباً جنياً ، وثمرأ شهياً بدون ثمن . ومن غير
عوض .

تاسعاً : ترك الموروث لو ارثه مصحفاً للقراءة فيه ، والحفظ منه . ومن
ذلك وقف المصاحف ووضعها في أماكن العبادة كالمساجد ليقرأ فيها من
يشاء رغبة في تلاوة القرآن الكريم ، وحفظه في الصدور وغير ذلك . وينتفع
الميت بالثواب ما بقي المصحف منتفعاً به .

يشهد لذلك كلة ما رواه الإمام مسلم في صحيحه وأبو داود . والترمذي
والنسائي في سننهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

وقال المنذرى : وناسخ العلم النافع له أجره وأجر من قرأه أو كتبه ، أو أو عمل به ما بقى خطه . وناسخ ما فيه حرمة عليه وزره . ووزره من عمل به ما بقى خطه ، وقوله : أو ولد صالح أى مسلم يدعو له ، قال المناوى : وفى الحقيقة الإنسان ينتفع بالدعاء سواء أكان من ولده أم من غيره . ففائدة تخصيص الولد بالذكر تحريضه على دعائه لوالديه . نعم ينتفع الوالد بأعمال ولده الصالحة ولو لم يدع له ؛ لأنه هو السبب فى وجوده وصلاحه وإرشاده إلى الهدى . ففيه دليل على أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت .

وورد أن الإنسان ينعم فى الآخرة بنعيم عظيم فيقول :

من أين هذا النعيم ؟ فإنى لم أعمل فى الدنيا عملاً يوجب لى ذلك فيقال : هذا من دعاء ولدك الصالح لك .

وفى سنن ابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه ، ومسجداً بناه ، وبيتاً لابن السبيل بناه ، ونهراً أجره ، وصدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته يلحقه بعد موته) . وأخرجه أيضاً البزار ، وأبو نعيم فى الحلية من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سبع يجرى للعبد أجرها بعد موته وهو فى قبره ، من علم علماً ، أو أجرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته .

ونظم البقاعى (١) رحمه الله فى كتاب به (سر الروح) ما اجتمع فى الروایتين رواية أبى هريرة . ورواية أنس بن مالك من الحصل وهى تسع فقال : (من بحر الكامل) . :

(١) البقاعى (بكسر الباء) : هو برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى نسبة إلى بقاع كلب (موضع بالقرب من دمشق) ، صاحب كتاب (سر الروح) ، وهذا الكتاب مختصر من كتاب (الروح) لشيخه ابن القيم الجوزية ، وللبقاعى أيضاً كتاب يسمى (الأقوال القديمة فى حكم النقل من الكتب القديمة) ، وقد توفى رحمه الله سنة ٨٨٥ هـ .

للعبد يجرى الأجرُ بعد الموت في
 تسع كما قال الرسولُ المصطفى
 إجراءُ نهرٍ حفرٍ بشرٍ غرسٍ نخلٍ
 نشرٍ علمٍ ، والتصدق في الشفا
 وبناء بيت ابن السبيل ومسجد
 وبتركه ابناً صالحاً أو مصحفاً
 وقد أوصل الحافظ (١) السيوطي هذه الخصال إلى إحدى عشرة خصلة ،
 وقد نظمها رحمه الله (من بحر الوافر) فقال :
 إذا مات ابنُ آدمَ ليس يجرى
 عليه من فعالٍ غيرُ عشرٍ
 علومٌ بثَّها ودعاءٌ نجلٍ
 وغرسُ النخل والصدقاتُ تجرى
 وراثتهُ مُصحفٍ ورباطُ ثغرٍ
 وحفرُ البشرِ أو إجراءُ نهرٍ
 وبيتٌ للغريبِ بناءُ يَأوِي
 إليه أو بناءُ محلٍّ ذكرٍ
 وتعلِيمٌ لقسرٍ أن كريمٍ
 فخذها من أحاديثٍ بحضرٍ

(١) هو عبد الرحمن (جلال الدين) بن محمد بن سابق الدين بن عثمان السيوطي ، ولد بالقاهرة
 سنة ٨٤٩ هـ ، ومات أبوه وهو ابن ست سنوات فنشأ يتيماً ، وحفظ القرآن الكريم وسنه أقل

(و بعد) : فإنه لا تنافي بين حديث : (إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث) وبين الأحاديث الأخرى التي أثبتت أكثر من ثلاث خصال : إما لأن مفهوم العدد غير حجة كما هو معروف في أصول الفقه . وإما لأن الله أطلع الرسول أولاً على ما في الحديث الخصال الثلاث ثم أطلعه على الزائد عنها فأخبر به .

المذاهب في جعل ثواب العبادات للغير :

إعلم أن العبادات ثلاثة أنواع :

١ - عبادات بدنية محضة كالصلاة والصوم والاعتكاف وقراءة القرآن والذكر .

٢ - عبادات مالية محضة كالزكاة والصدقة .

٣ - عبادات مركبة من المال والبدن وهي الحج (فإنه مالى من حيث اشتراط القدرة على الزاد والراحلة ، وبدنى من حيث الوقوف والطواف والسعى ورمى الجمار) .

ثم اعلم أيضاً أن مذهب الحنفية ومذهب الحنابلة يجوزان للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره مطلقاً سواء أكان العمل عبادة بدنية أم مالية أم مركبة منهما . ذكر في كتب الحنفية (كالزيلعى والبحر والهداية وفتح القدير) أن كل من أتى بعبادة سواء أكانت صلاة أو صوماً أو صدقة أو قرآناً أو ذكراً أو طوافاً أو حجاً أو عمرة أو غير ذلك من أنواع البر له جعل ثوابها لغيره من الأحياء أو الأموات ويصل ثوابها إليه وأنه لا فرق بين من ينوى عند الفعل الغير أو يفعله لنفسه ثم بعد ذلك يجعل ثوابه لغيره . وذكر في كتاب المغنى لابن قدامة الحنبلى (١) ، أن أية قرينة فعلها الإنسان

• هــ من ثمان سنين ، ثم حفظ كثيراً من متون العلم ، وله مؤلفات قيمة منها : الإتيقان في علوم القرآن ، والمزهر في علوم اللغة ، والأشباه والنظائر ، وبنية الوعاة في تراجم النحاة ، وأسباب الأصول وغير ذلك . مات رحمه الله سنة ٩١١ هـ .

(١) هو الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ صاحب كتاب المغنى ، وهو العمدة في مذهب الحنابلة ، ومن أجل الكتب الفقهية قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى .

وجعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذلك بمشيئته تعالى . وقال بن القيم من علماء الحنابلة في كتاب الروح : (أفضل ما يهدي إلى الميت الصدقة والاستغفار والدعاء له والحج عنه . وأما قراءة القرآن وإهداؤها إليه تطوعاً بغير أجر فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج) .

أما مذهب الشافعية والمالكية فالمشهور عندهم أن العبادة البدنية المحضة كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن لا يصل ثوابها إلى الميت بخلاف غيرها من العبادة المالية المحضة مثل الزكاة والصدقة أو المركبة منهما مثل الحج فإنه يصل ثوابها إليه .

ولكن المتأخرين من أهل المذهبين اختاروا وصول الثواب إلى الميت في جميع العبادات ومنها قراءة القرآن . ونفعها إما بوصول ثوابها أو حصول بركتها . ثم اعلم أن المعتزلة ذهبوا إلى أنه ليس للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره مطلقاً سواء أكان العمل عبادة بدنية أم مالية أم مركبة منهما فذهبهم على عكس مذهب الحنفية ومن وافقهم من أهل السنة .

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في سورة النجم : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » ، وقالوا في الاستدلال بهذه الآية : أخبر الله عز وجل في الآية الكريمة : بأن الإنسان ليس له إلا سعيه وعمله وسعي غيره ليس سعيه وعمله . ويرد عليهم بما أجاب به الكمال (١) بن الهمام في كتابه فتح القدير (في باب الحج عن الغير) :

بأن الآية مقيدة بما لم يهبه العامل للغير . لأنه قد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين (أى أبيضين بهما شعر أسود) أحدهما عن نفسه . والآخر عن أمته .

لابن حزم وكتاب المغنى لابن قدامة في جودتهما ، وتحقيق ما فيهما ، ونقل عنه أنه قال : ولم تطب نفسى بالفتيا حتى صارت عندي نسخة من المغنى .

(١) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد كمال الدين الشهير بابن الهمام . ولد سنة ٧٨٨ هـ ، كان إماماً في الفقه والأصول ، وعلوم العربية بارعاً في الحديث والتفسير والمنطق والمناظرة ، وله مؤلفات قيمة منها : شرح الهداية المسمى بفتح القدير ، شرع فيه ولكنه لم يتمه بل كتب فيه إلى الوكالة ، وقد سلك فيه مسلك الإنصاف ، والسير مع الدليل غير متأثر بالتمصبات المذهبية ، وله في علم التوحيد كتاب (المسيرة) وفي الأصول كتاب (التحرير) ، وله مختصر في مسائل الصلاة اسمه (زاد الفقير) ، توفي سنة ٨٦٦ هـ .

وروى هذا الحديث عدة من الصحابة ، وانتشر مخرجه . فلا يبعد أن يكون القدر المشترك ، وهو أنه ضحى عن أمته مشهور يجوز تقييد الكتاب به أو ننظر إليه وإلى ما رواه الدارقطني : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان لي أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف لي ببرهما بعد موتهما ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : (إن من البر بعد الموت أن تصلى لهما مع صلاتك وتصوم لهما مع صيامك) .

وإلى ما رواه الدارقطني أيضاً عن الإمام علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من مر على المقابر ، وقرأ « قل هو الله أحد » (إحدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات) . وإلى ما روى عن أنس بن مالك : (أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله) إننا نتصدق عن موتانا ، ونحج عنهم وندعو لهم . فهل يصل ذلك إليهم ؟ قال : (نعم إنه ليصل إليهم ، وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدى إليه) .

وإلى قوله صلى الله عليه وسلم : (إقرءوا على موتاكم يس) .

(رواه أبو داود)

فهذه الآثار ونحوها من السنة يبلغ القدر المشترك فيها بين الكل وهو : (أن من جعل شيئاً من الصالحات لغيره وصل ثوابه إليه ، ونفعه الله به) مبلغ التواتر .

وكذا ما في كتاب الله تعالى : من الأمر بالدعاء للوالدين في قوله تعالى : « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » . ومن الإخبار باستغفار الملائكة للمؤمنين في قوله تعالى في سورة غافر :

« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن بق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم . »

وفي قوله تعالى في آية أخرى في سورة الشورى : « والملائكة يسبحون

بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم » .

قطعى فى حصول الانتفاع بعمل الغير . فيخالف ظاهر الآية التى استدل بها المعتزلة ثم قال الكمال بن الهمام : وقد ثبت فى ضمن إبطالنا لقول المعتزلة انتفاء قول الشافعى ومالك رحمهما الله فى العبادات البدنية بما فى الآثار . (انتهى بتصرف) .

واستدل المعتزلة لمذهبهم بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . صدقة جارية . أو علم ينتفع به . أو ولد صالح يدعو له) .

قالوا فى استدلالهم : إن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الميت إنما ينتفع بما كان تسبب فيه فى حياته ، وما لم يكن قد تسبب فيه فهو منقطع عنه . ويرد عليهم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقل : انقطع انتفاعه ، وإنما أخبر عن انقطاع عمله . وأما عمل غيره فهو لعامله فإن وهبه له فقد وصل إليه ثواب عمل الفاعل لا ثواب عمله . فالمنقطع شىء والوصل إليه شىء آخر .

والخلاصة مما تقدم أن المذاهب ثلاثة :

١ - مذهب قائل بوصول ثواب العمل من الغير إلى الميت مطلقاً سواء أكان العمل عبادة بدنية محضة (أى خالصة) أم مالية محضة . أم مركبة منهما وهو مذهب الحنفية والحنابلة ومن وافقهم من المتأخرين من علماء المالكية والشافعية .

٢ - ومذهب قائل بعدم الوصول مطلقاً وهو مذهب المعتزلة .

٣ - ومذهب فصل فى العبادة فقال :

إن كانت العبادة بدنية محضة فلا يصل ثوابها إلى الميت . وإن كانت مالية ومحضة . أو مركبة منهما وصل ثوابها إليه ، وهو مذهب المالكية والشافعية فى المشهور عندهم .

والمذهب الراجح والمختار هو الأول لرجحان أدلته وقوتها . وللعمل به من عهد سلفنا الصالح إلى وقتنا هذا .

إذا علمت أن المذهب الراجح والمختار هو مذهب الحنفية ومن وافقهم عرفت أن ما ينتفع به الميت مما تسبب فيه غيره هو .

أولاً - الدعاء والاستغفار للميت :

فقد ورد في السنة الصحيحة أحاديث كثيرة في دعائه عليه الصلاة والسلام للميت المسلم في صلاة الجنائز فقد كان يقول : (اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه . وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجته وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار) رواه مسلم من حديث عوف بن مالك إلى غير ذلك من الأدعية المختلفة المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام لكل ميت صلى عليه كما كان يأمر أصحابه بالدعاء ويقول لهم : (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء) . رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً . ويأمرهم أيضاً بالاستغفار للميت عقب دفنه ومواراته تحت التراب ، فقد روى أصحاب السنن عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال (استغفروا لأخبيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

كذلك ورد أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان إذا خرج إلى المقابر لزيارة الموتي دعا لهم وترحم عليهم . وكان يعلم أصحابه ما يدعون به إذا خرجوا لزيارتها .

فقد ورد في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . نسأل الله لنا ولكم العافية) .

وفي صحيح مسلم أيضاً أن السيدة عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم : كيف أقول إذا زرت القبور ؟ قال : (قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) .

وفي كتاب الروح لابن القيم ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم للأسموات فعلاً وتعليماً ودعاء الصحابة والتابعين والمسلمين عصرًا بعد عصر أكثر من

أن يذكر وأشهر من ينكر . وقد جاء أن الله يرفع درجة العبد الصالح في الجنة فيقول : يارب أنى لى هذا ؟ فيقول : بدعاء ولدك لك اه .

وفى شرح المنهاج لابن النحوى أن الدعاء متفق عليه أنه ينفع الميت والحي القريب والبعيد بوصية وغيرها وفيه أحاديث كثيرة بل كان أفضل الدعاء أن يدعو المؤمن لأخيه بظهر الغيب .

ثانياً - الصدقة عن الميت :

وتكون بالنقود والطعام واللباس وسقى الماء ووقف الأرض أو الدار وغير ذلك مما ينتفع به الفقراء وأصحاب الحاجة .

وتقع الصدقة عن الميت ويصل ثوابها إليه (سواء أكانت من ولد الميت أم من غيره) .

روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها : (أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أمى افتتلت نفسها (أى ماتت فجأة) ولم توصى وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال : نعم) . (رواه البخارى ومسلم)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : (أن سعد بن عبادة (١) توفيت أمه وهو غائب عنها ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أمى توفيت وأنا غائب عنها ، فهل ينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال : نعم . قال : فإنى أشهدك أن حائطى (أى بستانى وحديقتى) المخراف (بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الراء) صدقة عنها) .

(رواه البخارى والترمذى وأبو داود والنسائى . وفى السنن ومسنده الإمام أحمد)

(١) سعد بن عبادة سيد الخزرج كما كان سعد بن معاذ سيد الأوس (والأوس والخزرج ابنا عم ، وأخوان لأم ، أمهما هى قبيلة بفتح القاف وسكون الياء ، وهما من قبيلة الأزد هاجر من اليمن بعد تهم سد مأرب فسكنوا بيثرب ، وكونا بها أسرتين كبيرتين) ، شهد سعد بن عبادة مع الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ، وغزوة الخندق ، وأبلى فيها بلاء حسناً وحمل راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، كما قاد فرقة من جيش المسلمين فى يوم فتح مكة المبين . توفى سنة ١٤ هـ .

أما أمه فسمها حمرة بنت مسعود أنصارية خزرجية أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماتت سنة خمس من الهجرة .

عن سعد بن عبادة أيضاً أنه قال : يا رسول الله إن أم سعد ماتت . فأى الصدقة أفضل ؟ قال : المراء ، فحفر بئراً وقال : هذه لأم سعد .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : (أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن أبي مات وترك مالا ولم يوص ، فهل يكفى عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : نعم) .

(رواه الإمام مسلم)

(وبعد) : فإنه يؤخذ من هذه الأحاديث أن الصدقة من الولد سواء أكان ابناً أم بنتاً تنفع والديهما بعد موتهما ويصل ثوابها إليهما بدون وصية منهما . وحكى الإمام النووي في شرح الإجماع على أن الصدقة تقع عن الميت ويصل ثوابها من غير تقييد بكونها من الولد .

ثالثاً - الحج عن الميت :

روى البخارى في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجى عنها أرأيت لو كان على أملك دين أكنت قاضيته . اقضوا الله فالله أحق بالقضاء) .

وفى رواية للإمام أحمد والبخارى مثل ذلك ، وفيها جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أختى نذرت أن تحج (الحديث) .

وعن ابن عباس أيضاً قال : (جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع فقالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوى على الرحلة ، فهل يقضى عنه أن أحج عنه ؟ قال : نعم) . (رواه الجماعة)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال : من شبرمة ؟ قال : أخ لى أو قريب لى . قال : حججت عن نفسك ؟ قال : لا . قال : حج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة) . (رواه أبو داود وابن ماجه)

فى الأحاديث المتقدمة دليل على جواز الحج عن الميت من الولد ومن

غير الوارث لعدم استتفصاله (١) عليه الصلاة والسلام في الرواية الثانية ، وعدم الاستتفصال منه - في مقام الاحتمال ينزل منزلة العموم في المقال كما هو معروف في علم الأصول كما يؤخذ من حديث الخشعمية جواز الحج عن الغير إذا كان عاجزاً ، ويدل حديث شبرمة على أن الإنسان يؤدي الحج أولاً عن نفسه ثم عن غيره . ويدل أيضاً على جواز الحج عن الميت عن غير الولد .

رابعاً - الصلاة والصوم عن الميت :

روى الدارقطني (٢) : (أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان لي أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف لي ببرهما بعد موتهما ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن من البر بعد الموت أن تصلي لهما مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك) .

وأما حديث : (لا يصوم أحد عن أحد ولا يصلي أحد عن أحد) ، فعنه في حق الخروج عن العهدة لا في حق الثواب . هكذا قاله بعض العلماء . وروى عن ابن عباس (٣) أنه قال : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ فقالوا : لو كان على أملك دين أكنت قاضيه عنها ؟ قال : نعم . قال : فدين الله أحق أن يقضى) . (رواه مسلم)

وروى عن ابن عباس أيضاً أنه قال : (إن امرأة ركبت البحر فنذرت إن نجاها الله أن تصوم شهراً ، فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت فجأة . فجاءت

(١) الاستتفصال : هو طلب التفصيل .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي المشهور بالدارقطني (بفتح الراء) نسبة إلى دار القطن (محلة كبيرة ببغداد) . ولد سنة ٣٠٥ هـ وهو أمير المؤمنين في الحديث ، وصاحب السنن والعلل والأفراد وغير ذلك ، توفي سنة ٣٨٥ هـ .

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحبر هذه الأمة ، وترجمان القرآن ، والصحابي الجليل ، وأحد العبادلة المكثرين من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : (اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل) . ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ومات بالطائف سنة ٦٨ هجرية وهو ابن سبعين سنة .

ابنتها أو أختها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تصوم عنها .
(رواه أهل السنن والإمام أحمد)

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) وهو تقرير لقاعدة عامة فيمن مات وعليه صوم واجب بأى سبب من أسباب الوجوب .
وكذلك حديث ابن عباس الأول ، ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيه : (فدين الله أحق أن يقضى) .

وأما حديث ابن عباس الثانى ، فهو تنصيص على بعض أفراد العام وهو صوم النذر ، فلا يصح تخصيصاً ولا مقيداً لحديث السيدة عائشة رضى الله عنها .

فاستفيد من هذه الأحاديث الثلاثة أن الولي يصوم استحباباً عن مات وعليه صوم واجب سواء أكان نذراً أم غير نذر كما قاله جمهور الفقهاء وأصحاب الحديث . حتى قال البيهقى : هذه السنة ثابتة لا أعلم خلافاً بين أصحاب الحديث في صحتها .

وفي المسند للإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص : (أن العاص بن وائل نذر فى الجاهلية أن ينحر مائة بدنة (ناقة) وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين (أى بعيراً) وأن عمرو بن العاص (أخا هشام) سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : أما أبوك فلو أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك) .

فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عمراً بأن موت أبيه على الكفر منع من وصول الثواب إليه . وأنه لو أسلم لأجزأ الصوم والصدقة عنه ولحقه ثوابهما .

وصول ثواب قراءة القرآن للميت :

اعلم أن قراءة القرآن للميت تنفعه ، ويصل إليه ثوابها سواء أكانت عند القبر أم بعيدة عنه لأن الله هو المطلع على القارئ ، وعلى إتقانه للقراءة وإخلاصه فيها ، والبعد والقرب بين القارئ والميت ليس دخلاً له فى وصول الثواب وعدم وصوله وهذا هو مذهب الجمهور وهو الحق .

١ - يدل لذلك من السنة ما روى عن معقل بن يسار المزني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اقرأوا يس على موتاكم) .

(رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد)

ولفظه : (يس قلب القرآن لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له ، و اقرءوها على موتاكم) .

وأخرجه أيضاً النسائي وابن حبان وصححه ، وأعله ابن القطان بالاضطراب وبالوقف وبجهالة أبي عثمان وأبيه المذكورين في السند . قال الدارقطني : هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن ولا يصح في الباب حديث . قال محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمنى المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ في كتابه (نيل الأوطار) : واللفظ نص في الأموات ، وتناوله للهي المختصر مجاز فلا يصار إليه إلا لقريئة .

قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان قال : كانت المشيخة يقولون : إذا قرئت (يعني : يس) لميت خفف عنه بها ، وأسنده صاحب مسند الفردوس من طريق مروان بن سالم عن صفوان ابن عمرو عن شريح عن أبي الدرداء ، وأبي ذر قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هون الله عليه) .
٢ - وأخرج عبد العزيز صاحب الحلال من حديث أنس بن مالك : (من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنه يومئذ ، وكان له بعدد من دفن فيها حسنات) .

فالحديث الأول هو : (اقرءوا يس على موتاكم) يفيد استحباب قراءة يس على الموتي مطلقاً سواء أكانت عند القبر أم بعيدة عنه ، والحديث الثاني وهو : (من دخل المقابر . . . إلخ) يفيد استحباب قراءتها عند القبر ، ولا تنافي بين الحديثين فتقرأ يس عند القبر وغيره .

٣ - وأخرج أبو القاسم (سعد بن علي الزنجاني) في فوائده عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه : (من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وألهاكم التكاثر . ثم قال : إني جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى الله تعالى) .

ويروى أن عبد الله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة . وذكر التحلال عن الشعبي قال : كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرءون عنده القرآن ، وذكر عن جماعة من السلف أنهم أو صوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن وكان الإمام أحمد رحمه الله ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع عن ذلك لما أخبره محمد بن قدامة الجوهري بأثر ابن عمر .

وقال ابن القيم : قد نبه النبي صلى الله عليه وسلم بوصول ثواب الصوم الذي هو مجرد ترك ، ونية تقوم بالقلب لا يطلع عليه إلا الله ، وليس بعمل الجوارح على وصول ثواب القراءة التي هي عمل باللسان تسمعه الأذن ، وتراه العين بطريق الأولى .

على أنه ورد في ذلك أحاديث تصرح بوصول ثواب القراءة إلى الأموات وهي وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلاً . وقد عمل بها المسلمون خلفاً عن سلف ، فإنهم ما زالوا في كل عصر ومصر يجتمعون . ويقرأون لموتاهم من غير تكبر فكان ذلك إجماعاً عملياً من الأئمة التي لا تجتمع على ضلالة . اهـ .

وإذ قد عرفت أن قراءة القرآن تنفع الميت فلتعلم أن هذا مشروط بعدم أخذ الأجرة على القراءة ، لأن أخذها على القراءة يحبط ثوابها ، ولا يكون للقارئ من قراءته إلا هذه الأجرة التي لولاها ما قرأ ، وإذا فلا ثواب له هو ، فكيف يهدي للميت ثواب ما قرأ ؟ وقد قال علماء الحنفية : إن القارئ بالأجرة لا يستحق الثواب له ولا للميت ، والآخذ والمعطى آثمان ، والصورة الصحيحة لوصول ثواب القراءة للميت ، وانتفاعه بها أن يكون القارئ صديق الميت أو قريبه ، وتكون قراءته تعبداً وحسبة لله تعالى . لا في مقابلة نفع دنيوى ، ثم يهب ثوابها للميت ، فهذه هي التي يصل ثوابها ، ونفعها إليه .

سئل ابن حجر المكي عما لو قرأ إنسان الفاتحة لأهل المقبرة . فهل يقسم الثواب بينهم ، أو يصل لكل منهم ثواب ذلك كاملاً ؟ فأجاب : بأنه أفنى جمع بأنه يصل لكل منهم الثواب كاملاً ، وهو اللائق بسعة الفضل . وأما إهداء ثواب القراءة للرسول عليه الصلاة والسلام فقد ذكر

ابن حجر المتقدم ذكره في الفتاوى الفقهية أن الحافظ ابن تيمية منع إهداء ثواب القراءة للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال : لأن جنابه الرفيع لا يتجرأ عليه إلا بما أذن فيه وهو الصلاة وسؤال الوسيلة له .

ورد عليه تقي الدين السبكي وغيره : بأن مثل ذلك لا يحتاج لإذن خاص ، ألا ترى أن ابن عمر كان يعتمر عن النبي صلى الله عليه وسلم عمرأ بعد موته من غير وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسئل الحافظ ابن حجر العسقلاني : عمن قرأ شيئاً من القرآن ؟ وقال في دعائه :

(اللهم اجعل ثواب ما قرأته ، أو مثل ثواب ما قرأته زيادة في شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) .

فما معنى الزيادة مع كماله صلى الله عليه وسلم ؟
فأجاب بقوله : هذا مخترع من متأخري القراء لا أعرف لهم سلفاً فيه .
ولكن هو ليس بمحال كما تخيله السائل ، فقد ورد في رؤية الكعبة : (اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً) ، ففعل المخترع المذكور قاسه على ذلك ، وكأنه لحظ أن معنى طلب الزيادة أن تتقبل قراءته فيثيبه الله عليها ، وإذا أثيب أحد من الأمة على فعل طاعة من الطاعات كان للذي علمه نظير أجره ، وللمعلم الأول وهو الشارع صلى الله عليه وسلم جميع ذلك فهذا معنى الزيادة في شرفه عليه الصلاة والسلام ، وإن كان شرفه مستقراً حاصلاً .
(انتهى من الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) .

وصول ثواب الذكر إلى الميت ونفعه به

الذكر :

ما يجري على اللسان والقلب أو بأحدهما من تهليل الله وتسبيحه ، وتحميده وتكبيره وتقديسه وتنزيهه ، والثناء عليه بما هو أهله ، ووصفه بصفات الكمال ، ونعوت الجلال والجمال وقد أمر الله بالإكثار منه فقال : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً » .

وأخبر أنه يذكر من يذكره فقال : « فاذكروني أذكركم » .

والمقصود من الذكر تطهير النفس ، وإيقاظ الضمائر ، واطمئنان

القلوب وتثبيتها فتزاد إيماناً بربها ، و يقيناً ببارئها وصدق الله العظيم إذ يقول :
« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » . (سورة الرعد آية : ٢٨ ، ٢٩)
وأفضل الذكر ما كان بكلمة التوحيد .

روى عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أفضل الذكر « لا إله إلا الله ») .

(رواه النسائي وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد)
وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (أحب كلمة إلى الله « لا إله إلا الله » ، لا يقبل الله عملاً إلا بها ، وهي كلمة التقوى ، وكلمة الإخلاص وبرائة من الشرك . من قالها صادقاً أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذباً أحرزت ماله ، وحقنت دمه . ولقي الله فيحاسبه ، وهي ثمن الجنة لمن وفى بحقها ، وقام بواجباتها ، وهي توجب المغفرة ، وهي تجدد ما درس فيه الإيمان في القلب . وحرز من الشيطان ، وأمان من وحشة القبر وهول الحشر) ، كما في المسند للإمام أحمد وغيره .

فمن ذكر الله تعالى بأن قال مثلاً : « لا إله إلا الله » مائة مرة ثم وهب ثواب ذلك للميت فإنه يصل إليه ذلك الثواب إن شاء الله وينفعه على الصحيح قياساً على الصوم ، فإن ثواب الصوم وصل إلى الميت ونفعه - والصوم ترك وكف - فأولى بالوصول الذكر وهو فعل لأن الفعل أولى من الترك . وهذه المناسبة يجدر بنا أن نتكلم عما اعتاده بعض الناس من قراءة عدد مخصوص من : « قل هو الله أحد » مائة ألف مرة أو : « لا إله إلا الله » سبعين ألف مرة ، ويجعلونه فداء لأنفسهم أو أقاربهم أو أصحابهم من النار ويسمون النوع الأول العتاقة الكبرى ، والنوع الثاني العتاقة الصغرى . وعلى هذا فالعتاقة الكبرى : هي ما يقرأ فيها : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » مائة ألف مرة ، واستدلوا للعتاقة الكبرى بما رواه البزار (١) :

(١) البزار : هو الإمام الحسن بن الصباح البزار ، سمع سفيان بن عيينة ، وأباً معاوية وطبقتهما ، وكان الإمام أحمد بن حنبل يحمله ويرفع قدره . قال أبو حاتم الرازي : البزار صدوق ، توفي ببغداد سنة تسع وأربعين ومائتين هجرية .

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من قرأ : « قل هو الله أحد » مائة ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله عز وجل ونادى مناد من قبل الله تعالى في سمواته وفي أرضه ألا إن فلاناً عتيق الله فمن له قبله فليأخذه من الله عز وجل) ولكن هذا الحديث لم يعثر عليه في مسند أنس عن البزار .

ونحديث حذيفة بن اليمان : (من قرأ : « قل هو الله أحد » ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله) .

(رواه البخاري) بالخاء المعجمة المكسورة (في فوائده . وذكره السيوطي في الجامع الصغير . ولم يرمز إليه بتصحيح ولا تضعيف) .
واستدلوا للعتاقة الصغرى (وهي ما يقال فيها : « لا إله إلا الله » سبعين ألف مرة) بما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قال : « لا إله إلا الله » سبعين ألفاً فقد اشترى نفسه من الله) .

قال الحافظ ابن حجر (١) : هذا الحديث ليس بصحيح ولا حسن ، ولا ضعيف بل هو باطل موضوع ولا تحمل روايته إلا مقروناً ببيان حاله .

حكم العناقين :

أن من فعلهما اعتماداً على هذه الأحاديث الواردة في هذا العدد المخصوص واعتقد ثبوت الجزاء المذكور فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الشراء والعتق من النار ، وغفران جميع الذنوب كان هذا الفعل غير جائز لبنائه على إثبات ما ليس بثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام . فقد رد الحفاظ المحدثون أحاديث العناقين ولم يقبلوها . أما فعلهما بقصد الثواب والبركة من قراءة القرآن والذكر من غير حصر بالعدد المتقدم . ثم إهداء ثواب القراءة أو التهليل للميت من غير أجر فإنه ينفعه إن شاء الله .

(١) هو أحمد بن علي بن محمد الكنانى المقلان الأصل المعروف بابن حجر المصرى الشافعى أمير المؤمنين فى الحديث ، وشيخ الإسلام . ولد بمصر سنة ٧٧٣ هـ ونشأ بها نشأة صالحة ، حفظ القرآن عن ظهر قلب حفظاً جيداً ، وجوده تجويداً متقناً ، وحفظ البخارى ومختصر ابن الحاجب ، وكان نادر الذكاء ، وكانت ذاكرته قوية وسريعة فى الحفظ وخطب بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وبالجامع الأزهر وغيرهما ، ووعظ الناس فى المحافل والمجتمعات ، وله مؤلفات كثيرة وقيمة منها : فتح البارى ، ومقدمته والإصابة فى تمييز الصحابة ، وتخريج الكشاف ، وبلوغ المرام شرح سبل السلام فى الحديث . توفى رحمه الله سنة ٨٥٢ هـ .

زيارة القبور

تندب زيارة القبور للرجال في أى يوم من الأيام للعتة والاعتبار بجلال الموت ، وأهوال القيامة فيرق القلب ، وتدمع العين ، وتتدارك النفس ما فات ، وتزهد في الدنيا ، وترغب في الآخرة ، فضلاً عن أن الموتى ينتفعون بالدعاء والاستغفار لهم والسلام والترحم عليهم من الزائرين ، والالتئاس بهم وسؤال العافية لهم لقوله عليه الصلاة والسلام : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة) .

(رواه الإمام مسلم والترمذى)

وفي رواية : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لى ألا فزوروها فإنها ترق القلب . وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً) .
(رواه الحاكم وابن النجار)

وفي سنن ابن ماجه عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة . وكان عليه الصلاة والسلام يزور قبور أهل البقيع بالمدينة مراراً ، ويسلم عليهم ، ويدعو لهم ، ويزور قبور الشهداء بأحد كل حول مرة . فإذا وصل إليها قال : السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) .

وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى في الشعب عن محمد بن واسع (١) قال : بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده ، وحدث صفيان الثورى (٢) فقال : بلغنى عن الضحاك أنه قال : (من زار قبراً يوم

(١) هو محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري التابعى الزاهد ، روى عن أنس بن مالك وغيره . توفى سنة ١٢٧ هـ .

(٢) هو أبو عبد الله صفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى ، وقيل له : الثورى نسبة إلى ثور بن عبد مناة أحد أجداده وهو من تابعى التابعين . ولد سنة ٩٧ هـ ، وروى عن أعلام التابعين ، ومن أقرانه : الإمام مالك ، والأوزاعى ، وشعبة ، وصفيان الثورى أمير المؤمنين فى الحديث ، وكان لا يسمع شيئاً إلا حفظه وهو من أرباب المذاهب المقلدة ، كان له أتباع يفتون بمذهبه مثل الأشجعى والمعاوى بن عمران وغيرهما . توفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ .

السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته ، فقبل له : وكيف ذلك ؟ قال : لمكان يوم الجمعة .

وقال ابن القيم : الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور ، وسمع سلامه ، وأنس به ورد عليه ، وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وأنه لا توقيت في ذلك . قال : وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت ، وبذلك تعلم أن الزيارة لا تخص بوقت دون وقت ، ولا بيوم دون يوم .

وسبب النهي عن زيارة القبور في صدر الإسلام ، هو أن المسلمين كانوا حديثي عهد بالكفر ، ثم لما انمحت آثار الجاهلية واستحكم الإسلام وصار المسلمون أهل يقين وتقوى أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم في زيارتها . وأول من زار القبور في الإسلام هو رسولنا صلى الله عليه وسلم ، وقدوتنا الذي نفتدى به ، ونقتنى آثاره فأول زيارة له على ما أعلم للقبور هي زيارة قبر أمه عليه الصلاة والسلام .

وكما تندب زيارتها للرجال تندب أيضاً للنساء للمعاني السابقة بشرط أمن الفتنة منهن ، وعدم اشتغال الزيارة على محرم من ندب ونيابة ، وخلاعة ومجون لأن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كيف يا رسول الله إذا زرت القبور ؟ قال : (قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لا حقون) ، وكانت رضي الله عنها تزور قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بمكة ، كما كانت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها تزور قبر عم أبيها سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه سيد الشهداء كل جمعة بأحد بالمدينة المنورة .

أما إذا كانت زيارتهن لا يؤمن منها الفتنة ، أو اشتملت على محرم فحينئذ تحرم وتمنع منها المرأة منعاً باتاً كما يفعله نساء القاهرة في زماننا حيث يخرجن إلى المقابر بخلاعة وسفور ، وبهيئة فاضحة يندى منها جبين الحياء ، وتنتحب لها الفضيلة . وهناك في المقابر يختلط الشبان بالفتيات وينظرون إليهن نظرات أثيمة ويشيرون إليهن بإشارات شيطانية ، هناك يختلط الحابل (١) بالنابل ،

(١) الحابل : صاحب الحيلة (بكسر الحاء) التي يصاد بها الوحش ، والنابل : صاحب -

هناك يأكلن ويشربن ، ويقمن ويقعدن وينمن على المقابر ويمكنن فيها أياماً في مواسم خاصة معروفة عند أهل مصر ، وهل من العظة والاعتبار أن نجعل القبور بدل الدور والقصور . وننقل إليها المأكل والمشرب ، ونقيم بها اليوم واليومين والثلاثة ، أو نحيلها مسرحاً من مسارح الشهوات ، وأمكنة للفسوق والدعارات ؟

وإذا كانت زيارة القبور بهذه المثابة فتركها مطلوب محتم ؛ لأن ضررها أشد وأعظم . وفيها إغصاب رب العالمين ، وإزعاج من أودعناهم القبور ، ودفنهم تحت الثرى والصخور .

وعلى هؤلاء الزائرات تنزل اللعنات من الله والملائكة ، وتحفهن الشياطين من كل جانب وعلى تلك الزيارة يحمل الحديث النبوي الشريف : (لعن الله زوارات القبور) ، (بفتح الزاى وتشديد الواو جمع زواة بمعنى زائرة) . قال القرطبي : اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة كما تقتضيه الصيغة من المبالغة ، ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج ، وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك . وقد يقال : إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن ؛ لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء . قال الشوكاني في نيل الأوطار : وهذا الكلام ينبغي اعتياده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر .

فإذا علمت أن زيارة القبور في ذاتها مشروعة ومندوبة فسلم على الأموات عند وصولك إلى قبورهم ؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يسلم عليهم فيقول : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع أسأل الله لي ولكم العافية » أى السلامة من سخط الله ومكروهات الآخرة ») ، وغير ذلك مما ورد في السنة النبوية . ثم قف بأدب واحترام ، واستقبل بوجهك قبر الميت الذى تريد زيارته ، واقرب منه كقربك منه حياً احتراماً له ، وادع له بالمغفرة والرحمة ، وتذكر

النبل (بفتح النون) الصائد بها وذلك أن يجتمع الصائدون فيختلط أصحاب النبال بأصحاب الحبال (أى الشباك) ، فلا يصاد شيء ، وإنما يصاد فى الانفراد وقولنا : اختلط الحابل بالنابل مثل يضرب فى اختلاط الأمر على القوم حتى لا يعرفوا وجهه .

هادم اللذات ، ومفرق الجماعات . وأنتك ميت كمن في القبور وتفكر فيما
تصير إليه من ضيق اللحد ، وصولة الدود ، وأنت لا تدري ما تثول إليه
من شدة الحساب ، وصعوبة الجواب ، ليدخل قلبك الروع والحشية .
والعظة والاعتبار .

كان الربيع بن خيثم إذا وجد غفلة خرج إلى القبور وبكى ، وقال :
كننا وكنتم ، ويحيى الليل كله فيصبح كأنه من قبره (أى بعث من قبره) .
وإياك والجلوس على المقابر ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق
ثيابه ، وتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر .

(رواه الإمام مسلم وأبو داود . النسائي وابن ماجه)
وكذا الاستناد إليها ، فعن عمرو بن حزم قال : رأى النبي صلى الله
عليه وسلم متكئاً على قبر فقال : (لا تؤذ صاحب هذا القبر) .

(رواه الإمام أحمد)
وأحذر من التبول والتغوط عندها ، وكثرة الضوضاء واللفظ ، ومن
كل ما يخالف الدين ، ويحول بين القلوب والحشية ، وبين الموتى والرحمة ،
ثم اقرأ ما تيسر من القرآن بعد أن تجلس بجوار القبر لتأدية القرآن على الوجه
المطلوب بالسكينة والتدبر والاتعاظ ، ثم قل بعد القراءة : اللهم أوصل ثواب
ما قرأته إلى فلان ، أو إلى أهل المقابر . والأفضل أن يكون المقروء هو :
« قل هو الله أحد » لقوله عليه الصلاة والسلام : (من مر على المقابر فقرأ :
« قل هو الله أحد » إحدى عشرة مرة ، ثم وهب أجرها للأموات أعطى
من الأجر بعدد الأموات) - (رواه الدارقطني) . أو سورة يس لحديث :
(من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ ، وكان له بعدد
من فيها حسنات) .

والحديثان ضعيفان ، ولكن يعمل بهما في فضائل الأعمال .
واقصد أيها الأخ المسلم بزيارتك وجه الله تعالى ، وإصلاح القلب ،
ونفع الميت بما يتلى عنده من القرآن والدعاء له ، واحذر من الطواف بالقبور
والأضرحة ومن التمسح بها أو تقييلها ؛ فإن ذلك خاص بالكعبة المشرفة ،
واحذر أيضاً من إلقاء الشكاوى في الأضرحة ، وشرح القضايا ، وطلب

الفصل من أصحابها ، فإن هذا عمل غير مشروع يأباه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب الأضرحة أنفسهم : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

حكاية وعظية تناسب المقام :

قال مالك بن دينار (١) : أتيت المقابر يوماً لأنظر في الموتى واعتبر .
وأتفكر فيها وأتعظ ، فجعلت أجول بين المقابر وأنشد :

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمفتخر
وأين المدلُّ بسلطانه وأين العزيز إذا ما قدر
وأين الملبى إذا ما دعا وأين المزكى إذا ما حضر

قال مالك : فنظرت فإذا بهلول بن عمر المحنون قاعد بين القبور وهو ينظر إلى السماء فيبتهل (أى يدعو ويتضرع إلى الله) وإلى الأرض فيعتبر (أى يتعظ) وعن يمينه فيضحك ، وعن يساره فيبكي ، فقلت له : السلام عليك يا بهلول . فقال : وعليك السلام يا مالك بن دينار . فقلت له : أراك قاعداً بين القبور ، فقال : قعدت عند قوم لا يؤذونى ، وإن غبت عنهم لا يغتابونى ، فقلت له : أراك تنظر إلى السماء فتبتهل . وإلى الأرض فتعتبر ، وعن يمينك فتضحك ، وعن يسارك فتبكي ، فقال لى : يا مالك إذا نظرت إلى السماء تذكرت قوله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » فحق لمن سمع هذه الآية أن يبتهل ، وإذا نظرت إلى الأرض تذكرت قوله تعالى : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » . فحق لمن سمع هذه الآية أن يعتبر ، وإذا نظرت عن اليمين تذكرت قوله تعالى : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش

(١) مالك بن دينار : إمام تابعى جليل . ولد بالبصرة ومات بها سنة ١٣١ هـ ، روى عن كثير من الصحابة مثل أنس بن مالك ، وجلس فى مجلس الحسن البصرى ، وابن سيرين ، وسالم بن عبد الله وغيرهم ، وكان رحمه الله زاهداً عزوفاً عن النساء ينطق بالحكمة التى تدور حول الزهد فى الدنيا ، والدعوة إلى العمل الصالح .

مرفوعة . إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً . لأصحاب اليمين .
ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » . فحق لمن سمع هذه الآيات أن يضحك ،
وإذا نظرت إلى الشمال تذكرت قوله تعالى : « وأصحاب الشمال ما أصحاب
الشمال . في سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم » . فحق
لمن سمع هذه الآيات أن يبكي .

موعظة أخرى :

مر الإسكندر المقدوني (١) بمدينة قد ملكها غيره من الملوك فقال لحاشيته :
انظروا هل بقي أحد من نسل ملوكها ؟ فقالوا : رجل يسكن المقابر . فأحضر
فسأله الإسكندر عن إقامته بين المقابر فقال : أردت أن أميز عظام الملوك من
عظام عبيدهم فوجدتها سواء ، فقال له الإسكندر : هل تتبعني فأحيي شرفك
إن كانت لك همة ؟ فقال : همتي عظيمة إن أثلثتها فقال : ما هي ؟ قال :
حياة لا موت معها ، وشباب لا هرم بعده ، وغنى لا فقر معه ، وسرور
لا مكروه فيه ، قال الإسكندر : ليس عندي هذا ، فقال دعني ألتبس من هو
عنده .

في صمت القبور عظات :

تحت هذا العنوان كتب أحد الكتاب ما يأتي :
ليت المترفين يتيقظون في غفوتهم ، وينسلخون من أحضان أحلامهم
ساعة من الزمن يعيشونها فوق المقابر ، وما أرق النفس حين تقف بين المقابر
تطل على حاضرها ، وتبكي على المظلم من صفحات غابرها ، وترسل بين
الأجداث المبعثرة أناتها ، وتنسلخ لحظة من نزعاتها .
فوق المقابر نتساءل عن رفات صديق كان كالزنبقة (٢) ، فطوح به

(١) هو الإسكندر الأكبر بن فيليب . ولد سنة ٣٥٦ ق م ، ثم تتلمذ للعالم الإغريقي الشهير
أرسطو (المعلم الأول) فثقفه وعلمه ، ولقنه آداب الإغريق وأشعارهم ، وتولى عرش مقدونيا
وعمره عشرون سنة ، وفي سنة ٣٣٢ ق م فتح مصر ، وأسس مدينة الإسكندرية في السنة نفسها ،
وسميت باسمه ، وبخلدت ذكرا ، ومات سنة ٣٢٣ ق م بعد أن أسس امبراطورية عظيمة .
(٢) الزنبقة : واحدة الزنبق (بفتح الزاي وسكون النون وفتح الباء) نبات له زهر
جميل طيب الرائحة .

الردى (١) فى وادى النسيان . قضى وخلف وجوهاً علاها الوجوم (٢) .
ونفوساً طوقها الهموم ، وهياكل تدرج فى هذه الحياة ، وعن قريب أو بعيد
ستكون نهب المنون ، يطويها السكون .

فوق المقابر الجاثمة كأنها عجائز غاصت فى الرمال أقدامها ، أو أبامى
تعثرت فى معترك (٣) الحياة أحلامها ، تشور الذكريات ، وتتساقط العبرات ،
ما أعظم خشوع النفس حين تجثو بين المقابر ، تفكر فى ظلماتها ، وتصفى
إلى الصدى (٤) يتهدج فى جنباتها (٥) ، يذيع على الدنيا العبر ، ويرجع فى لوحة
تاريخ من غبر ، بين المقابر أصداء تهتف ، ورياح تصفر وتعزف ، بين
المقابر تذكر النفس بدنيا المال ، وبالحياة التى ثملت من مراشف (٦) الآمال .
ليتك يا نسل الطين ذكرت أنك خلقت من ماء مهين ، فطرح الأثفة
والخيلاء فالعزة لله رب الأرض والسماء .

ليتك أبها المتأله (٧) الساخر ، ذكرت سكان المقابر ، وأنتك إلى ما صاروا
إليه صائر ، إلى الوحشة ومرارة الندم ، وفحيح الأفاعى (٨) بين موج الظلم :
« يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى » إنها الحياة كلها غرور وأحلام ،
وسراب تراقص فى طريقه الأوهام ، فهل اتعظ الإنسان قبل أن تدك الأرض
وتزلزل الجبال ، وتجلجل صيحة الحق : « ذلك يوم الخروج » .

زيارة لقبر النبوى

إعلم أن زيارة قبره عليه الصلاة والسلام من أفضل المندوبات ، وأعظم
القربات ، وأشرف الغايات ، وكيف لا تكون كذلك ؟ وقد ضم هذا القبر

-
- (١) طوح : ذهب ، والردى : الهلاك أى ذهب به الهلاك هنا وهما .
(٢) الوجوم : الحزن الشديد .
(٣) تعثرت : سقطت ، ومعترك الحياة : ميدانها ، وأصل المعترك موضع الحرب .
(٤) الصدى : الصوت الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها .
(٥) يتهدج : يتقطع الصوت فى ارتعاش ، وجنباتها : نواحيها .
(٦) ثملت (بفتح الثاء وكسر الميم) : سكرت ، ومراشف : جمع مرشف ومعناه الرشف وهو أخذ الماء بالشفيتين .
(٧) المتأله : المتكلف الألوهية .
(٨) فحيح الأفاعى : أصواتها .

جسده الشريف ، وحوى بدنه الطاهر ، وهو خير بقاع الأرض وأفضلها .
وقى ذلك يقول الشاعر (من بحر الكامل) :

جزم الجميع بأن خير الأرض

ما قد حاط ذات المصطفى وحوها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت

كالنفس حين زكت زكى مأواها

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على زيارة قبره الشريف . وبالغ
في التذلل إليها بمثل قوله عليه الصلاة والسلام : (من زار قبري وجبت له
شفاعتي (١)) (رواه الدارقطني والبخاري)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (من زارني بعد موتى فكأنما زارني
في حياتي (٢)) (أخرجه الدارقطني)

وقوله عليه الصلاة والسلام : (من جاءني زائراً لا تهمه إلا زيارتي كان
حنفاً على الله أن أكون له شافعاً) .

(رواه الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن)

فإذا صحت عزيمتك أيها المسلم على زيارة المسجد النبوي ، وزيارة قبره
عليه الصلاة والسلام فاغتسل أو توضأ والغسل أفضل ، والبس نظيف ثيابك ،
والجديد أولى وأفضل ، ثم اذهب إلى المسجد متواضعاً وخاشعاً أو متخشعاً
معظماً الحرم المدينة التي اختارها الله دار هجرة رسوله صلى الله عليه وسلم ،
ومهبط الوحي والقرآن ومنبعاً للإسلام والأحكام ، وأكثر من الصلاة والسلام
على خير الأنام ، فإذا دخلت المسجد فاقصد الروضة الشريفة ، وصل فيها

(١) روى عن ابن عمر ، وفي إسناده موسى بن هلال العبدى . قال أبو حاتم : موسى
ابن هلال مجهول (أى العدالة) ، وقد صحح هذا الحديث ابن السكن ، وعبد الحق ، وتقى
الدين السبكي .

(٢) أخرجه الدارقطني عن رجل من آل حاطب عن حاطب وفي إسناده الرجل المجهول ،
ومن ابن عباس عند العقيلي مثله وفي إسناده قسالة بن سعد المازني وهو ضعيف ورواه أبو يعلى
في مسنده ، وابن عدى في كتابه . وفي إسناده حفص بن أبي داود وهو ضعيف الحديث .

رگعتين تحية للمسجد ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن زيد المازني الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) (١) ، وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي) ثم اذهب إلى القبر الشريف وقل بأدب وتواضع : (السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا خير خلق الله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، يا رسول الله : إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنت عبده ورسوله ، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وكشفت الغمة ، جازاك الله عنا أفضل ما جازي نبياً عن أمته . اللهم أعط سيدنا محمداً عبدك ورسولك الوسيلة (٢) والفضيلة . وابعثه المقام المحمود الذي وعدته) .

وهنا في هذا المقام بعد أن تجعل وجهك للقبلة أن تسأل الله حاجتك ، وحسن الخاتمة ، والرضوان والمغفرة ، وإياك أن تقبل الجدار والنحاس ، وإياك أن تطوف بالقبر الشريف ؛ فإن الطواف خاص بالكعبة . ثم انتقل خطوة إلى يمينك للسلام على سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقل : (السلام عليك يا أبا بكر يا خليفة رسول الله ، وثانيه في الغار ، جزاك الله عن أمة رسول الله خيراً) ، ثم تقدم خطوة إلى يمينك أيضاً للسلام على سيدنا عمر رضي الله عنه وقل : (السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي أعز الله بك الإسلام ، جزاك الله عن أمة محمد خيراً) ، ومن طال عليه هذا اقتصر على بعضه وأقله : (السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك

(١) قال الطبري : في المراد بيتي قولان :

أحدهما : القبر كما روى مفسراً بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة .
والثاني : المراد ببيتى سكناه على ظاهره .

(٢) الوسيلة : المنزلة العالية في الجنة التي لا تنبئ إلا له عليه الصلاة والسلام ، والفضيلة : المرتبة الزائدة على المخلوقين ، والمقام المحمود : هو مقام الشفاعة العظمى التي لا تكون إلا له صلى الله عليه وسلم .

وفائدة هذا الدعاء مع تحقيق مدلوله - له عليه الصلاة والسلام الامتثال ، أو ترتب الثواب الموعود لقائله ، وهو ثبوت شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم لقائله شفاعته مخصوصة كدخول الجنة مع السابقين ، وكرفع الدرجات وزيادة العطايا .

يا أبا بكر ، السلام عليك يا عمر) فقد روى نافع أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ثم أتى القبر ، وقال : (السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه) .

وإذا فرغت من الزيارة فأت الروضة الشريفة ، وأكثر فيها من الصلاة والدعاء . ثم اخرج من المسجد النبوي برجلك اليسرى .

ما قاله بعض الزائرين لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم :
في الجوهر المنظم للعلامة ابن حجر أن أعرابياً وقف على القبر النبوي الشريف وقال : (اللهم إن هذا حبيبك وأنا عبدك ، والشيطان عدوك . فإن غفرت لي سر حبيبك ، وفاز عبدك ، وغضب عدوك ، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك . ورضى عدوك ، وهلك عبدك ، وأنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك . اللهم إن العرب إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره . وأن هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره يا أرحم الراحمين) ، فقال له بعض الحاضرين : يا أخا العرب ، إن الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال .

وقدم أعرابي المدينة فدخل المسجد النبوي ثم وقف عند قبره عليه السلام فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً» (١) . وجئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي . ثم أنشد يقول : (من بحر البسيط) :

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهن القاع والأكم (٢)

نفسى فداءً لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(١) سورة النساء آية : ٦٤ .

(٢) القاع : الأرض السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال ، والأكم وهي قطعة من الأرض أو الرمل أرفع قليلاً مما حولها .

أنت الشفيعُ الذي تَرجى شفاعته

على الصراطِ إذا ما زلَّتِ القدم^(١)

وصاحبك فلا أنساها أبداً

منى السلامُ عليكم ما جرى القلمُ

زيارة جبانة البقيع :

إعلم أن جبانة البقيع أنشئت بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام
بثلاثين شهراً .

فقد روى أن سيدنا عثمان بن مظعون أول من دفن فيها وكان قد مضى
على الهجرة سنتان وستة أشهر . ويقال للبقيع . بقيع الغرقد (بفتح الغين
وسكون الراء وفتح القاف) لأنه كان ينبت به الغرقد (وهو شجر عظام
من العضاة . أو هو العوسج إذا عظم واحده غرقدة) ثم قطع هذا الشجر .
ودفن فيه الرسول الموقى من المسلمين ، ولا يزال إلى الآن يدفن فيه الموقى
من سكان المدينة .

فالبقيع : مقبرة المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم . وهي
تقع شرقي المسجد النبوي على بعد خمس دقائق تقريباً .
والبقيع : مكان طيب ، وتربة مباركة فقد ضمت كثيراً من الأجساد
الطاهرة . والأنفس الزكية .

روى أنه دفن به نحو عشرة آلاف من الصحابة . كما دفن به كثير
من التابعين ، وآل البيت ، والشهداء والصالحين . فمن الصحابة عثمان بن
مظعون . والعباس بن عبد المطلب وأخته صفية بنت عبد المطلب . وبنات
الرسول الأربع ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان . والحسن بن
الإمام علي . وكل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما عدا السيدة خديجة رضي
الله عنها فإنها دفنت بجبانة المعلى بمكة المكرمة . وكان موتها قبل الهجرة .
وما عدا السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية فإنها دفنت بموضع يقال له :

(١) زلت القدم : سقطت . والقدم مؤنثة وليست مذكرة .

سرف (بفتح السين وكسر الراء) . يبعد هذا الموضوع عن مكة بخمسة عشر كيلو مترا بوصية منها ، ومن آل البيت إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى زين العابدين ، وابنه محمد الباقر ، وجعفر الصادق بن محمد الباقر ومن دفن بالبقيع من آل البيت الأمير جمال الدين جمار الكبير بن عز الدين قاسم بن مهنا من ذرية سيدنا الحسين وجد الأشراف الذين يسكنون بمدينة قنا وضواحيها ، والمتوفى سنة ٦٠٠ هجرية .

ومن دفن بهذه الجبانة الفيحاء ، سيدنا نافع مولى ابن عمر وشيخ القراء وهو من التابعين . وكذلك الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة . وتلميذ نافع وهو من أتباع التابعين وغيرهم من أولياء الله الصالحين . وعباده المتقين . (وبعد) : فأى بقعة من بقاع الأرض ضمت من الصحابة والتابعين . وأتباع التابعين . وآل البيت الطاهرين . وعباد الله المخلصين مثل ما ضمته جبانة البقيع ، وأى مكان أولى بالزيارة من البقيع . بعد زيارة القبر الشريف والمكان الذى ضم جسد أفضل مخلوق ، وأكرم رسول عرفته البشرية .

إذا علمت أيها المسلم ذلك فأكثر وأنت بالمدينة من زيارة البقيع ، واذهب إليه عقب زيارتك للقبر النبوى بعد السلام على رسول الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم . وهناك قل : كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند زيارته للبقيع : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين . سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار . أنتم السابقون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل البقيع اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم) .

ثم اذهب فى يوم الخميس من كل أسبوع إلى أحد ، فإذا وصلت إليه فزر قبور الشهداء هناك . وابدأ بقبر سيد الشهداء سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الملقب بأسد الله وقل « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . (سلام عليكم دار قوم مؤمنين . أنتم السابقون ، وإنا إن شاء الله لاحقون) واقرأ آية الكرسي وسورة يس ، وسورة الإخلاص ثم هب ثواب ما قرأت للشهداء ، وتذكر ما لاقاه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى موقعة أحد .

وضع الجريد الأخضر ونحوه على القبر :

الأصل فى ذلك ما ورد فى السنة كما فى البخارى أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم مر بحائط (أى بستان) من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (يعذبان وما يعذبان في كبير . ثم قال : بلى كان أحدهما لا يستنزه من بوله . وكان الآخر يمشى بالنميمة ، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين . فوضع على كل قبر منهما كسرة . فقيل له : يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا .

ولإزاء ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم من وضع الجريدة على القبرين بعد كسرها كسرتين اختلف العلماء .

فهم من قال : إن ما فعله صلى الله عليه وسلم كان خصوصية له . لأنه عليه الصلاة والسلام غرز الكسرتين من الجريدة بأمر مغيب عنا وهو تعذيبهما أن الحديث محمول على أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهما بالتخفيف مدة بقاء الندوة في الكسرتين لا أن في الرطب معنى ليس في اليابس .

على أنه لم يؤثر عن جمهور الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم فعلوا أو أوصوا بذلك اللهم إلا بريدة بن الحصيب ، وعلى هذا القول لا يجوز لأحد أن يضع جريداً أو ورداً أو ريحاناً أو نحوها على القبور .

ومنهم من قال : إن ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام ليس خصوصية له بل هو عام له ولغيره من الأمة ، والدليل على ذلك أن بريدة بن الحصيب أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فهم عدم الخصوصية فاقتدى بالرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك ، وأوصى بأن يوضع على قبره بعد دفنه جريدتان . وأن الحكمة في ذلك أن الجريد يسبح الله تعالى ما دام رطباً فيحصل تخفيف العذاب ببركة التسبيح .

وعلى هذا فيطرد الحكم في كل ما فيه رطوبة من شجر أو زرع وكذا فيما فيه بركة كالتذكر وتلاوة القرآن من باب أولى .

ونحن إذا أنعمنا النظر في الرأيين وجدنا الرأي المجوز أرجح لأن بريدة وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوصى بأن يوضع على قبره جريدتان ولم ينكر عليه أحد . ولو كان هناك من أنكر عليه لوصل إلينا هـ ولا سيما وقد بقي هذا العمل إلى وقتنا هذا بدون نكير .

مالا ينفع الميت من الأعمال

فما لا ينفع الميت من الأعمال ما يأتيه أهله وأقاربه من أشياء تخالف الدين الإسلامي ، وتتناهى مع سماحته وهي لا تفيد الميت ولا تنفعه . وإنما تضر الحي وتؤلمه . وتعرضه لسخط الله وبغضه . وعدم رضاه فمن ذلك :

١ - أن المحتضر الذي دنت روحه للخروج من جسده يجتمع حوله أهله وبعض جيرانه . وبدل أن يلقنوه الشهادتين . ويقرءوا عنده ما تيسر من القرآن الكريم ليسهل عليه خروج روحه يسمعون أصواتاً مزعجة . وصيحات منكرة فإذا أسلم روحه لبارئها ، وخرجت من جسدها زاد الصخب والضوضاء . وعلا النحيب والبكاء ، وصدرت كلمات من الأفواه كعادة أهل الجاهلية مثل قولهم : (واجملى ، ويا جبرى ، ويا كبدي ، ليس هذا يومك يا حبيبي) وشاهدت نساء قد تجتمعن في رحبة منزل الميت أو خارجه ثم قامت وسطهن نائحة نادية ويقال لها (معددة) تردد كلاماً ما أنزل الله به من سلطان . وتقول فحشاً وهجراً فتلهب في نفوسهن الحزن والأسى ، وتشير عواطفهن . فيلطمن خدودهن ويشققن ثيابهن ، ويضعن فوق رؤوسهن طيناً . وعلى وجوههن أصباغاً ، ويشددن في وسطهن حبلاً طويلاً . وفي كل هذه المعمة يصحن ويولولن بأصوات تزلزل القلوب . وتزعج النفوس ناسيات قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب . ودعا بدعوى الجاهلية) . وما فعله عمر مع النائحة التي ضربها حتى سقط خمارها وقد تقدم ذلك .

والداهية الكبرى . والمصيبة العظمى اجتماعهن في منزل الميت ثلاثة أيام أو سبعاً أو أكثر للندب والنياحة كعادة أهل الريف والقرى ، والواجب اتباع السنة عند وقوع المصيبة بالتزام الصبر ، وتجنب رفع الصوت ، والتسليم لقضاء الله وقدره ، قال عليه الصلاة والسلام : (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) . وأن نقول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها) أو (إن الله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شئ عنده بأجل مسمى) .

٢ - مغالاة أهل الميت في كفنه ، وفي ذلك إسراف ممقوت . وخروج على ما رسمته السنة من نظام الكفن . ولا ينفع الميت اللهم إلا القدر المسنون من الكفن والزائد على هذا يضر الحي . والحي أولى من الميت .

٣ - ومن البدع أيضاً سير الجنود والفرسان أمام الجنازة بخطا منظمة . وحركات مرتبة لإعلاء شأن الميت . وتضخيم أمره . والإشادة بذكره . أو سير جماعة أمام جنازة الشبان يلبسون زياً خاصاً . ويمشون مشياً معروفاً . وبأيديهم المباخر والأباريق . والبعض منهم بأيديهم موسيقا ترسل نغمات تثير لواعج الحزن . وتبعث في النفوس الأسى . وتترك في القلوب التحسر والتفجع . أو سير المنشدين أمام الجنازة وهم يرددون عبارات من البردة . ودلائل الخبرات . أو يهللون . أو يذكرون بأصوات مزعجة خارجة عن حد اللياقة لاتليق بمقام الموت وما ينبغي له من العظة والاعتبار ، إذا سألتهم عن ذلك قالوا : نفعل ذلك للفرق بين جنازة المسلم والكافر . هؤلاء قد قلبوا الأوضاع وخالفوا السنة .

٤ - ومن البدع المذمومة ما يفعله الجهلة من ضرب الكأس . ورفع الأعلام السوداء أمام الجنازة بصورة مزرية ، وأصوات مزعجة . والدق بالطبل الكبير ، والتزمير بالزمار البلدي في جنازة نحو صغير مات قبل الختان جزعاً عليه وتحرقاً لموته قبل ختانه ، وما درى أهله أن فعلهم هذا حرام من وجهين الجزع ومزمار الشيطان . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فيجب على الحاضرين إنكار ذلك ومنعه .

٥ - ومن ذلك الإسراف في الحفلات التي تقام للميت في يوم وفاته وبعده إلى ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة وفي كل يوم من الوفاة وحفلة الأربعين والذكرى السنوية إلى غير ذلك .

وفي هذه الحفلات تنفق الأموال الطائلة ، وتبذل ذات اليمين . وذات الشمال بدون وعي ، ومن غير حساب . فمن سرادقات تنصب ، ومحاجيد تفرش ، وكراسي تصف مذهب وغير مذهب ، ومصابيح كهربائية داخل السرادقات وخارجها تضيء بأنوار ساطعة ، متلائية . فتحيل الظلام إلى ضياء ؛ والليل إلى نهار . إلى لفافات التبغ والطباق (السجاير) توزع على المعزين ، وكتاب الله يتلى عليهم ، والتنافس في إحضار كبار القراء بأجر باهظ يقرءون من القرآن الكريم ما يشاء لهم الهوى ، وينتقلون من أوائل السور إلى أواخرها ،

فيقطعون أوصال الآيات المنظومة في عقد واحد ، وفي موضوع واحد من التخطيط والمغالة في المد المتصل والمنفصل ، واللازم والعارض للسكون .
ويكررون الآية الواحدة بأوجه مختلفة ، وفي كل مرة بنظام خاص . فقد يرفع فيها القارئ الصوت ، وقد يخفضه ، وقد يتغنى في قراءته ، وقد يخرج عن حدود القراءة الشرعية ، والقرآن في كل هذا يلعبه قال رسول الله (رب قارئ للقرآن والقرآن يلعبه) .

والمعززون يطلقون أصواتهم بالاستحسان بصوت القارئ ولو كان في الآية وعيد شديد ، وعذاب أليم ، وذكر جهنم وبئس المصير ، فتشعر وأنت جالس في أحد السرايدات كأنك في حفل عرس وزفاف ، لا في حفل ميت ترك الديار وسكن المقابر ، وطرح الدنيا وزخارفها وراءه ظهرياً .
يبدل أهل الميت في هذه الحفلات المتعددة الأموال الكثيرة وهم في أشد الحاجة إليها ، وكثيراً ما يكون في الورثة صغار ويتأذى لهم في حاجة إلى الرعاية ، وحفظ الأموال لهم في مستقبل الزمان لإصلاح معيشتهم ، وشئون حياتهم ، والأخذ بأيديهم . وتربيتهم التربية الصحيحة فهم أولى بهذا المال ، وأحق بهذا التراث .

فلا يليق بأهل الميت أن يخسروا المال مع فقد عزيز لديهم فيكونوا من :
« الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

يفعل ذلك أهل الميت تفاخراً ، ورغبة في الشهرة ، وحباً في الرياء والسمعة ، أو دفعاً للامانة والمعرة ، أو استحياء من الناس ، أو البعد عن القيل والقال .
ومن العجيب أن الميت لا يناله من كل ذلك رحمة أو حسنة . ولا جزاء أو مثوبة ؛ وأن الحي لا يناله إلا المصرة والحبيبة ، والحسرة والندامة ، وليعلم أهل الميت أنهم لو قرءوا فاتحة الكتاب قراءة صحيحة شرعية . وأهدوا ثواب القراءة لميتهم لوصل ثواب ذلك إلى الميت ونفعه ؛ ولكان هذا أيضاً خيراً من تلك الحفلات التي يقرأ فيها القرآن بأجر ولا سيما إذا كانت القراءة غير شرعية وغير متقنة .

(وبعد) : فلنأني أنصح للقارئ في المآتم وغيرها ألا يخرجوا بقراءتهم عن الحدود الشرعية بالتخطيط الفاحش ، والتغنى الزائد ، وتقطيع أوصال

الآية أو الآيات ، وإخراج الحروف عن أوضاعها العربية حتى يقع النقص والزيادة ، ويختل نظم القرآن ، وتذهب روعته ، وعليهم أن يتجنبوا التكرار لغير ما سبب مقبول فقد أصبح التكرار عند قراء القاهرة وغيرها عادة متغلغلة في نفوسهم ، وله لديهم نغم مخصوص ، وأصوات متنوعة ، تسمعها من القارئ الواحد في الآية الواحدة بل في بعض الآية وعليهم أيضاً أن يتقنوا قراءتهم ، ويجودوا تلاوتهم وأن يحسنوا الوقف والابتداء في القراءة .

فقد سمعت بأذن وأنا بالقاهرة في حي بولاق واحداً من القراء يقرأ من سورة التحريم في سرادق فخيم قول الله عز وجل : «ومريم ابنة عمران» فوقف على كلمة عمران ثم ابتداء فقال : التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ... الآية . فتأملت وقلت : يا سبحان الله ؟ كيف وصف هذا القارئ عمران هو أبو السيدة مريم رضي الله عنها بصفة الأنثى ؟

وسمعت آخر في مدينة القاهرة أيضاً في حفل جامع ، وسرادق كبير يقرأ من سورة مريم قوله تعالى : «يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء» فوقف على سوء ، ثم ابتداء فقال : «أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً» . فقلت : سبحان الله ، هذا بهتان عظيم ، الله عز وجل ينسب السوء عن عمران والد السيدة مريم رضي الله عنها البتول ، العفيفة أصلاً وذاتاً . (على لسان قومها) ، وهذا القارئ يثبت للسيد عمران السوء الذي قد نفاه الله عنه . أيها القارئ : لكتابي لم أكن متقولاً ، ولا متجنباً على هؤلاء القارئين ، وحسبي الله على ما أقول ، وكفى به شهيداً .

وأنصح لهم أيضاً أن يرضوا باليسير من الأجر ، وألا يجعلوا كتاب الله عرضة للمساومة ، والأخذ والرد ، والجشع والطمع ، فقد يأخذ بعض القارئين المشهورين مائتي جنيه مصري في الليلة الواحدة أجرة على قراءته ربعين من القرآن . ورحم الله قارئاً من قراء الصعيد قد أعطى له من غير قصد ملهم أحمر أجرة على تلاوته فأخذه راضياً قانعاً بما قسم الله له . ثم جاء المعطى في صباح اليوم التالي يقدم إلى هذا القارئ جنياً ذهبياً مع الاعتذار الشديد إليه قائلاً له : يا سيدي الشيخ : كنت وضعت المليم والجنيه معاً في جيبى ، ثم أعطيتك المليم خطأ بدل الجنيه .

فحلف هذا القارئ الكريم . والشيخ القانع ألا يأخذ إلا المليم وقال :

هذا نصيبي الذي أعطانيه الله فلا آخذ سواه ، فعظم شأن هذا الشيخ عند ذلك الرجل ، وعند الناس . وبارك الله فيه وفي أولاده .

كما أنصح لكبار الورثة ، والأوصياء أن يخافوا الله فيما تركه الميت من أموال ، وما خلفه من ثروة بأن يراعوا فيه حق الورثة الصغار ومن لا رشد عنده ، واليتامى الذين لا حول لهم ولا قوة فلا يبددوا أموالهم في مثل حفلات المآتم الآثمة التي تتجلى فيها المظاهر الخداعة الكاذبة . والرياء والسمعة ، والمباهاة والافتخار حتى لا يكونوا من الذين قال الله فيهم : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً » .

ومن ذلك أيضاً عقر ذبيحة أمام نعش الميت عند خروجه من داره تحت عتبة الدار أو عند قبره رياء وسمعة ، وفخراً ومحمدة ، وهذا منهي عنه شرعاً لقوله عليه الصلاة والسلام : (لا عقر في الإسلام) بفتح العين وسكون القاف -

فقد كان يعقر في الجاهلية (أى يذبح أو ينحر) عند القبر بقرة أو شاة أو بعير ، حتى يقال : إن الميت كان مطعماً بعد مماته كما كان مطعماً في حياته . والحكمة في النهي أن في الذبح على هذه الحالة المتقدمة تشبيهاً بالقرابين التي كانت تقدم في الوثنية للآلهة ، ورياء ومباهاة ، فليس المقصود به وجه الله تعالى :

وليس من السنة أن يصلح أهل الميت الطعام لمن يجتمع عندهم : قال الإمام أحمد : هو من فعل الجاهلية . وأنكره إنكاراً شديداً . وروى ابن ماجه والإمام أحمد بإسناد صحيح عن جرير (١) بن عبد الله البجلي (نسبة إلى بجيلة على وزن حنيفة اسم أم القبيلة) قال : (كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت ، وصنعهم الطعام بعد دفنه من النياحة) لما في ذلك من التثقيب

(١) أسلم جرير بن عبد الله البجلي قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً . وضربه الرسول صلى الله عليه وسلم في صدره وقال له : (اللهم اجعله هادياً مهدياً) ، وكان حسن الصورة . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (جرير يوسف هذه الأمة) ، وكان له في الحروب بالعراق القادسية وغيرها أثر عظيم ، وكانت قبيلة بجيلة متفرقة فجمعهم سيدنا عمر رضي الله عنه وأمر عليهم جريراً ، فسار بهم إلى العراق وأقام بالكوفة ، ثم خرج منها في خلافة الإمام علي ، وتوفي سنة ٥١ هـ .

على أهل الميت وشغلهم مع ما هم فيه . ومخالفته السنة . بل من السنة ان يصلح
جيران الميت والأباعد من اقاربه طعاماً لأهل الميت يشبعهم يومهم وليلتهم ،
ويلحون عليهم في الأكل لأن الحزن يمنعهم من ذلك فيضعفون .

فقد روى عبد الله بن جعفر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(اصنعوا لآل جعفر (١) طعاماً ، فقد أتاهم ما يشغلهم) (رواه أبو داود
والترمذى) وحسنه . قل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استشهاد سيدنا
جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة : (بضم الميم وسكون الهمزة أو تحريكها
بالفتح) سنة ثمان من الهجرة .

ولقد شاهدت بنفسى في بلادنا بالصعيد في محافظة قنا أن أهل الميت
يدخون الخرفان وغيرها ، ويقدمون الموائد ذات الأصناف العديدة ، والأطعمة
اللذيذة واللحوم الشهية لمن يأتي إليهم معزياً من بلاد قريبة لا تتجاوز المسافة
بين هولاء وهولاء أكثر من عشرة كيلومترات ويفرغون أنفسهم شيوئاً
وكهولاً ، وشباناً وصغاراً لمقابلة من يعزيهم من بعد طلوع الشمس بساعتين
تقريباً إلى منتصف الليل مدة أسبوع بل أزيد ، ثم يطوفون على المعزين جماعة
في صف واحد كل فرد من هذه الجماعة يحمل عليه (بضم العين) من التبغ
(السجاير) وكثيراً ما يكون في حاجة شديدة إلى ثمنها فيقدمها للمعزين ليأخذ
كل معز لفافة واحدة من هذا التبغ . وبعض المعزين لا يتورعون من أخذ
لفافات متعددة في الجلسة الواحدة .

ومن العجيب أن هذا البعض يتورعون من تناول القهوة التي تقدم لهم ،
لأنهم يرون في شربها غصاصة ولا يتناسب مع جلال هذه المصيبة بينما يأخذون
السجاير بشغف ورغبة أكيدة فكأنهم يحرمون القهوة ويحلون السجاير .

(١) هو سيدنا جعفر بن أبي طالب شقيق الإمام علي وأكبر منه سناً ولكنه أسلم بعد الإمام
على بقليل ، وهو ذو الهجرتين وذو الجناحين لأن النبي عليه الصلاة والسلام رآه بعد قتله يطير
في الجنة بجناحين مخرجين بالدماء فلقب بذلك . ولد قبل البعثة باثني عشر عاماً ، وتوفي شهيداً
في غزوة مؤتة في السنة الثامنة من الهجرة وفي هذه الغزوة قطعت يمينه أولاً فأخذ لواء الحرب بشماله
فقطعت فاحتضن اللواء بعصديه فضربه الروم بسيوفهم حتى قطعوه نصفين ، ولما أقبل عليه المسلمون
وجدوا في بدنه تسعين ضربة ما بين طعنة رمح ، وضربة سيف - رحمه الله ورضي عنه .

وكان الأجدر بهؤلاء ألا يقبلوا شيئاً من ذلك فإن الماء تم لم يجعل للأكل والشرب والتدخين ، والضيافة .

هؤلاء الذين قد أصيبوا بموت فرد منهم يتركون أعمالهم وزراعتهم . وشئونهم الدنيوية ويستمرون على ذلك أياماً وأياماً غير مفكرين فيما يترتب على هذا الترك من أضرار جسيمة ، وإتلافات بليغة ، وضياع للثروة المترتبة من زرعهم الذى هو عماد معيشتهم ، وثروتهم فى الحياة .

ولقد رأيت بنفسى فى أوائل النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى قبيلة فى الصعيد مات منها رجل إبان جنى القطن فقامت تلك القبيلة على بكرة (١) أبيها ، وبقضها (٢) وقضيضها ، بشيبها (٣) وشبانها ، مجتدين لمقابلة من يأتى إليهم معزياً . وتقديم السجائر والقهوة ، والأكل لبعض المعزين طارحين وراءهم ثمار القطن المفتحة وقتذاك تعلن صارخة وكأنها تقول : أنا الذهب الأبيض ، أنا الثمرة المرجوة ، قطوفى دانية ، ونفعى عميم . أدر عليكم الأموال وأملأ بيوتكم بالخيرات ، هيا اقطفونى سريعاً ، واجنوا ثمرى على جناح البرق فإن نيل مصر قد دق أجراسه بالخطر الداهم ، والفيضان الكاسر ولكن كما قال الشاعر :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى

فهم فى ماتمهم غارقون ، وفى مصيبتهم منغمسون ، ولسان حال النيل يقول : أيها المزارعون : أحذر كم من بطشى وفتكى ، وغدرى واعتدائى ، لا أرحم فيكم مصاباً ، ولا شيخاً قد بلغ من الكبر عتياً ، ولا كهلاً قوياً ، ولا شاباً فتياً ، ولا طفلاً رضيعاً ، ولا أمّاً حنوناً ، ولا أباً رحيماً ، ولا أخاً بواسياً ، ولا زرعاً مثمراً ، ولا قطناً متفتحاً .

(١) البكرة (بفتح الباء وسكون الكاف) الجماعة ومنه : « جاءوا على بكرة أبيهم » : أى لم يتخلف منهم أحد .

(٢) القضى (بفتح القاف وتشديد الضاد) : صغار الحصى وما تفتت منه ، القضيض : هو كبار الحصى ، يقال : (جاء القوم قضهم وقضيضهم) : أى جميعهم ومعناد هنا أن القبيلة جميعها تركت أعمالها ، واهتمت بالمأتم ، ولم تهتم بغيره .

(٣) الشيب (بكسر الشين وسكون الياء) : جمع لأشيب وهو المبيض شعر الرأس .

ثم طغى الماء على أمر قد قدر ، فأغرق أشجار قطن هؤلاء المصابين .
وغمر لوزها المتفتح . وقضى على محصولهم المترقب . وثمرتهم المرجوة .

كل هذا كان أثراً لتركهم أعمالهم . وتجنيدهم أجمعين للكارثة الكبرى
التي حلت بهم ، وبالطبع عضوا أصبع الندم ، وضربوا كفاً على كف بعد
الانتهاء من أيام الغزاء ، ولكن لات ساعة مندم ، وصدق المثل العامى : (موتة
وخراب ديار) .

فهل محسرة أعظم من هذه المحسرة ؟ وخراب للديار أعظم من هذا
الخراب ؟

ومن ذلك البناء على القبور وحولها ، كالتقباب المقامة على بعض قبور
الصالحين وكالحيطان المعروفة في قراقة الإمام الشافعى وغيرها . :

هذه البلادة تضر الحى ولا تنفع الميت ، فقد ورد فى مسند الإمام أحمد
عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينهى أن يقعد على القبور ، وأن تقصص (أى تطلّى بالقصة بفتح
القاف وتطدبده الصاد وهى الجير المعروف) أو يبنى عليها ، وفى رواية
أن نخصص .

والحكمة فى النهى أن القبر للبلى والفناء ، لا للدوام والبقاء ، وأن تقصيصه
أو نخصيصه من زينة الدنيا وزخارفها ولا حاجة للميت إليها ، وهذا النهى
محصول على الكراهة التعريمية إذا لم يقصد بالبناء الزينة والتفاخر والرياء
والسمعة وإلا كان ذلك حراماً وإثماً مبيناً .

قال يحيى (١) الغزال الشاعر الأندلسى فى مقابر الأغنياء والفقراء مما فيه حكمة :

(١) يحيى الغزال : شاعر أندلسى ، لقب بالغزال لحسن شكله وجسماله ، كما لقب بشاعر
الأندلس ، وكان إلى جانب هذين اللقبين يعرف بأنه حكيم لأنه كان يحسن التصرف فى الأمور
وفى الكلام ، وإذا لوجى بكلام خطير عرف كيف يرد عليه ويخلص من المأزق .
ولهذه الخصلة عين صغيراً لخصته من الخلفاء الأمويين بالأندلس لدى بعض الدول الأجنبية ،
أولهم : عبد الرحمن الثانى ، وآخرهم : محمد بن عبد الرحمن بن الحكم . وعمر هذا الشاعر طويلاً
فكان إلى أربع وثلاثين سنة كان يقول فيها الشعر .

أرى أهل اليسار إذا توفوا^(١)
 بنوا تلك المقابر بالصخور
 أبوا إلا مباهاة وفخراً
 على الفقراء حتى في القبور
 فإن يكن التفاضل في ذراها
 فإن العدل فيها في القبور
 لعمر أبيهم لو أبصروعا
 لما عرفوا الغنى من الفقير
 ولا عرفوا العبيد من الموالى
 ولا عرفوا الإناث من الذكور
 ولا من كان يلبس ثوب صوف
 من البدن المباشر للحرير^(٢)
 إذا أكل الثرى هذا وهذا

فما فضل الكبير على الحقير
 هذا وبناء المقابر وتشيدها والبناء عليها عادة قديمة جداً ورثها المصريون
 عن أجدادهم الفراعنة ؛ فمن المعروف تاريخياً أن قدماء المصريين عذوا بتشيد
 مقابرهم . واهتموا بها اهتماماً عظيماً ، فبنوها بالأحجار في الوقت الذي كانوا

(١) في رواية :

• إذا أميتو . . .

وهذه القصيدة من بحر الوافر .

(٢) البيت في رواية هكذا :

ولا الجلد المباشر ثوب صوف ولا الجسد المنعم بالحرير

يبنون فيه دورهم من قوالب اللبن (الطوب الذي لم يحرق) ثم تفتنوا في تزيينها بالنقوش والزخارف ، فأودعوا فيها متاع الميت . وما كان يحبه في حياته من أنواع الطعام والشراب واللباس واعتقاداً منهم أن الروح تعود إلى الجسد بعد الموت ليحيا الإنسان بعد ذلك حياة خالدة ، وأن الميت إذا عادت إليه روحه استطاع أن يتمتع بما كان يحبه ويتمتع به في حياته الدنيوية ، ولكي تبقى الروح متمتعة بالحياة يجب أن يكون الجسم بعد الموت باقياً على صورته ؛ ولذا عملوا على تحنيط موتاهم ، وبناء المقابر الحصينة لها كي يحفظ الجسم بها من أيدي العابثين ، وقد بلغ الأمر بقدماء المصريين أن بنوا مقابرهم من طبقتين إحداهما في أسفل الأرض ، والأخرى فوقها ، وكان البناء يطل من الخارج بطبقة من الطين ، تعلوها أخرى من الجير ، وكانت تدهن بلون الخشب ، ثم تطورت تلك القبور فأصبحت تبنى لها مقاصير .

أما قبور الملوك فحدث عنها ولا حرج فقد شيدوها بالأحجار الضخمة ، وأنفقوا الكثير من الأموال على بنائها ، وأحكموا أبوابها وسراديبها إحكاماً متيناً حتى لا يسطو اللصوص على تلك المقابر فيسلبوها كنوزها وما أودع فيها : وما أهرام الجيزة (التي لا تزال إلى اليوم شاهقة بأنوفها ، تنيه فخاراً وعجباً ببنائها ونظامها وهندستها ، وتطل على القاهرة وضواحيها بعظمتها وفخامتها وهي رابضة في مكانها ، كالطود العظيم لا تخاف عاديات الزمان ، ولا صروف الأيام) — إلا مقابر لبعض ملوك الفراعنة ، ومدائن لهم كالملك خوفو وخفرع ومنقرع .

طريقة أهل عنيزة في الجنائز والمقابر (١) :

لقد أعجبتني طريقة أهل عنيزة بنجد في جنائزهم ومآتمهم ومقابرهم ، فرأيتهم لا يصيحون ولا ينوحون ، ولا يأتون فيها منكراً من القول وزوراً ،

(١) عنيزة (بالتصغير) من أهم المدن في القصيم بنجد ، تقع في سهل زمل وهي ذات مبان ضخمة تشبه الحصون والقلاع ، تحيط بها المزارع وأشجار النخيل التي تعطي تماًراً ثمياً ، شديد الحلاوة ، وقيمتها الغذائية كثيرة جداً ، وتشتهر عنيزة بالتمر السكري ، وغيره ، لقبها النكاتب اللبناي (أمين الريحاني) بباريس نجد ، بها نخبة من العلماء الأفاضل ، وكثير من الطلاب الأذكياء .

يمشون في الجنازة صامتين خاشعين ، لاتصحهم النساء ، ولا يسمح لهم بالخروج . ولا يجتمع أهل الميت بعد دفن ميتهم من مكان معين لتقبل العزاء . وإنما يذهب كل إلى مصالحه .

فالتاجر يذهب إلى متجره ، والزارع إلى مزرعته ، والبستاني إلى حديقته والمدرس إلى معهده أو مدرسته ، ومن عجيب ما رأيت في عنيزة وأنا مدرس بمعهدا العلمي في سنة ١٣٧٦ هـ الموافقة سنة ١٩٥٦ م أن طالبا من طلابي بالسنة الرابعة الثانوية قد توفيت زوجته وهي حامل في شهرها الثامن خرج خرج عقب دفنها مباشرة إلى وادي الرمة بنجد مع بعض زملائه بالمعهد في رحلة للتنزه ، وللترويح عن النفس .

كما شاهدت بنفسى أيضاً جنازة كبير علماء عنيزة بل كبير علماء نجد بأسرها وقتئذ هو المرحوم الشيخ : عبد الرحمن (١) بن ناصر السعدي العالم الفاضل ، والورع الزاهد ، والنقي الصالح ، صاحب المؤلفات الكثيرة القيمة والمكانة السامية في النفوس ، وخطيب مسجد الجاهلي ، ومفتيها الضليع .

شاهدت جنازته رحمه الله في شهر جمادى الآخرة عام ١٣٧٦ هـ ، ومشيت فيها وكنت من المشيعين لها فكانت بحق جنازة شرعية يعلموها الجلال ، ويحيط بها الوقار ، لا يشوبها شائبة الابتداع ، ولا يخالطها عمل من أعمال الشيطان ، وكنا نمشي معها ، وكأن على رؤوسنا الطير ، ونسير فيها خاشعين

(١) هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم . ولد رحمه الله في مدينة عنيزة في اليوم الثاني عشر من شهر المحرم سنة ١٣٠٧ هـ وتوفيت والدته وله أربع سنين ، وتوفي والده وله سبع سنين فأصبح لطيماً ، ولكنه نشأ نشأة حسنة ، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وأتقنه ، وعمره إحدى عشرة سنة ، ثم اشتغل بالتعليم على علماء بلده وغيرها فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم ، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يقضى جل وقته في ذلك .

وله مؤلفات مفيدة ونافعة منها : تفسير القرآن المسمى بتفسير الكريم المنان ، والدارة المختصرة في محاسن الإسلام ، والحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، والقول السديد في مقاصد التوحيد ، بلغت مؤلفاته أكثر من أربعة عشر مؤلفاً ، وكان رحمه الله يهدي مؤلفاته لمن يزوره من علماء مصر وغيرهم ، توفي في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ هـ وله من العمر ٦٨ سنة ونصف سنة تقريباً - طيب الله ثوابه ، وجعل الجنة مأواه .

صامتين لا بكاء فيها ولا عويل ، ولا ذكر معها ولا تهليل . حتى وورى
جسده الطاهر التراب ، وقبل أهله التعزية عند القبر ، وانصرف كل مشيع
إلى عمله ، ولم يقم له رحمه الله حفل ولا مأتم كما يفعل في ديارنا المصرية ،
ولم تكن مقابر عنيزة مخالفة للدين ، ولا مخالفة للسنة النبوية ، بل توافقها
كل الموافقة ، وتسير معها جنباً إلى جنب .

فأحسن عمل أهل عنيزة في جنازتهم ، وفي مقابرهم ودفن موتاهم
وما أخرجنا نحن المصريين إلى اتباع تعاليم الإسلام في جنازتنا وما تمنا .
ومقابرنا ودفن موتانا . وفي أفراحنا وأحزاننا .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى اتباع شريعته الغراء ، وأن يجنبنا طريق
المخالفة والابتداع ، وسبيل الفی والضلال .

المعتقدات الفاسدة من أهل الميت وغيرهم :

١ - منها : اعتقاد البسطاء أن المقتول من بنى آدم يصير عفريناً بعد
ثلاثة أيام من قتله ، وأنه يظهر في مكان قتله للخائف بصورة مزعجة ، وهذا
اعتقاد فاسد يشبه ما كان يعتقد أهل الجاهلية في المقتول قبل الأخذ بثأره .
فقد ذكر الزبير بن بكار (كما في حاشية الشنواني على مختصر بن
أبي جمرة) أن العرب كانت في الجاهلية تقول : إذا قتل الرجل فلم يؤخذ
بثأره خرجت من رأسه هامة (بفتح الميم مخففة) فتدور حول قبره فتقول :
إسقوني إسقوني (أى من دم القاتل) فإذا أدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت ،
وفي ذلك يقول شاعرهم :

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي

أضربك حتى تقول الهامة إسقوني

وفي المختار والهامة من طير الليل وهو الصدى (وهو ذكر اليوم) والجمع
هام ، وكانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره نصير هامة
فتزقو (أى تصبح) عند قبره تقول : إسقوني ، إسقوني فإذا أدرك بثأره
طارت اه .

ولما جاء الإسلام نفي هذا الاعتقاد الباطل .

فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا عدوى ، ولا طيرة ولا هامة ، ولا صفر ، وفر من المجدوم فرارك من الأسد) .

فنى الرسول عليه الصلاة والسلام أو نهى عن اعتقاد ذلك لأن هذا شيء لا حقيقة له . وإنما هو من نسج الخيال ، وبنات الأفكار .

٢ - ومنها : أن بعض أهل الميت يضع شيئاً من الخبز والملح والماء مع الميت فى القبر عند دفنه زاعمين أنه يتناول منه مع الملائكة (منكر ونكير) فتكرمه عند السؤال فى القبر ، وهذا اعتقاد فاسد لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون فهم فى غنى عن الخبز والملح والماء وغير ذلك من كل مطعوم ومشروب . ولأن حياة الميت فى القبر تشبه حال النائم فى نومه . ولا تشبه الحياة الدنيوية التى تقوم على الهواء والأكل والشراب . ومثل هذا الاعتقاد ما يفعله بعض النسوة التى يجهلن أمور دينهن من وضع قطعة من النقود فى كفن الميت يسميها هؤلاء النسوة الجاهلات بالمعدية (بضم الميم ، وتشديد الياء) أى تعدى الميت من سؤال الملكين وفتنهما إلى بر السلامة والأمان .

كذب ورب الكعبة . فإن الملائكة لا يحتاجون إلى نقود ولا إلى سواها من متاع الحياة الدنيا . ومن حطامها الفانى . ولا يرتشون . ولا يقبلون هدية من العير . فهذا شأن أكلة الحرام . ذوى الأيدي الأثيمة التى تمتد إلى سلب ما فى أيدي الناس . وأصحاب البطون الشرهة الخبيثة من أولاد آدم وحواء .

٣ - ومنها : أن نساء بعض أهل القرى المصرية إذا ماتت منهن امرأة ، ثم ماتت أخرى من قبيلتها أو من غيرها ولم يمض على وفاة الأولى أربعون يوماً فلأنهن يرسلن امرأة تغطى قبرها بملاءة حتى تدفن الثانية ؛ لكيلا تغار منها اعتقاداً منهن أن المتوفاة إذا لم يغط قبرها تحصل لها غيرة . وهذا اعتقاد باطل يدل على السذاجة . والجهل الفاضح .

٤ - ومنها : رمى ماء غسل الميت فى خارج المنزل قبل خروج الميت منه لثلاث يموت غيره . وهذه بدعة ذميمة تدل على تخلف معتقديها فإن الآجال مكتوبة ولها عند الله وقت معلوم . ولن يطيل أجل المرء احتياطه واحترامه .

هـ - ومنها : وضع ثياب الميت التي كان يرتديها في حياته أمام قارئ يتلو عليها ما تيسر من القرآن اعتقاداً من أهل الميت أن روح فقيدهم لا تزال محتبئة بشيابه ، وأن القارئ بقراءته يصرفها عن الثياب ، ويخلصها منها ، وهذا اعتقاد خاطئ ، وضلال ظاهر ؛ لأن الروح متى خرجت من بدنيتها بالموت صعدت إلى السماء ، ثم هبطت إلى الأرض لتشهد غسل بدن الميت الذي كانت تعممه ، ثم إذا وضع الميت في الكفن أدرجت بين الكفن والجسد ؛ فتسمع من يتكلم ، وتشاهد من حضر ، ولا تزال كذلك حتى يدفن في القبر ، فتدخل حينئذ الروح بدنيتها ، فيحيا الميت حياة برزخية بها العلم والفهم والإدراك والقدرة على الإجابة عن أسئلة الملائكين .

وبذلك بان لك أن الروح لا تبقى في ثياب الميت ولا في منزله حتى تصرف وتخلص من الثياب .

• • •

القسم الرابع

السَّاعَةُ وَعَلَامَاتُهَا

السَّاعَةُ :

هي الوقت الذي يموت فيه الأحياء ، وينتهي فيه هذا العالم .

وعلاماتها :

١ - صغرى .

٢ - كبرى : وهي أشراتها

قال تعالى : « فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم (١) » ، وهي كلها تدل على قرب الساعة (القيامة) لا على تقييدها وتحديد لها ، فإن معرفة ذلك الوقت على التعيين والتحديد مما اختص الله به لم يطلع عليه نبياً مرسل ، ولا ملكاً مقرباً . قال الله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو... » (٢) . وقد جاء فى القرآن الكريم ما يدل على قربها قال تعالى : « اقربت الساعة وانشق القمر » (٣) ، وقال عز وجل : « يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم : (بعثت أنا والساعة كهاتين . وأشار بالسبابة والوسطى) كناية عن قرب الساعة ودنوها .

فأما علاماتها الصغرى : فكثيرة منها : مبعث الرسول محمد صلى الله

(١) سورة محمد آية ١٨ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٧ .

(٣) سورة القمر الآية الأولى .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٦٣ .

عليه وسلم ، وانشقاق القمر ، وقد حصلوا فعلاً ومنها : تطاول الناس في البذيان ، فقد بنيت ناطحات السحاب ، وشيدت خارقات الغمام ، وتباهى الناس في الزخرفة والزينة ، ومنها : أن تلد الأمة ربها وسيدتها ، ومنها : انحلال الدين من قلوب المسلمين ، والتحليل من الأخلاق الكريمة ، وضعف الوازع الديني والخلقى ، حتى ضيّعت الأمانات ، ووسد الأمر لغير أهله ، وتلاشى الحياء من قلوب النساء والرجال على السواء ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وظهرت المائلات الميلات التي رعوسهن كأسنمة البخت ، وقصرت بنات حواء المسلمات ثيابهن تقصيراً شنيعاً حتى بدت العورات ، وظهرت السوءات ، وغير ذلك كثير وكثير ، والأمر في ازدياد ، وخطر داهم ، وأصبح القابض على دينه كالقابض على جمر .

وأما علاماتها الكبرى : فالمتفق عليه فيها خمس : روى أن أول الآيات ظهوراً للمسيح الدجال . ثم نزول عيسى عليه الصلاة والسلام . ثم خروج يأجوج ومأجوج . ثم خروج الدابة . ثم طلوع الشمس من مغربها . ولنتكلم عنها بالترتيب فنقول :

أولها : ظهور المسيح الدجال (أى الكذاب) : المسيح الدجال : رجل كافر كذاب يلبس الحق بالباطل من بنى آدم يظهر في آخر الزمان قرب قيام الساعة ، يدعى الألوهية وهو كاذب في ادعائه : فقد جعل الله صورته على وصف لا يدع مجالاً للشك في كذب ما يدعيه من الألوهية : فلو كان إلهاً حقاً كما يدعى ما حدث في خلقته نقص ، إذ أنه أعور العين اليمنى كأنها عنبه طافية (أى مرتفعة وبها ضوء) وممسوح العين اليسرى ، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم .

روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما بعث نبي إلا أندر أمة الأعور الكذاب ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك . ا . ف . ر) .

واعلم أنه يطوف الدنيا ، إلا مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور فإن الملائكة تطرده عن هذه الأماكن المقدسة .

روى الشيخان عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس من بلد إلا سيطؤه) أى سيدخله (الدجال إلا مكة والمدينة) ، وفى

رواية أبي جعفر الطحاوي : (فلا يبقى موضع إلا دخله غير مكة والمدينة .
وبيت المقدس ، وجبل الطور ، فإن الملائكة تطرده عن هذه المواضع) .

ومدة بقائه في الدنيا أربعون يوماً كما في بعض الروايات .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن النّوّاس بن سميان قال : ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فقال : (إنه شاب قطط) بفتح القاف
والطاء أي قصر الشعر جعده) عينه طافية كأنني أشبهه بعبد العزى بن قطن :
فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف . يا عباد الله فاثبتوا .
قلنا : يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال : أربعون يوماً : يوم كسنة .
ويوم كشهر ، ويوم كجمعة . وسائر أيامه كأيامكم . قلنا : يا رسول الله
فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيها فيه صلاة يوم ؟ قال : لا . أقدروا له قدره) .

يحدث الله على يديه خوارق كثيرة للعادات ، فتنة للناس ومحنة . فيتبعه
من ضل وغوى ، ويخالفه من رشد وأهتدى ، فتنته عظيمة ، تدهش العقول ،
وتبهر النفوس الضعيفة . منها : أنه معه جنة ونار . وأن جنته نار . وناره
جنة . ومنها : أنه معه نهر من ماء . ونهر من نار . فأما الذي يراه الناس
ماء فنار تحرق . وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب . ومنها : أنه
يأمر السماء بإنزال المطر فتمطر ، ويأمر الأرض بالإنبات فتنبث . ومنها :
أنه يمر على الأرض الحربة فيقول لها : أخرجي كنوزك فتنبعث كنوزها .
وروى أنه يقتل شخصاً بالسيف فيقطعه قطعتين ثم يحييه . وأن ذلك الشخص
بعد الإحياء يقول له : يا دجال ما زدت فيك إلا بصيرة . ويقع كل ذلك
بقدره الله تعالى ومشيته . ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل
ذلك الرجل ولا على غيره ولا يستطيع الإتيان بأمر خارق للعادة ، ويبطل
أمره ، ويقتله المسيح عليه الصلاة والسلام عند لد (لد بضم اللام وتشديد
الدال مصروف بلدة قريبة من بيت المقدس ، وقد كان خروجه من جهة
المشرق من قرى أصبهان .

هذا وقد روى البخاري جملة أحاديث في الدجال في باب ذكر الدجال
من كتاب الفتن . كما روى الإمام مسلم في صحيحه عدة أحاديث في باب ذكر
الدجال من كتاب الفتن وأشرط الساعة . وروى غيرهما كذلك

وقد ذكر الشوكاني في التوضيح أن أحاديث خروج المسيح الدجال بلغت مائة حديث وهي في الصحاح والمعجم والمسانيد .

والخلاصة :

أن الدجال فتنة أظهر الرسول عليه الصلاة والسلام أمرها . وحذر المسلمين منه . وكثيراً ما كان يستعيد بالله من فتنته في صلاته وفي غيرها . ووصفه بأوصاف لا تجعل عند المسلم شبهة في كذبه وتضليله .

ثانيها : نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء على المنارة البيضاء شرق دمشق على رأى الجمهور بعد ظهور المسيح الدجال ، وحينما يراه الدجال ويشاهده يختفى ، وينطلق هارباً ، ولكن السيد المسيح يدركه عند باب لد ثم يقتله ويقتل أتباعه ، ويهزم الله اليهود ولا يبقى شيء مما خلقه الله يستتر وراءه يهودى إلا أنطق الله ذلك الشيء وقال : يا عبد الله المسلم . هذا يهودى تعال فاقتله . وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لنزلن عيسى بن مريم حكماً عدلاً فليكسرن الصليب ، وليضعن الجزية . وليتركن القلاص (النياق) فلا يستقى عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد) .

ويكثر الأمن في زمنه . والخصب والبركة والرخاء .

قال العلماء : وإذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان يكون مقررأً لشريعة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ومجدداً لها : لأنها آخر الشرائع ونبيها خاتم النبيين ، فيكون عيسى عليه السلام حكماً مقسطاً لأنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا إماماً ، ولا قاضياً ولا منتقياً ، قد قبض الله العلم . وخلا الناس منه ، ولا أحد يصلح لذلك غير عيسى عليه الصلاة والسلام ، وبعد انتهاء مدة بقائه في الأرض التي قدرها الله له يموت عيسى عليه الصلاة والسلام بالمدينة . ويدفن بجوار أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

هذا وأحاديث نزول عيسى عليه الصلاة والسلام قرب الساعة وحكمه في الناس متواترة (أى تواتراً معنوياً) قاله الإبي (بكسر الهزرة وتشديد الباء مع الكسر) في شرحه صحيح مسلم .

ثالثها : ظهور يأجوج ومأجوج بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وهلاك الدجال فيقتلون من بقي من أتباع الدجال ، وينحاز عيسى عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين إلى جبل الطور فراراً منهم ويشيعون في الناس الرعب ، وينتشرون في الأرض ، ويسرعون من كل مرتفع مصداق هذا قوله تعالى : « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » ويحصل للخلق في زمنهم قحط شديد ، ويسعون في الأرض فساداً ، ولكنهم لا يدخلون مكة والمدينة وبيت المقدس ، ولا يصلون إلى من عصمه الله منهم . ثم يدعو عليهم سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فيموتون ، وتستقيم الحال للمسيح عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ، وبينما هم كذلك إذ يبعث الله على سيدنا عيسى والمؤمنين ريحاً لينة تقبض أرواحهم ولا يبقى في الأرض إلا الكفار والأشرار الفجار . وهذا يأجوج ومأجوج قبيلتان من بنى آدم من أولاد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام ، وقد بلغتهم دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وقصتهم مع ذى القرنين مذكورة في أواخر سورة الكهف .

رابعها : خروج دابة من الأرض : وهى المذكورة في قواه تعالى في سورة النمل « إذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآيتنا لا يوقنون »

والمعنى : إذا دنا وقرب وقوع مدلول القول ، وحق عليهم العذاب لفساد الدنيا ، وضياع الدين أخرجنا للموجودين من الكفار دابة من دواب الأرض تحدثهم بأن الناس وهم الكفار كانوا بآيات الله لا يصدقون . وقد اختلف الصحابة والتابعون في المراد بهذه الدابة ، وفي صفتها ، وفي مكان خروجها اختلافاً كثيراً .

فمن قائل : إنها (الجساسة) ، كما في حديث الإمام مسلم في قصة الجساسة (بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى) سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال ، ومن قائل : إنها (انفصيل) ، الذى كان لناقة سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام ، فلما قتلت هرب انفصيل بنفسه فانفتح له حجر فدخل في جوفه ، ثم انطبق عليه الحجر ، فهو فيه إلى وقت خروجه بإذن الله تعالى .

يدل لهذا القائل ما ذكر في الحديث الذى أخرجه أبو داود الطيالسي وفيه : (فبينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها عليه المسجد الحرام لن يروعهم إلا وهى ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب) .

فإن الرغاء إنما يكون للإبل ، وهنا يقول الإمام القرطبي وهو أصح الأقوال .

ومن قائل : إن الدابة إنما هي (إنسان متكلم) يناظر أهل البدع والكفر ، أو هو عالم بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأحكام شرعه . يظهر في الوقت الذي يقل فيه العلماء ، ويقبض فيه العلم بموتهم . ويعم الجهل بأحكام الدين ، ويتخذ الناس رؤساء جهالا ، يستفتونهم في دينهم فيفتونهم فيضلون ويضلون .

وقائل هذا يقول : إن الذي دعاه إلى تفسير الدابة بالإنسان ، وصفها بالكلام ، ولأن الإنسان دابة من الدواب ، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الدابة وخروجها فقال : (تخرج من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى المسجد الحرام) كما أنه أخرج الإمام أحمد والطيالسي ونعيم بن حماد ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه وابن جرير الطبري ، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتجלו وجهه المؤمن بالخاتم ، وتخطم أنف الكافر بالعصا حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر) . ولكن أقوال الصحابة والتابعين في خروج الدابة وصفها وإن كان فيها كثير من الغرابة والخيال ترد هذا القول :

(وبعد) : فقد اختلفت الروايات في هذه الدابة اختلافاً عظيماً وكثير الاضطراب فيها ، ونسج الخيال وخيم عليها ، وأخذ المتكلمون في شأنها يغربون في وصفها وجسمها ، وكيفية خلقها . ونوعها . والمكان الذي تخرج منه .

ويغني عن كل هذا وذاك أن نعتقد بأن من أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى خروج دابة عظيمة من الأرض ذات قوائم قرب انتهاء الدنيا . وخراب العالم . تكلم الكفار بأنهم الناس كانوا لا يصدقون بالقرآن ، ولا يدعون به والله أعلم .

خامسها : طلوع الشمس من مغربها : جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون) ،

فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .
واختلفت الروايات في طلوعها من مغربها هل هو يوم واحد ؟ أو ثلاثة
أيام ؟ ثم تطلع من المشرق على عادتها إلى أن تقوم القيامة . وإذا طلعت الشمس
من مغربها غربت في مشرقها ، وعند ذلك يغلق باب التوبة على المؤمن العاصي
والكافر ، ويستمر ذلك إلى قيام الساعة .

(تنبيه) : روى مسلم عن عبد الله بن عمر قال : حفظت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من
مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى) . قال الإمام القرطبي . وأنها
كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً منها .

وهناك علامات أخرى كظهور محمد المهدي والدخان . والحسوف
الثلاثة ، ونار تخرج من اليمن من قعر عدن تركتها . لأنه ليس في وسعي الآن
الكتابة عنها ، وربما أفردت رسالة مستقلة في علامات الساعة . وتحدثت
عنها حديثاً مستفيضاً ، وخرجت أحاديثها إذا توفرت الدواعي . ومنعت
الموانع .

أهوال ما قبل القيامة

إعلم أيها المسلم أنه عندما يختل نظام العالم . وتدق ساعة الخطر مؤذنة بقرب
زوال الدنيا ، معلنة بدنو انقضاء أجلها ، تكون أهوال وأهوال . وفظائع
وشدائد تصم الآذان ، وتصلك الأسنان ، وتفزع القلوب وتوجفها . وتخشم
الأبصار وتزيغها « قلوب يومئذ واجفة . أبصارها خاشعة » . وتهلع النفوس
وترعجها ، وتشيب منها الوالدان ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت . وتضع
كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى .

فمن شمس تكور ، وتلف لفاً ، ويذهب بنورها وضوئها ، ونجوم تنكدر
وتتساقط ، وجبال تتفتت ، ثم تسير سيراً سريعاً : « وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب » إلى نياق (جمع ناقة) قد مضى على حملها عشرة
أشهر كان صاحبها ينتظر بفروغ صبر أولادها المترقية . وأجنحتها المحبوبة
المنتظرة ، فيتركها بدون أكل ومرعى . بل لا يسأل عنها مطلقاً ولا عن أجنحتها
التي في بطونها ؛ لأن الخوف قد ملك عليه نفسه ، واستولى على مشاعره .

فانشغل بذاته عن غيره . وإلى وحوش كانت ضارية تفتك بمن يقترب منها .
وتفترس من يدنو منها . ولكنها الآن في هذه الأوقات العصبية . والأحوال
الخفيفة تختلط بغيرها . وتتجمع في مكان واحد وكأن بينها وبين غيرها صلة
قديمة . وارتباطاً وثيقاً . ولكن الخوف قد جمعها ، والوجل قد ألف بينها
وبين غيرها ، وإلى بحار تختلط ببعضها ثم تجف وتبدس ثم تملأ ناراً متأججة .
وذلك هو تسجيرها .

يشهد لذلك كله قوله تعالى : « إذا الشمس كورت . وإذا النجوم
انكدرت . وإذا الجبال سيرت . وإذا العشار عطلت . وإذا الوحوش حشرت .
وإذا البحار سجرت إلى غير ذلك من الأحوال التي وردت في القرآن الكريم .
روى أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب (١)
قال : (بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس . وبينما هم كذلك إذ
وقعت الجبال على وجه الأرض ، وبينما هم كذلك إذ تحركت الأرض
فاضطربت : لأن الله تعالى جعل الجبال أوتاداً ، ففرغت الجن إلى الإنس ،
والإنس إلى الجن . واضطربت الدواب والطيور والوحوش . فهاج بعضهم
في بعض . فقالت الجن نحن نأتيكم بالخبر اليقين . فانطلقوا فإذا هي نار تتأجج
فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأهلكتهم (٢) . وهذه من نصوص القرآن
ظاهرة . لا يسع المؤمن ردها ، ولا التكذيب بها ، وفي هذه الصيحة المذكورة في
قوله تعالى : « وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق (٣) » وفي قوله :
« وما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون » تكون السماء كالمنهل (٤)

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد ، الأنصاري الخزرجي ، الصحابي الجليل ، وأول
من كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد العقبة وبدر .

عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أرحم أمي بأمي أبو بكر ، وأشدهم
في دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم علي ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل .
وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبي بن كعب ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة
ابن الجراح) . مات سنة ٣٠ هـ (كما في أسد الغابة) .

(٢) يقال : تهب رياح باردة من الشام تهلك المؤمنين ، ويبقى شرار الناس .

(٣) فواق (بفتح الفاء وضمها) : أي توقف مقدار فواق ، وهو ما بين الحلبتين من
اللبن . أو معناه : رجوع الآية المذكورة في سورة ص .

(٤) المنهل (بضم الميم وسكون الهاء) : ما يتبقى أسفل الزيت ، والعهن : الصوف المنذوف

وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميماً . وفيها تشقق السماء فتكون أبواباً (من كثرة الشقوق) وفيها يحيط سرادق من نار بحافات الأرض ؛ فتطير الشياطين هاربة من الفرع حتى تأتى أقطار السماء والأرض . فتتلقاهم الملائكة يضربون وجوههم حتى يرجعوا وذلك قوله تعالى : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان »

النفخ في الصور :

ورد النفخ في الصور صراحة في كتاب الله العزيز في عشر آيات كما أحصيتها من المصحف العثماني وإليك بيانها :

- ١ - قال الله تعالى : « وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير » . (من سورة الأنعام)
- ٢ - قال الله تعالى : « وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً » . (من سورة الكهف)
- ٣ - قال الله تعالى : « يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » . (من سورة طه)
- ٤ - قال الله تعالى : « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » . (من سورة المؤمنون)
- ٥ - قال الله تعالى : « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين » . (من سورة النمل)
- ٦ - قال الله تعالى : « ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون » . (من سورة يس)
- ٧ - قال الله تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » . (من سورة الزمر)
- ٨ - قال الله تعالى : « ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد » .

(من سورة ق)

- ٩ - قال الله تعالى : « فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة » (من سورة الحاقة)

١٠ - قال الله تعالى : « يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا » .

(من سورة النبأ)

كما ورد في السنة النبوية من ذلك ما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كيف أنعم) أي أفرح وأسر) وصاحب الصور قد التزم الصور ينتظر متى يؤمر أن ينفخ ؟ قالوا : وماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي سعيد ، وأخرجه أحمد والحاكم أيضاً عن بن عباس ، وأخرجه غيرهم عن زيد بن أرقم .

والصور (بضم الصاد وسكون الواو) هو : قرن عظيم من نور كهيئة البوق فيه ثقب كثيرة بعدد أرواح الخلائق كلها ، وقيل في وصفه غير هذا . وقيل : إن النفخ في الصور تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق ، ولكن ورود الصور في الأحاديث مع ذكر بعض أوصافه يبعد هذا القول . وأن النفخ والصور حقيقتان لا يراد بهما المخاز . ونحن نؤمن بالنفخ في الصور ونفوض الأمر فيه لله وحده عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير .

والنافخ فيه إسرافيل ، ويكون جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره والنفخ في الصور مرتان لا ثلاث على الصحيح ، النفخة الأولى وتسمى نفخة الصعق والفناء ، وبها يموت من بقى من الخلق على وجه الأرض والسماء ، ويغشى على من كان ميتاً من قبل لكنه حي في قبره كالأنبياء والشهداء فيغشى عليهم بالنفخة الأولى حتى على نبينا صلى الله عليه وسلم ويبقى رؤساء الملائكة الأربعة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، وقيل معهم حملة العرش الثمانية أحياء لأنهم جميعاً من المستثنى في قوله تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله »

وبعد هذه النفخة يموت هؤلاء المذكورون وآخرهم موتاً سيدنا عزرائيل على الصحيح . ويقبض روح نفسه ، وقيل القابض له هو الله عز وجل : ثم يمكث الخلائق على هذه الحالة أربعين سنة وهي المدة التي تكون بين نفخة الصعق وبين نفخة البعث والإحياء ، وقيل انتهاء تلك المدة يرسل الله مطراً غزيراً خائراً (أي ثخيناً) من تحت العرش يشبه منى الرجال يقال له ماء

الحيوان : (أى الحياة) فینبت الله به الأجساد والأبدان كما ینبت البقل حتى إذا تكاملت هذه الأجسام ، وانتهت مدة الأربعين سنة أحيا الله جبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش . وأمر إسرافيل بأخذ الصور فيأخذه فيدعو الله الأرواح فتتجمع فيه ثم يأمره بالنفخ فينفخ . يقال لهذه النفخة نفخة البعث وهى المذكورة فى قوله تعالى : « ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » . وینادى قائماً على صخرة بيت المقدس قائلاً : (أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة (١) ، والأعضاء المتمزقة ، والشعور المتفرقة . إن الله المصور الخالق بأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن . وتخرج الأرواح من ثقوب الصور كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض . فتدخل أجسادها فلا تخطئ روح جسدها ، وتمشى فيه كالسم فى اللديغ () ، ويقال : إن أرواح المسلمين تتوهج نوراً ، وأرواح غيرهم مظلمة (فيحيا من مات ، ويفيق من غشى عليه كالأنبياء والشهداء فتشق الأرض عن الجميع . وذلك قوله تعالى : « واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب (٢) يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج . إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير . يوم تشقق الأرض عنهم سراغاً ذلك حشر علينا يسير » . (سورة ق) وقوله تعالى : « يوم يخرجون من الأجداث سراغاً » وقوله : « يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع » أى مسرعين إلى إجابة نداء إسرافيل عليه السلام إلى أرض المحشر والموقف الأعظم للعرض على إجابة نداء إسرافيل عليه السلام إلى أرض المحشر والموقف الأعظم للعرض على رب العالمين ، وللحساب والجزاء فى يوم الدين : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » .

البعث ..

اعلم أن الله سبحانه وتعالى سيعيد الأجسام فى يوم القيامة كما كانت عليه فى الدنيا ثم تتصل كل روح بجسدها فيحيا العبد ويقدم للحساب والجزاء . وهذا ما يقال له : البعث والنشر والإعادة .

(١) الأوصال : جمع وصل (بضم الواو وكسر ها) كل عضو على حدة .

(٢) هو صخرة بيت المقدس وهى أقرب مكان من الأرض إلى السماء كما قيل فى كتب التفسير .

وقد أجمع أهل الملل والأديان السماوية على إثبات البعث . وجاء به القرآن الكريم صراحة في غير ما آية . كما وردت به السنة الصحيحة في غير ما حديث . وعلى هذا فنكر البعث كافر والعياذ بالله . والآن نسوق إليك طائفة من آيات الله تدل على ذلك :

قال تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قلى بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » .

وقال : وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » .

وقال جل شأنه : « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .
وقال : « ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون » .

ومن السنة ما روى أن أبى بن خلف الجمحى على أصح الأقوال خاصم النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر البعث والمعاد ، وأثابه بعظم قدرم وبلى فقبضه وفتته بيده ، وقال : يا محمد أترى أن الله يحيى هذا بعد ما رم وبلى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (نعم ويبعثك ويدخلك النار) .

وقد اختلف العلماء فى الإعادة : هل هى عن عدم . أو عن تفريق . فذهب إلى الأول أكثر علماء الكلام وقالوا : إن الله يعدم الذوات والأجزاء كلها ثم يعيدها بعد ذلك وعرفوا البعث بأنه : (إحياء الله الموتى فى قبورهم ، وإخراجهم منها بعد جمع أجزائهم الأصلية المعدومة التى من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره بأعيانها وأعراضها ورد أرواحها إليها) .

فعلى هذا التعريف . وعلى هذا المذهب يكون المعاد هو الجسم الأول بعينه وذاته لا بمثله ، وإلا لزم أن يكون المثاب أو المعذاب غير الجسم الذى أطاع أو عصى وهو باطل بالإجماع . وتكون الإعادة بعد ذهاب العين والأثر جميعاً .

ويمكن الاستدلال له بقوله تعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده » .
فقد بين سبحانه أن الإعادة تكون وفق الابتداء ، ولما كان الابتداء عن عدم فتكون الإعادة كذلك ، ولا يسمى الإيجاد ثانياً إعادة إلا إذا تقدمه عدم محض (أى خالص) .

وذهب إلى الثانى وهو أن الإعادة عن تفريق جماعة من المعتزلة ومن

وافقهم وقالوا في تعريف البعث : (إنه إحياء الله الموتى في قبورهم .
وإخراجهم منها بعد جمع أجزائهم الأصلية المتفرقة التي من شأنها البقاء من
أول العمر إلى آخره بأعيانها وأعراضها ورد أرواحها إليها) .

وامتدلووا لذلك بقوله تعالى : « وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي
الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير
فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم
أن الله عزيز حكيم » .

وهذا بخلاف عجب الذنب ، وأجسام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
فإنها لا تفسى ولا تبلى ، وكذلك الحكم في أجسام غيرهم ممن لا تأكل الأرض
أجسامهم . كالشهداء الذين قتلوا في سبيل الحق والواجب . وجعلوا كلمة
الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وكالمؤمنين الذين احنسبوا أذانهم
لله عز وجل ، وادخروا ثواب ذلك عند الله لا لأجرة يأخذونها على أذانهم
من الغير .

وأول من تنشق عنه الأرض هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . فهو
أول من يبعث من قبره الشريف ، وأول وارد المحشر وأول من يمر على
الصراط . كما أنه أول من يدخل الجنة .

هذا ويكون البعث والمحشر (وهو جمع الناس وغيرهم في المحشر والموقف
الاعظم) لمن يجازى خيراً أو شراً ، كالإنس والجن والملائكة . ولمن لا يجازى
كالبهائم ونحوها للقصاص من المعتدى عليها تحقيقاً للعدل الإلهي .

أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من
الشاة القرناء) . قال مجاهد بن جبير التابعي : تقاد المنقورة من الناقرة ،
والمركوزة من الراكضة ، والجلحاء (التي لا قرون لها) من ذات القرنين ،
والناس ينظرون ، ثم يقال : (كوني تراباً لا جنة ولا ناراً) : أي بعد القصاص
في المحشر تصير البهائم ونحوها ممن لا يجازى تراباً .

وأما السقط (بكسر السين وسكون القاف) ، فإن ألقى بعد نفخ الروح
فيه بعث وحشر وصار كأهل الجنة في الجمال والسن وغير ذلك ، وإن ألقى
قبل نفخ الروح فيه فإنه لا يبعث ولا يحشر وهذا ما ذهب إليه المحققون من

العلماء وصححه النووي واختاره : لأن الأدلة تشهد له وذهبت طائفة منهم الإمام الغزالي وجماعة إلى أنه لا يبعث ولا يحشر إلا من يجازى لعدم تكليف البهائم ونحوها ولأنها ليست أهلاً للكرامة . قال العلامة الآلوسي في تفسيره لسورة التكوين : وإلى هذا القول أميل . ولا أجزم بخطأ القائلين بالأول لأن لهم ما يصلح مستنداً في الجملة ، وأنا شخصياً أرى هذا الرأي وأستريح له .

شبه المنكرين للبعث والرد عليها :

تمسك المنكرون للبعث بشبه واهية : « فقال الكافرون هذا شيء عجيب أنذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد » . فهؤلاء الكفار قد استبعدوا إعادتهم ورجوعهم أحياء مرة أخرى بعد أن صاروا تراباً وعظاماً وتعجبوا من ذلك وقالوا : إن هذا شيء عجيب ، فرد الله عليهم بقوله : « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ » ، فبين لهم أنه عالم بأجزائهم ، وما تنقص الأرض منهم . وقادر على جمع أجزائهم وإعادتهم .

وقال الفلاسفة : لو أكل إنسان إنساناً بحيث صار المأكل جزءاً من الآكل . فتلك الأجزاء يستحيل أن تعاد فيهما معاً كما يستحيل أن تعاد في أحدهما دون الآخر .

والجواب : هو أن المعاد الأجزاء الأصلية من ابتداء الخلق . ولعل الله يحفظها من أن تصبح جزءاً أصلياً لبدن آخر ، وأما غيرها فهي فضلات في الآكل لا اعتبار لها .

وقالوا أيضاً : البعث نوع من التناسخ المحال ؛ لأن الجسم المعاد ليس هو الأول ، وهذا عين التناسخ .

والجواب : أن المعاد يكون تناسخاً لو لم يكن الجسم الثاني مخلوقاً من الأجزاء الأصلية للجسم الأول . فهو هو ، ولم تعد الروح إلا للجسم الذي كانت فيه ، وتناسخ الأرواح هو : انتقال الروح من بدنها بعد الموت إلى أبدان أخرى مختلفة . فالبعث إذاً ليس من تناسخ الأرواح وهو المطلوب .

وأكتفى بهذه الشبه التي ذكرتها والرد عليها ، ولا داعي لذكر باقيها .

خاتمة في فوائد مستثورة

(الفائدة الأولى) : حكم الإسلام في تشريح جثث الموقى للاستفادة منها في دراسة الطب ، وحكمه في نقل قلب الميت أو عينه . أو أى جزء منه إلى غيره من الأحياء .

أجابت لجنة الفتوى بالأزهر برئاسة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى منذ سنوات مما يأتى :

لا شك أن تعلم الطب يقتضى علم التشريع لمعرفة الداء . وموضع العلة في الجسم . ولتشخيص العلاج النافع بالقدر المستطاع في ضوء ما يهذى إليه الطبيب العارف ، وكذلك تشتد الحاجة إلى تشريع الجثة في الحوادث الجنائية . والتمكن من إثباتها ، أو نفيها عن المتهم . وفى ذلك تمكّن للعدالة من أن تأخذ وضعها الحق في الأحكام .

وجملة القول : إن التشريع لمثل هذه المقاصد أمر يرتبط كثيراً بحياة الناس ، فلا بد منه ولا شبهة في إقراره . ولكن يقتصر على موضع الضرورة بدون توسع ؛ لأن للميت كرامة يجب أن تراعى ، ولا يجوز التعرض له بما يؤذيه لو كان حياً عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الميت يتأذى مما يتأذى منه الحى) .

أما نقل قلب الميت أو عينه أو أى جزء منه إلى غيره من الأحياء لينتفع الحى بهذا الجزء أمر جائز شرعاً ، ولا يقال : إن أخذ جزء من الميت بعد وفاته لينتفع به الحى يعتبر إهانة للميت ومساساً بكرامته الآدمية ؛ لأن هذا مقصود لمنفعة الحى ، والحى أولى من الميت لأنه لا يزال في مجال الانتفاع به في المجتمع ، فانتفاعه بجزء من الميت أولى من ترك هذا الجزء يبلى في التراب وينبغى أن يلاحظ أن يستأذن أهل الميت إن كان له أهل حتى لا يوجد خلاف بينهم .

(الفائدة الثانية) : (: قال علماء الحنفية : حامل ماتت وولدها حى يضطرب في بطنها شق بطنها من الجانب الأيسر وأخرج ولدها ، ولو بالعكس بأن مات الولد في بطنها وهى حية ، وخيف عليها قطع الولد وأخرج قطعاً .

فلو كان حياً لم يجز تقطيعه : لأن موت الأم به موهوم . فلا يجوز قتل آدمى حتى لأمر موهوم .

(الفائدة الثالثة) : يكره أن يجعل على القبر مظلة تقيه من الشمس : لأن سيدنا عمر رضي الله عنه رأى قبة على قبر فنحاهها وأبعدها وقال : (دعوه يظله عمله) . نعم لو كانت المظلة لوقاية من يجتمعون لنحو القراءة على الميت من الحر والبرد والمطر ، فلا بأس بذلك ، وأما جعل السراج أو المصباح الكهربى على القبر فمحرام حيث لم ينتفع به مقيم ولا زائر ، لما فيه من الإسراف وإضاعة المال ، والتشبه بالمجوس الذين يوقدون النار على قبور موتاهم ، وما أجهل القائمين والقائمات على خدمة الأضرحة ، وقبور الصالحين حيث يوقدون لها طول الليل والأبواب مغلقة والناس نيام . وقد تكون فى مناطق خالية من السكان ، ينهق فيها البوم والغربان ، وقد لعن الله أمثال هؤلاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج) .

(رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، والنسائى وابن ماجه ، وابن حبان مرفوعاً)
(الفائدة الرابعة) : ذكر فى فتح القدير لابن الهمام أنه لا يدفن صغير ولا كبير فى البيت الذى كان فيه فإن ذلك خاص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل ينقل إلى مقابر المسلمين ، ويكره الدفن فى الأماكن التى تسمى فساقى اه وهى : كبيت معقود بالبناء يسع جماعة لخالفها السنة والكراهة فيها من وجوه :
١ - عدم اللحد .

٢ - ودفن جماعة معاً بلا ضرورة .

٣ - واختلاط الرجال بالنساء بلا حاجز .

٤ - طلاؤها بالحصص : (أى الجير) .

٥ - والبناء عليها اه بحر .

(الفائدة الخامسة) : من عليه ديون ومظالم بجهل أصحابها ، وأيس من معرفتهم ، وهذا يشمل ورثته ، فعليه أو على ورثته التصديق بقدرها من ماله ، ولو استغرقت جميع ماله ، هذا إذا كان له مال ، فلو لم يقدر على الأداء لفقره ، أو لنسيانه ، أو لعدم قدرته لا يؤخذ به فى الآخرة إذا كان الدين ثمن متاع ، أو كان قرضاً . أما إذا كان غصباً فإنه يؤخذ به فى الآخرة وإن

نسى غصبه . وإن علم الوارث دين مورثه والدين غصب أو غيره فعليه أن يقضيه من التركة ، وإن لم يقض فهو مؤاخذ به في الآخرة ، وإن لم يجد المديون ولا وارثه صاحب الدين ولا وارثه برئ في الآخرة . (أخذ ذلك من فقه الحنفية) .

(الفائدة السادسة) : سئل ابن تيمية عما يقوله بعض الناس : من أن لله ملائكة ينقلون الموتى من مقابر المسلمين إلى مقابر اليهود والنصارى ، وينقلون الموتى من مقابر اليهود والنصارى إلى مقابر المسلمين .

فأجاب : بأن الأجساد لا تنقل من القبور ، وأن المقبور يكون يوم القيامة مع نظرائه (أشباهه) الحقيقيين ، فمن كان ظاهره الإسلام ، ونخم له بشر في علم الله أو كان كتابياً ، ونخم له بخير فمات مسلماً قبل أن يغرغر في علم الله فإنه يكون يوم الحشر مع أشباهه الحقيقيين ولو كان مقبوراً مع غيرهم ، ولم يسمع أثر في نقل الملائكة للأجساد .

(الفائدة السابعة) : قال الياقعي في روض الرياحين عن شقيق البلخي : طلبنا خمساً فوجدناها في خمس :

- ١ - طلبنا ترك الذنوب فوجدناه في صلاة الضحى .
- ٢ - وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل .
- ٣ - وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن .
- ٤ - وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة .
- ٥ - وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة .

(الفائدة الثامنة) : قال الإمام ابن القيم في كتاب الروح : أفضل ما يهدي إلى الميت ما كان أنفع في نفسه ، فالعتق عنه والصدقة أفضل من الصيام عنه . وأفضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه وكانت دائمة مستمرة ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أفضل الصدقة سقى الماء) ، وهذا في موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش ، وإلا فسقى الماء على الأنهار لا يكون أفضل من إطعام الطعام عند الحاجة ، وكذلك الدعاء والاستغفار له إذا كان بصدق من الداعي ، وإخلاص وتضرع فهو في موضعه أفضل من الصدقة عنه كالصلاة على الجنازة ، والوقوف للدعاء على قبره ، والحج عنه . والصوم ، وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجره فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج .

(الفائدة التاسعة) : إذا نبش قبر الميت وأخذ كفنه فإنه يكفن للسنة وهكذا ما دام طرياً . لا يعاد غسله ولا الصلاة عليه . وإذا تفسخ فإنه يلف في ثوب واحد . وإذا مات شخص وغسل وصلى عليه ثم دفن . وبعد أيام أخرج من قبره وشرحت جثته فإنه لا يعاد غسله ولا الصلاة عليه . ومن دفن وأهيل عليه التراب بغير صلاة صلى على قبره وجوباً ما لم يغلب على الظن تفسخه . فإذا كان الأمر كذلك فلا يصلى عليه . وكذلك الحكم فيمن تردى في نحو بئر أو وقع عليه بنيان ولم يمكن إخراجه . فإنه يصلى عليه في هذه الحالة وهو في البئر أو تحت البنيان ، بخلاف ما لو غرق في بحر ولم يمكن إخراجه فإنه لا يصلى عليه لعدم تحقق وجوده أمام المصلى . (انتهى من كتب فقه الحنفية) .

(الفائدة العاشرة) : لا ينفعك من دنياك إلا العمل الصالح :

روى مسلم مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يتبع الميت ثلاث ، يرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله . فيرجع أهله وماله ويبقى عمله) . وفي هذا المعنى ما حصل بين أبي الدرداء وسلمان الفارسي . روى أن أبا الدرداء أرسل لسلمان الفارسي في مكاتبتة ، هلم يا أخي إلى الأرض المقدسة فلعلك أن تدفن بها ، فأرسل سلمان يقول له : اعلم يا أخي أن الأرض المقدسة لا تقدر أحداً وإنما يقدر كل إنسان عمله .

(الفائدة الحادية عشرة) : حمل الجنازة عبادة ، فينبغي للتقادر على حملها أن يبادر إلى فعل تلك العبادة ، ولا يأنف من حملها من كان ذا جاه . فقد حمل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وأفضل الخلق أجمعين جنازة سعد ابن معاذ .

(الفائدة الثانية عشرة) : حال الصغار في البعث والحشر : الصحيح أن الصغار يبعثون ويحشرون صغاراً على الحالة التي ماتوا عليها . وإنما يقع التغيير عند دخول الجنة . يشهد لذلك ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يبعث كل عبد على ما مات عليه) .

وإلى هنا قد تم الكتاب وتم طبعه ، والحمد لله أولاً وآخراً والشكر له بداية ونهاية : « رب أوزني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه . وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين » .

نبذة من تاريخ حياتي

أنا محمد (الملقب برشاد) بن عبد الظاهر بن خليفة بن عوض بن يوسف ابن علي بن عبد الله بن شاهين بن سليمان بن محمد (١). ولدت صبيحة يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة تسع وتسعمائة وألف ميلادية ، بقريتنا المسماة بالشيخ عيسى التابعة لمحافظة ومركز قنا ، من أبوين متوسطي الحال . ينتميان إلى سيدنا الحسين رضي الله عنه ، ثم حفظت القرآن كله حفظاً جيداً مع ترتيله وتجويده على قراءة حفص . وأنا صغير في كتاب القرية التي ولدت فيها . ثم التحقت بمعهد أسبوط كطالب أزهرى في سنة ١٩٢٥ م وفي هذا المعهد حصلت على الشهادة الأولية (لابتدائية) . ثم على الشهادة الثانوية بقسمها ، بعد ما درست فيه الفقه الحنفى والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة ، وأجزاء من تفسير النسفى . وكتاب الزبيدى فى الحديث ، والجغرافيا والتاريخ . والطبيعة والكيمياء والأحياء . والحساب والجبر والهندسة .

ومن شيوخى فى هذا المعهد الشيخ محمد عبد الله الجهنى . والشيخ عبد الله خلاف الله . وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر السابق ، والشيخ عبد العليم رضوان .

وفى سنة ١٩٣٤ م التحقت بكلية الشريعة الإسلامية بالقاهرة ، ودرست فيها : الفقه الحنفى . والفقه المقارن ، وتفسير وأحاديث الأحكام ، ومصطلح

(١) بقية نسبى من جهة الأب: محمد المذكور (بضم الميم وفتح الدال مشددة أى كثير الخدم) وهو جد أشرف المخادمة ، وبلدة الشيخ عيسى بمحافظه قنا : ابن بوين بن هاشم بن مهنا ابن جواز (الملقب بجمال الدين) بن قاسم (الملقب بعز الدين، والذي يكنى بأبى فليته) بن مهنا بن الحسين بن مهنا ابن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى النسابة ، ابن الحسن بن جعفر الحجة (بضم الحاء) ابن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن على زين العابدين بن سيدنا الحسين رضي الله عنه . أما نسبى من جهة الأم : فأُمى الحاجة حنيفة بنت مصطفى بن على كزار بن حمد بن محمد ابن خليل بن محمد بن على بن محمد المتقدم ذكره ، فيجتمع نسب أبى وأُمى فى هذا الجد العظيم رحمه الله وجعل الجنة مأواه .

الحديث ورجاله ، وتاريخ التشريع الإسلامى . وعلم المنطق ومن شيوخى فى هذه الكلية : الشيخ عبد الرحمن تاج . والشيخ محمد سامون ، والشيخ محمد عبد الفتاح العنانى ، والشيخ عبد الحفيظ الدفتار .

وفى هذه الكلية حصلت على الشهادة العالية فى سنة ١٩٣٨ . وبعد فترة من الزمن أكثر من ست سنوات لأمر أراده الله وقدره التحقت بتخصص التدريس ومدته عامان . ودرست فيه علم التربية وتاريخها والتربية العملية . وعلم النفس . والخط العربى ، والرسم النظرى ، ثم أعطيت فى نهايته شهادة العالمية (بكسر اللام) مع إجازة التدريس فى سنة ١٩٤٧ م ، وفى هذه السنة نفسها عيّنت إماماً ومدرساً بزاوية على الفيوم بالمغربلين بالقاهرة . ومكثت فيها مدة تسعة أشهر ، ثم عيّنت مدرساً للغة العربية بالتعليم الحر ثم بالتعليم الأميرى . ومكثت فيهما سنتين وثمانية أشهر .

وفى أول شهر نوفمبر عام ١٩٥٠ م عيّنت مدرساً بالأزهر الشريف عقب نجاحى فى مسابقة أزهريّة للتدريس ، وكما كان سرورى حينما عيّنت مدرساً به ، لأن هذا التعيين قد صادف هوى كبيراً فى نفسى ، ورغبة طالما كانت تردد بين جوانبى وضلوعى ، ومكثت مدرساً للعلوم الدينية والعربية أكثر من عشرين عاماً بالمعاهد الأزهريّة (معهد سوهاج ، ثم معهد بنها ، ثم معهد البحوث الإسلامية) والمعهد العلمى بمدينة عنيزة ببنجد . والمعهد الدينى بمدينة مقديشو عاصمة الصومال ، ومعهد الدراسات الإسلامية بها أيضاً . وفى شهر مارس سنة ١٩٦٨ م عيّنت مفتشاً بالأزهر ، ولا زلت أشغل هذه الوظيفة حتى الآن .

مؤلفاتى :

- ١ - الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكره وتأنيثه معاً فى العربية . وقد طبعت فى عام ١٩٥٢ م وهى تقع فى ٩٦ صفحة .
- ٢ - كتاب الدار البرزخية من الموت إلى البعث - وهو الذى بين أيدينا ويقع فى ١٧ ملزمة .
- ٣ - كتاب المرشد فى مصطلح الحديث . وهو لا يزال إلى الآن مخطوطاً لم يقدم للطبع .

ومما من الله به على أن رزقني بخمسة أولاد مطيعين مستقيمين . ثلاثة
ذكور ، وبنيتين . وكلهم من سيدة مثالية فاضلة . وزوجة صالحة . قد
صديق فيها وفي أمثالها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما استفاد المؤمن
بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة . إن أمرها أطاعته . وإن نظر
إليها سرته . وإن أقسم عليها أبرته . وإن غاب عنها نصحتته في نفسها وماله) .
(رواه ابن ماجه عن أبي أمامة)

« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

غرة شهر رمضان المعظم سنة ١٣٩٣ هـ

٢٨ من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٣ م

محمد عبد الظاهر خليفة عوض

• • •

المراجع

القرآن الكريم

- ١ - الصحيحان في السنن للبخارى ومسلم .
- ٢ - السنن الأربع لأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه .
- ٣ - نيل الأوطار للشوكاني .
- ٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل .
- ٥ - شرح الصدور للسيوطي (من أهم المراجع) .
- ٦ - مختصر التذكرة للشعراني (من أهم المراجع) .
- ٧ - تخريج أحاديث الإحياء للعراقي .
- ٨ - نصب الراية في تخريج أحاديث الهدية للزيلعي .
- ٩ - الروح لابن القيم (مرجع مهم جداً) .
- ١٠ - سر الروح للبقاعي .
- ١١ - وسائل الرحمة للخلواني (مهم) .
- ١٢ - هادي الأرواح لمصطفى الطير .
- ١٣ - شرح الجوهرة في التوحيد لعبد السلام .
- ١٤ - حاشيتا الباجوري والأمير .
- ١٥ - الخريدة وشرحها في التوحيد للدردير .
- ١٦ - مذكرات في التوحيد لحسين مكى .
- ١٧ - كتب أخرى في التوحيد لا أذكر أسماء مؤلفيها .
- ١٨ - التفسير للجمال والصاوي والفخر وغيرهم .
- ١٩ - الإحياء للغزالي .
- ٢٠ - الإبداع لعل محفوظ .

- ٢١ - مجلة نور الإسلام (الأزهر) .
- ٢٢ - مجلة الإسلام ، ومجلة الإرشاد .
- ٢٣ - العبادات في الفقه الحنفي .
- ٢٤ - تنوير القلوب للكردي .
- ٢٥ - أسد الغابة لابن الأثير .
- ٢٦ - نور اليقين للخصري .
- ٢٧ - نهج البلاغة للإمام علي .
- ٢٨ - جواهر الأدب لأحمد الهاشمي ؟
- ٢٩ - كتب أخرى في الأدب وغيره .

• • •

الأعلام

العلم	الصفحة	العلم	الصفحة
عبد الله بن المبارك	٨٠	الإمام الشافعي	١٢
الجويني	٨٢	معاذ بن جبل	١٩
سيدنا أبو بكر - عثمان		أبو سلمة ، وأم سلمة	٢٠
ابن مطعون رضي الله عنهما	٨٢	البراء بن عازب	٢٠
عمران بن حصين	٨٧	الأعمش	٢١
عامر بن الطفيل	٩٣	عمرو بن العاص رضي الله عنه	٣١
ابن أبي الدنيا	٩٤	الحجاج الثقفي	٣٣
سعد بن أبي وقاص	٩٥	المزني	٣٤
أبو عبيدة بن الجراح	٩٥	السيدة نفيسة	٣٦
عبد الله بن المقفع	٩٨	أبو قتادة	٣٧
السيدة فاطمة الزهراء رضي		الفضيل بن عياض	٣٩
الله عنها	٩٩	الترمذي	٥٢
شقران خادم الرسول صلى		سعد زغلول	٥٥
الله عليه وسلم	١٠٢	أبو طلحة وأم سليم	٦٨
سيدنا بلال	١٠٣	عروة بن الزبير	٧٠
عمر بن عبد العزيز	١٠٥	بلدة الشيخ عيسى بقنا	٧٢
عكرمة مولى ابن عباس	١١٢	إبراهيم بن الرسول صلى الله	
أبو أيوب الأنصاري	١١٥	عليه وسلم وأمه مارية	٧٣
زيد بن ثابت	١١٥	عبد الله بن مسعود - أبو موسى	
ابن لهعية	١٢٢	الأشعري	٧٤
ابن القيم	١٢٤	أبو مالك الأشعري	٧٥
حنيفة بن النيمان	١٢٥	المغيرة بن شعبة	٧٧
		واثلة بن الأسقع	٧٩

العلم	الصفحة	العلم	الصفحة
البقاعي	١٩٩	الحكيم الترمذى	١٢٩
الحافظ السيوطى	٢٠٠	سمرة بن جندب	١٣٣
ابن قدامة الحنبلى	٢٠١	الحسن البصرى	١٣٥
الكمال بن الهمام	٢٠٢	البيهقى	١٣٦
سعد بن عباد و أمه	٢٠٦	أبو نعيم	١٣٧
الدارقطنى	٢٠٨	أبو سعيد الخدرى	١٣٩
ابن عباس	٢٠٨	الحاكم - ابن رجب	١٤٢
البزار	٢١٣	عبد الرحمن بن سمرة	١٤٢
ابن حجر	٢١٤	القرطبى	١٤٩
محمد بن واسع	٢١٥	مالك بن أنس	١٤٩
سفیان الثورى	٢١٥	الطبرانى	١٥٤
مالك بن دينار	٢١٩	الإمام الغزالى	١٦١
الإسكندر المقدونى	٢٢٠	ابن سينا	١٦٨
جرير بن عبد الله	٢٣٢	يوسف الدجوى	١٧٥
جعفر بن أبى طالب رضى		بشر بن البراء	١٧٨
الله عنهما	٢٣٣	سعيد بن المسيب	١٧٩
يحيى الغزالى	٢٣٥	السدى	١٨٠
بلدة عنيزة بنجد	٢٣٧	مجاهد بن جبير - ابن تيمية	١٨٢
عبد الرحمن السعدى	٢٣٨	بريدة بن الحصيب	١٨٣
أبى بن كعب	٢٤٩	ابن شهاب الزهرى	١٨٧
المؤلف (محمد عبد الظاهر)	٢٦٠	ابن عبد البر	١٨٩

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٧	تصدير للمؤلف
١٤	مقدمة

القسم الأول

١٦	(من احتضار الإنسان إلى أن يوضع في قبره)
١٦	الإنسان في حالة الاحتضار
١٨	تلقين المحتضر وحكمته
٢٠	قبض الروح وصعودها وهبوطها... إلخ
٢٥	إدراج الروح بين الجسد والكفن ، وسماع الميت الكلام
٢٦	عزرائيل عليه السلام - وصفه - عمله - أعوانه
	فقء موسى عليه الصلاة والسلام عين عزرائيل عليه السلام والإجابة
٢٨	عن ذلك
٢٩	رسل ملك الموت ونذره
٣٠	الموت وسكراته
٣١	شدة الموت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وحكمة ذلك
٣٢	الموت كفارة للمسلم وسبب ذلك
٣٣	الحججاج وسكرات الموت
٣٤	ما قيل في مرض الموت
٣٧	الموت ليس بعدم محض ، وما قيل في ذلك
٣٨	تذكر الموت والاتعاظ به
٤٠	الاستعداد للموت ، وبم يكون ؟
٤٢	الميت يدفن في الأرض التي خلق منها

٤٣	قصه سليمان عليه السلام مع عزرائيل عليه السلام في شأن رجل سيموت بعد قليل
٤٣	مناجاة الموت
٤٥	مرادفات لفظ الموت
٤٦	ذكر لفظ الموت في القرآن
٥٠	طائفة من الأحاديث في ذكر الموت
٥٢	كراهة تمنى الموت
٥٣	نهي الميت ورثاؤه
٥٤	أمثلة في الرثاء الجائز ، وغير الجائز
٦٢	الإحداذ على الميت وحكمه
٦٣	الصبر على المصيبة
٦٦	جزاء الصابرين
٦٧	الصابرون والصابرات
٦٨	أم سليم وأبو طلحة
٧١	امرأة تجزع ثم تتوب إلى ربها
٧٣	البكاء على الميت وحكمه
٧٨	علامات حسن الخاتمة وسوئها
٨١	أحكام تتعلق بالميت من تغسيله وتكفينه . . . إلخ
٩٠	خفة النعش وسرعته وطيرانه . . . إلخ
٩٦	التعزية ووقعتها
٩٨	طائفة من التعازي
٩٩	الرسول صلى الله عليه وسلم من مرض موته إلى دفنه

القسم الثاني

١٠٤	أحوال الميت من دفنه إلى بعثه
١٠٤	وصف القبر
١٠٥	مناجاة أهل القبور للإمام على كرم الله وجهه

١٠٥	أمها القبر لأحد الأدباء
١٠٧	القبر والحدث في القرآن
١٠٩	مترادفات لفظ القبر
١٠٩	متى عرف الدفن في القبر ؟
١١١	حكمة دفن الميت ، وتلقينه بعد الدفن
١١٢	السؤال في القبر وأدلته
١١٣	عذاب القبر ونعيمه وأدلتها
١١٨	شبه المنكرين لسؤال القبر . . . إلخ والرد عليها
١٢٠	(منكر ونكير) هما فتانا القبر دون سواهما
١٢٣	وصفهما - عملهما - مكانهما من الميت
١٢٣	البهائم تسمع عذاب القبر ، ولا تسمعه الإنس والجن
١٢٥	الميت يسأل ويعذب أو ينعم ولو لم يدفن
١٢٦	الحكمة في سؤال القبر ونعيمه وعذابه
١٢٦	أحوال المسئولين - لغة السؤال في القبر
١٢٧	سؤال الميت يكون في القبر الأول
١٢٩	هل السؤال مختص بالأمة المحمدية أو عام لها ولغيرها ؟
١٣٠	الجن كالإنس في السؤال والعذاب والنعيم
١٣١	النعيم والعذاب للروح والبدن
١٣٢	عذاب القبر نوعان : دائم ومنقطع
١٣٥	ضغطة القبر
١٣٩	عذاب الكافر وأنواعه
١٤٠	نعيم القبر وأنواعه
١٤٢	شعب الإيمان المنجيات
١٤٤	تعليقات على حديث سمرة في شعب الإيمان
١٤٥	مكفرات الذنوب
١٤٦	من لا يسألون في قبورهم
١٥٤	من لا تأكل الأرض أجسامهم

الصفحة	الموضوع
١٥٧	الروح وما قيل فيه
١٥٨	الروح ومعناه في القرآن الكريم
١٦٠	هل الروح خلقت قبل البدن أو بعده ؟
١٦٣	النفس والروح : هل هما شيان أو شيء واحد ؟
١٦٦	الروح والنفس عند الصوفية
١٦٨	القصيدة العينية في النفس لابن سينا
١٧٣	تمايز الأرواح بعد الموت
١٧٤	تخاصم الروح والجسد يوم القيامة
١٧٥	البرزخ والروح
١٧٧	تلاقى أرواح الموتى وتزاورهم وتذاكرهم
١٧٩	أهل القبور ينتظرون الأخبار
١٧٩	الأرواح هي التي تتلاقى
١٨٠	التقاء أرواح الأموات بأرواح الأحياء
١٨٠	معرفة الموتى أعمال أقاربهم الأحياء
١٨٢	سماع الموتى كلام الأحياء
١٨٥	استحضار أرواح الموتى
١٨٦	مستقر الأرواح فيما بين الموت والقيامة
١٩٠	الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ
١٩٤	مستقر أرواح الأطفال في البرزخ
١٩٦	مقر أرواح الملائكة في البرزخ

القسم الثالث

١٩٧	ما ينفع الميت من الأعمال وما لا ينفعه
١٩٧	الأعمال التي تنفع الميت
٢٠١	جعل ثواب العبادات للغير
٢١٥	زيارة القبور ، وحكمها ، وما يطلب فيها
٢١٩	حكاية وعظية تناسب المقام

٢٢٠	في صمت القبور عظام
٢٢١	زيارة القبر النبوي الشريف
٢٢٤	ما قاله بعض الزائرین لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٢٥	كلمة عن جبانة البقيع
٢٢٥	زيارة البقيع ، وجبانة أحد
٢٢٦	وضع الجريد الأخضر ونحوه على القبر
٢٢٨	ما لا ينفع الميت من الأعمال
٢٣٧	طريقة أهل عنيزة في الجنائز والمقابر
٢٣٩	المعتمدات الفاسدة من أهل الميت وغيرهم

القسم الرابع

٢٤٢	الساعة وعلاماتها
٢٤٨	أحوال ما قبيل القيامة
٢٥٠	النفخ في الصور ، وعدد النفخات
٢٥٢	البعث وأداته
٢٥٤	لمن يكون البعث والحشر ؟
٢٥٥	شبه المنكرين للبعث والرد عليها
٢٥٦	خاتمة في فوائد منتشرة